رَوْضَةُ المُشْتَاقِين

فِي

فَضَائِلِ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِين

صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِين

وَشَيْءٍ مِنْ أَخْبَارِهِمْ

تأليف

أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّد العفيفيّ

راجعه وقدّم له

أبو عبد الله مصطفى العدويّ

الناشر

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر

النـاشـر : الفاروق الحديثة للطباعة والنشر

خلف ٦٠ ش راتب باشا - حدائق شبرا

ت : ٤٣٠٧٥٢٦ - ٥٦٨٨ ٢٠٥ القاهرة

اسم الكتاب : روضة المشتاقين فى فضائل الأنبياء والمرسلين
صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

تأليف : أبي عبد الله محمد العفيفى

راجعه وقدم له : أبو عبد الله مصطفي العدوي

رقم الإيداع : ١٤١٨٧/ ٢٠٠١

الترقيم الدولي : 977-5704-63-4

الطبعة : الأولى

سنة النشر : ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

طباعة : الفاروق الحديثة للطباعة والنشر

• قبس من التنزيل •

○ قال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (٨٩) أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام : ٨٩ ـ ٩٠] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ ﴾ [ص : ٤٧] .

• مِنْ مِشكاةِ النبوة •

○ قال ﷺ : « ما من الأنبياء نبي إلا أعطى ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إلي .... الحديث » . حديث صحيح .

• مِن شعر السلف •

○ ونظم بعضهم أسماء الأنبياء والمرسلين الواردة في كتاب الله فقال :

ألا إنّ إيمانًا برسل تحتّمـــا ⁂ وهمْ آدمُ إدريسُ[1] نوحٌ على الـولا
وهودٌ وصالحٌ لوطٌ مع إبراهيم أتى ⁂ كذا نجْلهُ إسماعيل إسحاقُ فضّـلا
ويعقوبُ يوسفُ ثم يتلو شعيبهـم ⁂ وهارونُ مع موسى وداودُ ذو العُـلا
سليمانُ أيوبُ وذو الكفلِ يونـسُ ⁂ وإلياسُ أيضًا واليسعُ ذاك فاعقـلا
كذا زكريا ثم يحيى غلامـــه ⁂ وعيسى وطه خاتمًا قد تكمـــلا
وقد تم نظمي جمع رسلٍ مُرتّبـــا ⁂ لهم حسب إرسال كما قاله المـــلا
عليهم صلاة الله ثم سلامـــه ⁂ يَدُومان مادام الأراضي وماعـــلا

---

(١) على تحفظ في تقديم إدريس على نوح . كما سيأتي ، مع التنويه على أن أغلب المؤرخين قد قدّموه على نوح والله أعلم .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

تَقْدِيمٌ وتَقْرِيظٌ

لأبي عَبْدِ الله مُصْطَفى بنِ العَدَوِي ـ حَفَظَهُ اللهُ تَعالى ـ

الحمْدُ للهِ والصَّلاةُ والسلامُ على رسولِ اللهِ .

○ **وبَعْدُ :**

فَإنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وتَعَالى خَلَق الخَلْقَ ، وَاصْطَفى مِنْهُم وَاختارَ كَمَا قَالَ فِي كتابهِ الكَرِيم : ﴿ **وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ** ﴾ [القصص : ٦٨] .

وكَمَا قَال سُبْحَانَهُ : ﴿ **اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ** ﴾ [الحج : ٧٥]. فَاصْطَفَى اللهُ مِنْ عِبادِهِ رُسُلاً هُمْ خَيْرُ خَلْقِهِ ، وأَكْمَلُهُمْ عَقْلاً ، وَأَرْجَحُهُمْ رَأْيَا ، وأسَدُّهُمْ طَرِيقَةً ، وَأَقْوَمُهُمْ سَبِيلاً ، وَهُمْ رُسُلُ اللهِ وَأَنْبِيَاؤُهُ، صَلَواتُ اللهِ وسَلامُهُ عَلَيْهِم . جَعَلَهُمُ اللهُ هُداةً مُهْتَدِين ، وَقُدْوَةً لِلعَالَمين ، وأُسْوَةً حَسَنَةً لِمنْ كَانَ يَرْجُوا اللهَ ، وَالْيَوْمَ الآخِرِ .

○ قَالَ تَعَالى : ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ** ﴾ [الأنعام : ٩] .

○ وقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً** ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

وَقَدْ مَنَّ اللهُ سُبْحَانَهُ عَلى أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ بِفَضَائِلَ ، وَأَكْرَمَهُمْ بِكَرامَاتٍ ، وَقَصَّ عَلَيْنا قَصَصَهُمُ التي هِي أَحْسَنُ القَصَصِ عَلى الإطْلاقِ ؛ كَيْ نَتَأَسَّى بِهِمْ، ونَقْتَفِي أَثَرهُمْ ، فَلِكُلٍّ قَوْمٍ هَادٍ .

وَهَؤُلاءِ هُدَاتُنَا ، وَقُدْوَتُنَا ، وَأُسْوَتُنَا ، وَأَئمتُنا ، آمَنَّا بِهِمْ جَمِيعًا ، وَصَدَّقْنَاهُمْ جَمِيعًا ، وَشَهِدْنَا لَهُمْ بِالبَلاغِ ، صَلَوَاتُ اللهُ وَسَلامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينْ . وَأَقْرَرنَا لَهُمْ بِالفَضْلِ ، وَسَأَلْنَا الله أَنْ نُحْشَرَ تَحْتَ أَلْوِيَتهم ، وَلِوَاءِ خَاتَمِهِمِ ، نَبِيِّنا مُحَمَّد ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ ، سَيِّدِ وَلَدِ آدمَ ، عَلَيْهِ وَعَلَى جَمِيعِ الأَنبِيَاءِ والمرْسَلِينَ أَتَمُّ صلاةٍ ، وأَفْضَلُ تَسْلِيمٍ .

○ ○ **هَذَا** ؛ وَقَدْ قَامَ أَخِي مُحَمَّدٌ العَفِيفِي ـ وَفَّقه اللهُ ـ **بِجَمْعِ هَذَا الكِتَاب فِي فَضَائِلهم ، وَشَيءٍ مِنْ أَخْبَارِهِمْ** ، فَيَلْزَمُنَا أَنْ نَعرِفَ أئمَّتَنا ، وقُدْوتَنَا ، وأُسْوتَنا، وَنَتَعَرَّفَ عَلَى أَخْبَارِهِمْ ، وفَضَائِلهم ؛ فَهَذَا يَحمِلُ عَلى مَزِيدٍ مِنَ التَّأَسِّي بِهِمْ، واقتفَاءِ آثَارِهِمْ ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِمْ .

وَقَدْ أَفَادَ . أَخِي مُحَمَّدٌ فِي هَذَا الكِتَابِ جَزَاهُ اللهُ خَيْرًا ، **وَجَمَعَ جَمْعًا طَيِّبًا فِي مَوْضُوعِه** .

□ وَمِمَّا امْتَازَ بِه كِتَابُهُ هَذَا :

● سَلامَةُ المَادَّةِ العِلْمِيَّة مَنَ الضَّعِيفِ ، وَالموْضُوُعِ ، وَمِنَ الإِسْرَائيليَّات كَذَلكَ ، تِلكَ التي ابْتُلِيَتْ بِها الكُتُب التِي تَنَاوَلَتْ قَصَصَ الأَنْبِيَاءِ بِصِفَةٍ عَامَّةٍ .

● وَقَدَ قَامَ أَخِي مُحَمَّدٌ ـ وَفَّقَهُ اللهُ ـ بِتَخريجِ الأَحَادِيث ، وَالآثَارِ ، وَالحكمِ عَلَيْها بِمَا تَسْتَحِقُّهُ صِحَّةً أَوْ ضَعْفًا ، وَرَفْعًا أو وقفًا ؛ فكَانَ مُسَدَّدًا فِي غَالبِ أَحْوَاله ـ جزَاهُ اللهُ خَيْراً .

وَقَدْ رَاجَعْتُ هَذَا الكِتَابَ فَأَلْفَيْتُهُ نَافِعًا ؛ مَعَ اسْتِرْسَالِه فِي بَعضِ المَسَائِلِ التِي ليس لَهَا تَعَلُّقٌ مُبَاشِرٌ بِصُلْبِ الكِتَابِ ، وَمَوْضُوعِهِ ؛ إِلاَّ أنَّ ظَنِّي بِهِ أَنَّهُ

يَرْجُو النَّفعَ العَام مَا استَطَاعَ إلى ذَلك سَبيلاً .

○ فَأَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَنْفَعَ به ، وَبِكتَابِه ، وأَنْ يُوَفِّقَهُ لِمُواصَلة طَلَبِ العِلْمِ ، والدَّعوَةِ إلى الله . وأَنْ يُخْلصَ أَعْمَالَنا جَميعًا لِوَجْهِهِ الكَرِيم ، وَيَتَجَاوزَ عَنْ تَقصيرِنا ، وَهَفَواتنا ، وَزَلاَّتنا ، وَخَطَئنَا ، وَعمْدنَا . كَمَا أسْأَلُ اللهَ أَنْ يَرْفَعَ رَايَةَ الإسْلام وَالمُسْلمينَ ، عَاليَةً خَفَّاقَةً فَوْقَ كُلِّ الرَّايَاتِ ، وأَنْ يُجازِي عَنَّا رُسلَهُ خَيْرَ الجَزَاءِ - صَلَوَاتُ الله وسَلامُهُ عَلَيْهِمْ .

وَصَلِّ اللَّهُمْ عَلى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعلَى آلهِ وصَحْبِه وَسَلِّمْ .

كَتَبَهُ

أَبُو عَبد الله

مُصْطَفَى بن العَدَوِي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ولي المتقين ولا عدوان إلا على الظالمين .

والصلاة والسلام على أنبيائه وعلى أشرف خلقه نبينا محمدٍ الأمين وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلَّم تسليمًا كثيرًا .

وبعد :

فهذا كتاب أعددته رجاء الثواب وطلبًا للأجر ، يجمع عددًا من أحاديث فضائل الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

قمت بإعداده وترتيبه على هذا النحو لعموم المؤمنين ، وحرصًا من أن يعم به النفع إن شاء الله ، وسميته « **روضةُ المشتاقين في فضائل الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام** » على نسج ومنوال شيخنا مصطفى العدوي ـ حفظه الله ـ في رسالته المسماة بـ « **روضة المحبين في فضائل صحابة سيد المرسلين ﷺ** » [1] وذلك ضمن مشروعه : « **تقريب سنة النبي الأمين بين يدي عوام المؤمنين** » وهذا من هذا الباب إن شاء الله .

ونسأل الله أن يحشرنا في زمرة أوليائه وأتقيائه الصالحين من الأنبياء والمرسلين ، والصحابة الغر الميامين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

ثم لنعلم جميعًا أن أكرم الخلق عند الله عز وجل ، وأخصهم بالزلفى

(١) غير أنِّي في هذا الكتاب قد توسعت بما تراه واضحًا إن شاء الله من تعليقات ونقولات وغير ذلك ، والله الموفق .

لديه ؛ رسله الكرام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

فهم المصطفون من عباده الذين سلم عليهم في العالمين ، فقال : ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات : ١٨١] .

وقال : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص : ٦٨] .

وأخبر سبحانه أنه أخلصهم : ﴿ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ ﴾ [ص : ٤٦] .

ويكفي في فضلهم وشرفهم أن الله سبحانه وتعالى اختصهم بوحيه ، وجعلهم أمناء على رسالته ، وخصَّهم بأنواع كراماته .

فمنهم من اتخذه خليلاً ، ومنهم من كلمه تكليمًا ، ومنهم من رفعه مكانًا عليًا ، ومنهم من سماه عبدًا شكورًا ، ومنهم من ألين الحديد في يديه، ومنهم من سخرت له الريح ، ومنهم من رفعه الله إليه حفظًا له من كيد الكائدين ، وأيده كذلك بمعجزة إبراء الأكمه والأبرص بإذنه تعالى، وإحياء الموتى بإذنه ، والنفخ في الطين فيكون طيرًا بإذن الله ، فكل ذلك كرامات ومعجزات يؤيد الله بها رسله وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام ، فليس لعبد مؤمن إلا التسليم .

أما نبينا محمد ﷺ فمعجزاته وفضائله لا يكاد يأتي عليها الحصر ، لذا فقد أرجأنا الحديث عنها إلى وقت لاحق إن شاء الله ، وقد أُلِّفت في ذلك الكتب ، وصُنِّفت في ذلك المصنفات ، فمن أراد الرجوع إليها فليرجع ، فكلٌ في بابه قد أفاد وأحسن وأجاد ، وفقنا الله والمسلمين لكل ما يحبه ويرضاه .

وقد حوى كتابُ ربنا سبحانه وتعالى ، ومعه سنة نبينا ﷺ كثيراً من فضائلهم وشمائلهم وخصائصهم العظيمة ، وبيانًا لمكانتهم العلية ، ودرجاتهم الرفيعة ، وأخلاقهم الحميدة ، من سمتٍ حسن ، وهدي صالح ، وتؤدة وسكينة ووقار ، وحسن هيئة ، وتواضع جم ، وحياء ، وحلم ، وصدق ، ووفاء ، وشجاعة ، وصبر ، وقوة يقين بالله ، وتوكل عليه ، وقد قال الله سبحانه : ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ** ﴾ [الأنعام : ٨٩ ـ ٩٠] .

هذا وإن هذا العمل جزء من كل ، وغيض من فيض في فضائل هؤلاء الصفوة الكرام ، من خلق الله عز وجل . وقد سبق أن نبهت أن هذا العمل لي فيه جزء كبير ، نسأل الله أن يُتمه على خير وصلاح وقد وسمته بـ « **الصحيح المسند من أحاديث الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام** » فمن أراد المزيد من تخريجات أو تعليقات بتوسعٍ وباستفاضة ، فليرجع إلى ذلكم الكتاب .

كما أنني أُنبه إلى أن عددًا ما من الأنبياء لم يرد في فضلهم إلا شيء من الوارد في الكتاب العزيز [١] ، ذلكم الكتاب الذي لا يمل قارئه قد حوى من سير هؤلاء القوم ما تطيب له النفوس ، وتقيم له الأفئدة .

وثم أنبياء آخرون لم يرد في فضلهم ولا في ذكر سيرهم إلا حديث أو

(١) فأعمد في هذه الحالة إلى إيراد جملة من الآيات التي تحكي لنا بعض مواقفهم وسيرهم مع أقوامهم ، فأجري في ذلك مجرى الحكاية ، وأحاول الاختصار فيها قدر الاستطاعة، فليعذرنا الأخوة إذا كان هناك بعض السرعة ، إذ ليس هذا شرط كتابنا كما هو معلوم .

حديثان من أحاديث سيد المرسلين محمد ﷺ . ولكن هذا الشيء قليل .

وأنبياء آخرون قد توسَّع القرآن الكريم ، وتوسعت السنة النبوية في عرض أحوالهم ، وبيان خصائصهم وفضائلهم ، وهذا إن استطعنا أن نحصرهم في جملة أولى العزم ونبيين دونهم أو ثلاثة لكان هو ، ولم نبعد عن الصواب .

وأيضًا من التنبيهات :

أننا ما أمرنا بالتفتيش والتنقيب عن أمورٍ لم يرد في ذكرها خبر في كتاب الله أو في سنة رسول الله ﷺ ومن تلك الأمور : البحث في أسماء آباء الأنبياء .

وهذا الباب كغيره من الأبواب التي عمدتنا فيها كتاب ربنا سبحانه ، والصحيح الثابت من سنة نبينا محمد ﷺ .

فلم يرد في ذكر أسماء آبائهم شيء إلا الشيء القليل والنزر اليسير الذي قد وصل إلينا خبره ، وورد إلينا ذكره ، كإبراهيم وهو ابن آزر ، وموسى وهارون وهما ابنى عمران ، وإسماعيل وإسحاق بنى إبراهيم ، ويعقوب بن إسحاق، ويوسف بن يعقوب ، ويحيى بن زكريا ، وسليمان بن داود ، أما الباقي فلم يأت خبر صحيح ينقل إلينا غير ذلك .

وقد قال ابن العربي (كما في « تفسير القرطبي » آية ص : ٤١) :

« ولم يصح عن أيوب في أمره إلا ما أخبرنا الله عنه في كتابه في آيتين ، في الأولى ، قوله تعالى : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ ﴾[الأنبياء:٨٣]. والثانية في « ص » : ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ [ص : ٤١] .

وأما النبي ﷺ فلم يصح عنه أنه ذكره بحرفٍ واحد إلا قوله : « **بينا أيوب يغتسل إذ خرَّ عليه رجْلُ جراد من ذهب** » الحديث .

وإذ لم يصح عنه فيه قرآن ولا سنة إلا ما ذكرناه [(١)] ، فمن الذي يوصل السامع إلى أيوب خبره ، أم على أي لسانٍ سمعه ؟ والإسرائيليات مرفوضة عند العلماء على البتات ، فأعرض عن سطورها بصرك ، وأصمم عن سماعها أذنيك ، فإنها لا تعطي فكرك إلا خيالاً ، ولا تزيد فؤادك إلا خبالاً» انتهى المراد .

فلزوم ما ورد في كتاب الله ، وفي سنة رسوله ﷺ هو الخيرعلى الإطلاق ، ولو كان في ذكر أسماء آبائهم نفع ، لبينه لنا ربنا سبحانه ، وبينه لنا رسولنا ﷺ ؛ فإرهاق العقل في مثل هذه الأمور تضييع للأوقات وتسويد للصفحات ،وإن ملئت بها كتب السير والتواريخ ، فأغلبها مأخوذ من صحف لا يوثق بها ، ولا يعتمد عليها ،كما قال الخطيب البغدادي ـ رحمه الله ـ [(٢)] :

« وإنما كره العلماء رواية أحاديث الأنبياء وأقاصيص بني إسرائيل المأخوذة عن الصحف مثل ما رواه وهب بن منبه ، وكان يذكر أنه وجده في كتب

---

(١) قلت : (القائل محمد) : بل قد ثبت لأيوب عليه السلام حرف آخر ، أخرجه ابن حبان كما في (« الموارد » ٢ / ٩٢٤) (٢٠٩١) وأبو يعلى في « مسنده » (٦ / ٢٩٩) بإسناد صحيح عن أنس بن مالك مرفوعًا به ، ولفظه : « إن أيوب نبي الله ﷺ لبث في بلائه ثماني عشرة سنة ... الحديث بطوله » وسأورده في فضائل أيوب عليه السلام فيما سيأتي إن شاء الله .

(٢) « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » (٢ / ١١٤) .

المتقدمين ، وتلك الصحف لايوثق بها ، ولا يعتمد عليها » .

هذا وأسأل الله العظيم ، رب العرش العظيم ، بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتي يوم ألقاه ، وأن لا يجعل للشيطان فيه حظ ولا نصيبٌ ، وأن يُكلِّل أعمالنا دائمًا وأبدًا بالإخلاص ، وأن يحشرنا جميعًا في زمرة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقًا .

وصلى الله وسلم وبارك على محمد النبي الأمين ، وعلى آله وصحبه والتابعين ، وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

كتبه

أبو عبد الله / محمد العفيفي

صباح الأحد ٢٤ ذي القعدة ١٤٢١هـ

فضائل عامة لجميع النبيين والمرسلين (1)

---

(1) هذا ؛ وقد فضَّل الله النبيين بعضهم على بعض ، وليس ذلك بمنقص لمرتبة أي أحد منهم ، بل كل في منزلته التي أنزله الله إياها . ويدلُّ على هذا التفاضل في المنزلة بينهم ، قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [الإسراء: ٥٥] ، وقوله : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ [البقرة : ٢٥٣].

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ (« التفسير » ٩/ ٣٠ قرطبة) :

« وهذا لا ينافي ما في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **لا تفضلوا بين الأنبياء** » ، فإن المراد من ذلك هو التفضيل بمجرد التشهي والعصبية ، لا بمقتضى الدليل، فإن دل الدليل على شيء وجب اتباعه ، ولا خلاف أن الرسل أفضل من بقية الأنبياء ، وأن أولي العزم منهم أفضلهم ، وهم الخمسة المذكورون نصاً في آيتين من القرآن في سورة الأحزاب : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ [الأحزاب : ٧] ، وفي الشورى في قوله : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [الشورى : ١٣] ولا خلاف أن محمداً ﷺ أفضلهم ، ثم بعده إبراهيم ، ثم موسى على المشهور ، وقد بسطنا هذا بدلائله في غير هذا الموضع ، والله الموفق » .

• وجوب الإيمان بالأنبياء والمرسلين •

فالإيمان بهم أصل من أصول الإيمان بالله تعالى ، وركن من أركان الدين وهو واجب على كل مسلم ، ولذا فقد أمر الله بذلك عباده المؤمنين بقوله : ﴿ **قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** ﴾ [البقرة: ١٣٦] . وقال عز من قائل : ﴿ **فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ** ﴾ [آل عمران : ١٧٩] .

والآيات في هذا الباب كثيرة .

○ وفي حديث رسول الله ﷺ حين سأله جبريل عن الإيمان ، فقال له رسول الله ﷺ : « **أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره** » (١) .

وقال في دعاء التهجد : « **والنبيون حق** » (٢) .

فهم رسل الله تعالى إلى خلقه ، وهم حملة دينه عز وجل إلى الناس ، والهداة إلى الحق ، وأصحاب رسالات السماء إلى الأرض .

هذا هو الواجب على المؤمن الإيمان به .

كما أنه يجب عليه أن يؤمن بجميع ما جاءت به الرسل ، وأن يعلم أنه حق ، ويقين ، لا شك فيه ، ولا مرية فيه ولا إشكال ، وأن يعلم أن ما يخرج منهم كله حق وصدق ، كما قال أهل الإيمان : ﴿ **وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي**

---

(١) حديث صحيح . أخرجه مسلم (حديث ٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
(٢) حديث صحيح . أخرجه البخاري (١١٢٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف : ٤٣] .

○ وفي « سنن أبي داود » [1] و « مسند أحمد » بإسنادٍ حسن من حديث عبد الله بن عمرو قال : « كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه ، فنهتني قريش ، وقالوا : أتكتب كل شيء تسمعه ، ورسول الله ﷺ بشر ، يتكلم في الغضب والرضا ، فأمسكت عن الكتاب ، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ ، فأومأ بأصبعه إلى فيه ، فقال : « **اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق** » .

ورب العزة يقول في كتابه الكريم : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم : ٣ ـ ٤] .

وقد وعد الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بالأجر العظيم ، واستحقاق جنة النعيم ، بتصديق جميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ، كما قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [الحديد : ١٩] ، وكما قال تعالى : ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الحديد : ٢١] .

○ أما من آمن بالبعض وكفر بالبعض الآخر ، فهو كافر بجميعهم ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ

---

(١) (برقم: ٣٦٤٦) وأحمد (٢ / ١٦٢) وكذا الحاكم في «المستدرك» (١/ ١٠٥ ، ١٠٦).

وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (١٥٠) أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [النساء : ١٥٠ ـ ١٥١] .

وكذلك الحال فيمن آمن بجميع الرسل عدا رسولٍ واحد ، فهو كافر بجميعهم أيضًا ، فقوم نوح عليه السلام ما كذبوا إلا نبيهم نوحًا عليه السلام، ومع ذلك اعتبر تكذيبهم لنوح عليه السلام تكذيبًا لجميع الرسل الكرام . قال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٠٥] ، وهلمّ جرّا في سائر الأقوام الذين كذبوا رسلهم ، كما في قوله : ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء : ١٢٣] ، وكما في قوله : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٠] .

قال ابن عُثيمين ـ رحمه الله تعالى ـ [1] :

« والإيمان بالرسل يتضمن أربعة أمور :

الأول : الإيمان بأن رسالتهم حق من الله تعالى ، فمن كفر برسالة واحد منهم فقد كفر بالجميع . كما قال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء : ١٠٥] . فجعلهم الله مكذبين لجميع الرسل ، مع أنه لم يكن رسول غيره حين كذبوه ، وعلى هذا فالنصارى الذين كذّبوا ـ محمدًا ـ ﷺ ولم يتبعُوه هم مكذّبون ـ للمسيح بن مريم ـ غير متبعين له أيضًا ، لاسيما وأنه قد بشرهم ـ بمحمد ﷺ ولا معنى لبشارتهم به إلا أنه رسول إليهم ينقذُهم الله بهم من الضلالة ، ويهديهم إلى صراط مستقيم .

الثاني : الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه مثل : محمد ، وإبراهيم ،

---

(١) (« شرح أصول الإيمان » ٣٦ ـ ٣٨) .

وموسى ، وعيسى ، ونوح عليهم الصلاة والسلام وهؤلاء ـ الخمسة ـ هم أولو العزم من الرسل ، وقد ذكرهم الله تعالى في موضعين من القرآن في (سورة الأحزاب) في قوله : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب : ٧] وفي (سورة الشورى) في قوله : ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى : ١٣] .

وأما من لم نعلم اسمه منهم فنؤمن به إجمالاً قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾[غافر: ٧٨] .

الثالث : تصديق ما صحَّ عنهم من أخبارهم .

الرابع : العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم ، وهو خاتمهم ـ محمد ﷺ ـ المرسل إلى جميع الناس قال الله تعالى : ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥] .

وللإيمان بالرسل ثمرات جليلة منها :

الأولى : العلم برحمة الله تعالى وعنايته بعباده حيث أرسل إليهم الرسل ليهدوهم إلى صراط الله تعالى ، ويبينوا لهم كيف يعبدون الله ، لأن العقل البشري لا يستقل بمعرفة ذلك .

الثانية : شكره تعالى على هذه النعمة الكبرى .

الثالثة : محبة الرسل عليهم الصلاة والسلام وتعظيمهم ، والثناء عليهم بما يليق بهم ، لأنهم رسل الله تعالى ، ولأنهم قاموا بعبادته ، وتبليغ

رسالته ، والنصح لعباده .

وقد كذَّب المعاندون رسلهم زاعمين أن رسل الله تعالى لا يكونون من البشر ! وقد ذكر الله تعالى هذا الزعم وأبطله بقوله : ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٤ ـ ٩٥] . فأبطل الله تعالى هذا الزعم بأنه لابد أن يكون الرسول بشرًا لأنه مرسل إلى أهل الأرض ، وهم بشر ، ولو كان أهل الأرض ملائكة لنزَّل الله عليهم من السماء ملكًا رسولا ، ليكون مثلهم ، وهكذا حكى الله تعالى عن المكذبين للرسل أنهم قالوا : ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [إبراهيم : ١٠ ـ ١١] » انتهى .

• علو مرتبة النبيين والمرسلين في الدنيا والآخرة •

○ قال تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾[النساء : ٦٩] .

○ وقال تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ﴾[الأنعام: ٨٩] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴾ [ص : ٤٧] .

○ وفي « الصحيحين » (١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق ، من المشرق إلى المغرب ، لتفاضل ما بينهم ، قالوا : يارسول الله ، تلك منازل الأنبياء ، لا يبلغها غيرهم ؟ قال : بلى، والذي نفسي بيده ، رجال آمنوا بالله ، وصدقوا المرسلين** » .

---

(١) البخاري (٣٢٥٦) ومسلم (نووي ١٧ / ١٦٩) .
قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في « الفرقان » (ص ٩٩) : « وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أولياء الله تعالى على أن الأنبياء أفضل من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء ، وقد رتَّب الله عباده السعداء المنعم عليهم « أربع مراتب » فقال تعالى : ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء : ٦٩] .
وفي الحديث : « ما طلعت الشمس ولا غربت على أحدٍ بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر » .
قلت : (القائل محمد) : وهو حديث ضعيف ، وقد أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد « فضائل الصحابة » (٥٠٨) (١ / ٣٥٢) وعبد بن حميد في « المنتخب » (١/ ٢١٧ بتحقيق شيخنا العدوي حفظه الله) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعًا ولفظه : « ما طلعت الشمس ولا غربت على أحدٍ أفضل أو خير من أبي بكر إلا أن يكون نبي » .

● تأييد الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلا م بالآيات والمعجزات ●

فكل نبي قد أتى بمعجزة تدل على صدق نبوته ورسالته ، وحجة يتحدى بها قومه .

○ قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ [الحديد : ٢٥] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ [الروم : ٤٧] .

○ وأخرج البخاري (١) ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « **ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليَّ ، فأرجوا أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة** » .

---

(١) (برقم : ٤٩٨١) ومسلم (حديث ١٥٢) .
قلت : وقد كانت معجزة كل نبي تقع مناسبة لحال قومه ، كما كان السحر فاشيًا عند فرعون ، فجاء موسى بالعصا على صورة ما يصنع السحرة ، لكنها تلقفت ما صنعوا ، وكذلك إحياء عيسى الموتى وإبراء الأكمه والأبرص لكون الأطباء والحكماء كانوا في ذلك الزمان في غاية الظهور ، فأتاهم من جنس عملهم بما لم تصل قدرتهم إليه ، ولهذا لما كان العرب الذين بعث فيهم النبي ﷺ في الغاية من البلاغة ، جاءهم بالقرآن الذي تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله ، فلم يقدروا على ذلك . انتهي من « الفتح » (٩/ ٦ ـ ٧) وبنحوه قاله الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ في (« البداية والنهاية » ٢ / ٨٥ ، ٨٦ ط الحديث) .

• سلام الله على الأنبياء في العالمين •

○ قال تعالى : ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ﴾[النمل : ٥٩] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات : ١٨١] .

• رقة النبي ﷺ عند ذكر إخوانه الأنبياء •

كذا بَوَّب الإمام أبو عوانة في « صحيحه » (١ / ١٦١) وأورد تحته هذا الحديث :

○ عن عبد الله بن السائب قال : « صلى بنا النبي ﷺ الصبح بمكة فاستفتح سورة « المؤمنين » حتى جاء ذكر موسى وهارون ـ أو [١] ذكر عيسى ـ أخذت النبي ﷺ سعلة [٢] فركع » [٣] .

---

(١) شك من أحد الرواة .

(٢) وفي رواية (أخذت النبي ﷺ سعلة ، فحذف ، فركع) ، وقوله : فحذف ، أي : ترك القراءة .

قلت : وهذه الرقة التي أخذته ﷺ حين جاء ذكر موسى وهارون مع أنه جاء قبله ـ كما في السورة الكريمة ـ ذكر نوح عليه السلام ، فلعله عليه السلام تذكر لهما حالاً من الأحوال الجالبة لهذه الرقة وهذه الشفقة مالم يتذكره لنوح عليه السلام ، وقد كان النبي ﷺ دائمًا يسلي مصابه بموسى عليه السلام ، كما قال : « يرحم الله موسى لقد أوذي أكثر من ذلك فصبر » والله أعلم .

(٣) حديث صحيح . أخرجه مسلم (نووي ٤ / ١٧٧) وأحمد (٣ / ٤١١) وابن خزيمة (٥٤٦) وأبو عوانة في « مسنده » (١ / ١٦١) .

• في قصص المرسلين عبر وعظات •

○ قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف : ١١١].

○ وقال تعالى : ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٦] .

• وفي ذكْرها طمأنة وتثبيت للقلب •

○ قال تعالى : ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [هود : ١٢٠] .

• فبهداهم اقتده •

○ قال تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام : ٩٠] .

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ في « التفسير » :

« أولئك : يعني الأنبياء المذكورين مع من أضيف إليهم من الآباء ، والذرية والإخوان ، وهـم الأشباه ، الذين هدى الله ، أي : هم أهل الهداية لا غيرهم . فبهداهم اقتده ، أي : اقتد ، واتبع ، وإذا كان هذا أمراً للرسول ﷺ ، فأمته تَبَعٌ له فيما يشرعه ، ويأمرهم به » . انتهى .

• معالم لمعرفة الأنبياء [1] •

(١) وهي رؤوس عناوين وأقلام ، أضعها بين يدى القارئ الكريم ، دون سردٍ لأدلتها ، وإنما أشير إليها فقط إشارات ، وألمح إليها تلميحات ، ومن أراد البسط لها والتفصيل فلينظر مقدمتي لكتاب (« أحاديث الأنبياء » لعبد الغني المقدسي ـ رحمه الله ـ) وقد طبعته دار ابن رجب بالمنصورة .

• معالم لمعرفة الأنبياء •

○ التفريق بين النبي والرسول (١) .

○ فضل العبد الرسول على الملك الرسول .

○ كثرة عدد الأنبياء والرسل .

○ آدم أول الأنبياء ، ونوح أول الرسل ، ومحمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

○ بشرية الرسل عليهم الصلاة والسلام .

○ وقوع الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية .

أ ـ كالأكل والشرب .

ب ـ والزواج والجماع .

ج ـ والنسيان .

د ـ والنوم .

---

(١) وعلى وجه السرعة ، فالذي رجحه شيخ الإسلام في هذا الباب هو أن هناك فرقًا بين النبي والرسول ، مفاده أن النبي هو الذي بعثه الله بشريعة يأمره تعالى بتبليغها (فقول من قال : « النبي لم يؤمر بالتبليغ » قول ضعيف) وهذا التبليغ يكون لأتباعه ، وليس للمخالفين ، فالإرسال فيهم مقيد ، وهل الشريعة التي أمر بتبليغها هي شريعة من قبله أو هي جديدة ؟ ذهب إلى الأول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وأكثر أهل العلم.

أما الرسول : فهو الذي بعثه الله بشريعة يدعو جميع الناس في وقته إليها « سواء المخالفين أو الموافقين » «سواء كانت شريعة جديدة أو شريعة من قبله» انظر : «النبوات» (٢٥٥ ـ ٢٥٦) .

هـ ـ والمرض والموت .

○○ **الرسل لا تعلم الغيب إلا ما أعلمهم الله وأطلعهم عليه .**

● **من خصائص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .**

ونورد ذلك هنا على وجه السرعة ، فقد بسطنا القول في ذلك بأدلته في كتابنا المشار إليه قبل ، فمن ذلك :

○ الوحي .

○ العصمة .

○ تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم .

○ المعجزات التي يؤيدهم الله بها .

○ أحياء في قبورهم (١) .

○ تخييرهم عند الموت .

○ قبض أرواحهم في أطيب مكان يحبونه .

○ حرم الله على الأرض أن تأكل أجسامهم .

○ ميراثهم الذي ورثوه هو العلم .

● **حلية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .**

○ السمت الحسن ، والهدى الصالح ، والتؤدة والاقتصاد .

---

(١) وهي حياة برزخية ، لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى ، وقد قال النبي ﷺ : « مررت ليلة أسري بي بموسى ، فإذا هو عند الكثيب الأحمر قائم يصلي » ، وسيأتي في فضائل نبي الله موسى عليه السلام .

○ الحياء .

○ التواضع .

○ الكرم .

○ الصدق .

○ الشجاعة .

○ الوفاء .

○ حسن الصوت والترنم به عند التلاوة .

○○ لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها .

● **وظائف الرسل عليهم الصلاة والسلام .**

○ التبليغ . « تبليغ الشريعة » .

○ الدعوة . « الدعوة إلى التوحيد » .

○ التبشير والإنذار .

○ إقامة الحجة على الخلق .

○ سياسة الأمم والأقوام .

○ لكل نبي بطانتان .

○ لكل نبي أنصار .

○ لكل نبي أتباع .

○○ الأنبياء أشد الناس بلاءً .

○ إهلاك المخالفين للرسل ، ونجاة المؤمنين .

● **حقوق الرسل عليهم الصلاة والسلام :**

○ وجوب الاستجابة والطاعة المطلقة لهم .

○ تحريم الغلو والإطراء معهم .

○ حرمة اتخاذ قبورهم مساجد .

○ حرمة تمثيل شخصياتهم .

○○ موت الأنبياء جميعهم وعدم بقاء أحدٍ منهم على البسيطة [١] .

● **حال الرسل والأنبياء يوم العرض والجزاء :**

○ كلام الرب مع الأنبياء .

○ كل أمة تتبع نبيها في أرض المحشر .

○ سؤال الأنبياء عن التبليغ [٢] والأقوام عن الإجابة .

○ شهادة الأنبياء على أممهم .

○ شعار الرسل على الصراط : اللهم سلم سلم .

○ شفاعة الأنبياء والرسل .

---

(١) وفي هذا رد على من زعم وقال بحياة الخضر وإلياس عليهما السلام . ويكفي في إبطال هذا ؛ قول الله سبحانه : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ (٣٤) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ [الأنبياء : ٣٤ ـ ٣٥] .

(٢) وسؤاله تعالى لهم سؤال استشهاد بهم وإفضاح ، أي من جواب قومهم لهم . وسؤاله للأمم سؤال تقريع وتوبيخ وإفضاح .

○ وأختم هذه المعالم بمسألة مهمة ننقل فيها رأي شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ ألا وهي هل شريعة الأنبياء قبلنا شريعة لنا أم لا ؟

قال شيخ الإسلام في « التوسل والوسيلة » (رقم : ٥١٠) (ص ١٧٦):

« النزاع في ذلك مشهور ، لكن الذي عليه الأئمة ، وأكثر العلماء أنه شرع لنا مالم يرد شرعنا بخلافه ، وهذا إنما هو فيما ثبت أنه شرع لمن قبلنا من نقل ثابت عن نبينا ﷺ ، أو بما تواتر عنهم ، لا بما يروى على الوجه(١) ، فإن هذا لا يجوز أن يحتج به في شرع المسلمين أحد من المسلمين» انتهى المراد .

قال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام : ٩٠] .

(١) أي من الإسرائيليات .



من فضائل آدم عليه السلام (1)

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ ﴾

(1) وآدم هو أبونا وأبو الخلق جميعهم ، وهو نبي قد اصطفاه الله واجتباه ، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ ﴾ [آل عمران : ٣٣] ، وكما قال : ﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ ﴾ [طه : ١٢٢] .

قلت : وقد جمع أبو إسحاق الثعلبي ـ رحمه الله ـ (1) خصائصه تحت بابٍ سماه : «الخصائص التي خص الله بها آدم عليه السلام » فقال : « خلق الله آدم بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وجعله خاتمة خلقهِ في أحسن صورة ، وأقسم عليه ، فقال عز من قائل: =

(1) في « عرائس المجالس » (ص ٥٥ ، ٥٦) ، وهو أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري ، المتوفى سنة ٤٢٧هـ .

. . . .

= ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ ۝ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين : ١ ـ ٤] ، ولقَّنه الحمد حين عطس ، ثم قال له : يرحمك الله ، فسبقت له رحمته غضبه ، وأسكنه بعد خلقه الجنة بلا عمل ، وأباح له جميع الجنة إلا شجرة واحدة ، وعلَّمه الأسماء كلها ، وأمر الملائكة بالسجود له وأمرهم بالتلقين ، وجعله أبا البشر ، وجعله خليفة في الأرض ، وعرَّف الملائكة فضله عليهم ، ولعن إبليس من أجله مع كثرة عبادته، وعاتب الملائكة بسببه ، وهو أول حامد ، وأول تائب ، وأول مجتبي ، وأول مصطفى ، وأول خليفة لله في الأرض ، وهو المميز للأرواح الخبيثة من الطيبة ، وهو الباعث يوم القيامة بعث النار من ذريته ؛ فهذه ثلاث وعشرون خصلة من خصائصه ﷺ ، وشرفه ، وكرمه ، والله أعلم » .

قلت (محمد) : وسيأتي تفصيل كل ذلك بأدلته من الكتاب والسنة إن شاء الله ، وكل ما أتى به مُوافَق عليه ؛ باستثناء أشياء طفيفة ، كقوله : « وأمرهم بالتلقين » ، «وجعله خاتمة خلقه . . » ، أما قوله : « وهو أول حامد ، وأول تائب . . » فممكن له الموافقه بذلك ، غير أن الأولية مفتقرة إلى ما يُسْندها ؛ والله أعلم .

● من فضائل آدم أبي الأنبياء عليه السلام ●

● خلقه الله بيده [١] ●

○ قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[ص : ٧١ ـ ٧٥].

○ وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾[الحجر : ٢٨ ـ ٢٩].

○ وأخرج البخاري ومسلم [٢] من حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال : « **يجمع الله المؤمنين يوم القيامة كذلك [٣] ، فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا ، فيأتون آدم ، فيقولون : يا آدم [٤] أما ترى الناس ؟ خلقك الله بيده .... الحديث** » .

○ وسيأتي قول كليم موسى عليه السلام مخاطبًا أباه بقوله : ﴿ **أنت آدم** ـ وفي رواية ـ **أنت أبونا ـ الذي خلقك الله بيده ؟** ﴾ .

---

(١) وعليه ؛ فإننا نثبت لله صفة من صفاته ، ألا وهى « اليد » فنثبتها كما أثبتها سبحانه وتعالى لنفسه ، وكما أثبتها نبينا محمد ﷺ في سنته ، من غير تمثيل ولا تعطيل ، أو تكييف ، أو تشبيه ، أو تحريف ، جلَّ ربنا عن النظير وعن الشبيه . فلا نحرِّف الصفات كما حرَّف أقوام ، ففسروا اليد بالقدرة ، فخالفوا أهل السنة والجماعة الذين اهتدوا بهدى الله ، وهدى رسول الله ﷺ .

(٢) خ (٧٤١٠) وم (١٩٣) .

(٣) وفي رواية مسلم : فيهتمون لذلك ، أو : فيلهمون .

(٤) عند مسلم : « أنت آدم أبو الخلق » .

● وخلق آدم ﷺ على صورته

ـ دون انتقـــال في النشـأة ـ [١] ●

○ وهذا من فضائله ﷺ : ففي الصحيحين [٢] من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **خلق آدم على صورته طوله ستون ذراعًا.... الحديث** » .

○ وأخرج مسلم في « صحيحه » [٣] من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا قاتل أحدكم أخاه ، فليجتنب الوجه ، فإن الله خلق آدم على صورته** » [٣].

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ في « الفتح » (٦ / ٣٦٦) عقب الحديث الأول من الباب : وهذه الرواية تؤيد قول من قال : إن الضمير لآدم، والمعنى : **أن الله تعالى أوجده على الهيئة التى خلق عليها ، لم ينتقل في النشأة أحوالاً ، ولا تردّد في الأرحام أطوارًا كذريته ، بل خلقه الله**

(١) فلم يكن نطفة فعلقة ، ولا علقة فمضغة ، ولا مضغة فرضيعًا ، ولا رضيعًا ففطيمًا ، ولا فطيمًا فشابًا ، كما هو حال غيره ، وهذا من الفضائل له عليه السلام ، كما سيأتى في النقل عن ابن حبان رحمه الله .

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٢٧) ومسلم (٢٨٤١) .

(٣) (ص ٢٠١٧) . (١٦/ ١٦٥ ، ١٦٦ نووي) .

(٣) وقد ورد في طرق الحديث زيادة : « على صورة الرحمن » وقد أنكرها جمع الحفاظ كابن خزيمة ـ رحمه الله ـ وقد استفاض في بيان ذلك استفاضة واسعة في غير ما مؤلف له الشيخ العلامة المحقق محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله ومن ذلك « السلسلة الضعيفة » له (برقم ١١٧٦) و « صحيح الأدب المفرد » (برقم ٧٤٩ ص : ٣٧٤) ، وراجع نقل النووي قول المازري في « شرحه لمسلم » (١٦/ ١٦٦) .

رجلاً كاملاً سويًا من أول ما نفخ فيه الروح . انتهى .

واستطرد أبو حاتم ابن حبان في « صحيحه » (١٤ / ٣٤ ، ٣٥) قائلاً في بيان ذلك بيانًا شافيًا : « فمعنى الخبر عندنا بقوله ﷺ : « **خلق الله آدم على صورته** » إبانة فضل آدم على سائر الخلق .

والهاء راجعة إلى آدم ، والفائدة من رجوع «الهاء» إلى آدم دون إضافتها إلى البارئ جلا وعلا ـ جلَّ ربنا وتعالى عن أن يُشبَّه بشيءٍ من المخلوقين ـ أنه جلَّ وعلا ، جعل سبب الخلق الذى هو المتحرك النامي بذاته اجتماع الذكر والأنثى ، ثم زوال الماء عن قرار الذكر إلى رحم الأنثى ، ثم تغير ذلك إلى العلقة بعد مدة ، ثم إلى المضغة ، ثم إلى الصورة ، ثم إلى الوقت الممدود فيه ، ثم الخروج من قراره ، ثم الرضاع ، ثم الفطام ، ثم المراتب الأخر على حسب ما ذكرنا ، إلى حلول المنية به . هذا وصف المتحرك النامى بذاته من خلقه ، وخلق الله جل وعلا آدم على صورته التى خلقه عليها ، وطوله ستون ذراعًا ، من غير أن تكون تقدمة اجتماع الذكر والأنثى ، أو زوال الماء، أو قراره ، أو تغيير الماء علقة أو مضغة ، أو تجسيمه بعده ، فأبان الله بهذا فضله على سائر من ذكرنا من خلقه ، بأنه لم يكن نطفة فعلقة ، ولا علقة فمضغة ، ولا مضغة فرضيعًا ، ولا رضيعًا ففطيمًا ، ولا فطيمًا فشابًا ، كما كانت هذه حالة غيره » انتهى .

* * *

• وخلق في خير الأيام وأفضلها •

○ أخرج مسلم في « صحيحه »(١) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « **خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها ، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة** » .

○ وعن أوس بن أوس قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة ، قال** : قالوا يا رسول الله : وكيف تعرض صلاتنا عليك ، وقد أرمت ـ يقولون : بليت . فقال : « **إن الله عزوجل حرم على الأرض أجساد الأنبياء** »(٢) .

---

(١) (٨٥٤) . قال النووي رحمه الله : قال القاضي عياض : الظاهر أن هذه الفضائل المعدودة ليست لذكر فضيلته ، لأن إخراج آدم ، وقيام الساعة ، لا يعد فضيلة ، وإنما هو بيان لما وقع فيه من الأمور العظام ، وما سيقع ليتأهب العبد فيه بالأعمال الصالحة لنيل رحمة الله ودفع نقمته .
وقال أبو بكر ابن العربي في كتابه الأحوذي في شرح الترمذي : الجميع من الفضائل ، وخروج آدم من الجنة ، هو سبب وجود الذرية ، وهو النسل العظيم ، ووجود الرسل والأنبياء ، والصالحين والأولياء ، ولم يخرج منها طردًا ، بل لقضاء أوطار ثم يعود إليها . وأما قيام الساعة فسبب لتعجيل جزاء الأنبياء والصديقين والأولياء وغيرهم ، وإظهار كرامتهم وشرفهم ، وفي هذا الحديث فضيلة يوم الجمعة ، ومزيته على سائر الأيام . اهـ .

(٢) حديث صحيح . أخرجه أبو داود (١٠٤٧ ، ١٦٣١) وأحمد (٤ / ٨) والنسائي (٣ / ٩١ ، ٦٢) وابن ماجه (١٠٨٥ ـ ١٦٣٦) وابن حبان في « صحيحه » (حديث ٩١٠) وغيرهم ، وقد أعل بما لا يقدح والله أعلم .
قلت : ولا تعارض بين هذا الحديث ، وبين ما ثبت في حديث : « عظام يوسف » وسيأتي ، فإن العظام تطلق ويراد بها البدن ، كما قال الصحابة لرسول الله ﷺ : «هلا صنعنا لك منبراً يحمل عظامك » أي : يحمل بدنك ، والله أعلم . وسيأتي ذلك في باب فضائل يوسف ﷺ .

• طرفٌ في وصف خلق آدم ﷺ وجملة من الأحاديث الواردة في ذلك •

○ قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن طِينٍ ﴾[ص : ٧١] .

○ وقال تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران : ٥٩] .

○ وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾(١)[الحجر: ٢٦] .

○ وقوله تعالى : ﴿ خَلَقَ الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ [الرحمن : ١٤] .

○ وقال تعالى : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ [الصافات : ١١] .

○ وأخرج مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « **خلقت الملائكة من نور ، وخلقت الجان من مارج من**

---

(١) وهنا سؤال قد يطرح ألا وهو أنه قد جاء في هذه النصوص الكريمة ما يثبت أن الإنسان وهو آدم عليه السلام خلق من تراب ، وفي بعضها من طين ، وفي البعض من طين لازب ، ثم ورد أنه خلق من صلصال كالفخار ، فما هو الجمع بين هذه النصوص ؟
أجاب على ذلك العلامة الشنقيطي رحمه الله (*) بعد ما طرح سؤالاً قريبًا من الذي سقناه فقال : « ظاهر هذه الآية أن آدم خلق من صلصال ، أى : من طين يابس ، وقد جاء في آيات أخر ما يدل على خلاف ذلك ، كقوله تعالى : ﴿ مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ (الصافات: ١١) وكقوله : ﴿ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ﴾ (آل عمران : ٥٩) والجواب : أنه ذكر أطوار ذلك التراب ، فذكر طوره الأول بقوله : ﴿ مِن تُرَابٍ ﴾ ، ثم بُلَّ فصار طينًا لازبًا ، ثم خمر فصار حمأ مسنونًا ، ثم يبس فصار صلصالاً كالفخار ، وهذا واضح والعلم عند الله » .

(*) في « دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب » (١٣١) .

نار ، وخلق آدم مما وصف لكم » (١) .

○ وعن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **إن الله عزوجل خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، فجاء منهم الأبيض ، والأحمر ، والأسود وبين ذلك ، والخبيث والطيب ، والسهل ، والحَـزَنُ وبين ذلك** » (٢) .

○ وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « **خلق آدم على صورته طوله ستون ذراعًا** » الحديث (٣) وقد سبق .

○ وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « **لما صور الله آدم في الجنة ، تركه ما شاء الله أن يتركه ، فجعل إبليس يطيف به ينظر ما هو ، فلما رآه أجوف عرف أنه خلُق لا يتمالك** » (٤) .

---

(١) أخرجه مسلم (٦٩٩٦) وأحمد (٦ / ١٥٣ ، ١٦٨) وابن مندة في «التوحيد » (٧٣) وفيه « وخلق إبليس من نار السموم » .

(٢) حديث صحيح ، أخرجه أبو داود (٤٦٩٣) وأحمد (٤ / ٤٠٠ ، ٤٠٦) والترمذي (٢٩٥٥) وعبد بن حميد (٥٤٩) وابن حبان (موارد ٢٠٨٣) والحاكم(٢ / ٢٦١ ، ٢٦٢) والخطابي في العزلة (ص ٧٣) باب اختلاف طبقات الناس . من طريق : عوف الأعرابي عن قسامة بن زهير .

(٣) حديث صحيح ، أخرجه البخاري (٦٢٢٧) ومسلم (٢٨٤١) .

(٤) حديث صحيح ، أخرجه مسلم (٢٦١٧) وأحمد (٣ / ١٥٢ ، ٢٢٩ ، . . .) وابن مندة في « التوحيد » (١٣٨٦) وعبد بن حميد (١٣٨٦) من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضى الله عنه .

قال النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في « شرحه على صحيح مسلم » (١٦/ ١٦٤) :

« ومعنى : لا يتمالك ، لا يملك نفسه ، ويحبسها عن الشهوات ، وقيل : لا يملك دفع الوسواس عنه ، وقيل : لا يملك نفسه عند الغضب ، والمراد جنس بني آدم » .

○ وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « **لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام مسح على ظهره ، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة ، فجعل بين عيني كل إنسان وبيصًا من نور ، ثم عرضهم على آدم ، فقال : أي رب من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء ذريتك ، قال : فرأى رجلاً يقال له داود ، فقال ، أي رب كم جعلت عمره ؟** . . الحديث»[(١)] .

○ وعن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال : « **خلق الله آدم حين خلقه فضرب كتفه اليمنى فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الذر . وضرب كتفه اليسرى ، فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحمم ، فقال للذي في يمينه : إلى الجنة ، ولا أبالى ، وقال للذي في كتفه اليسرى : إلى النار ولا أبالى** » [(٢)] .

○ وفي رواية عند أحمد [(٣)] بإسنادٍ حسن عن عبد الله بن قتادة السلمي أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن الله عزوجل خلق آدم ، ثم أخذ الخلق من ظهره ، وقال : هؤلاء في الجنة ولا أبالى ، وهؤلاء في النار ولا أبالى،** قال : فقال قائل : يا رسول الله فعلى ماذا نعمل ؟ **قال : على مواقع القدر**» .

---

(١) حديث صحيح ، أخرجه الترمذي (٣٠٧٦ ، ٣٠٧٨) وابن حبان (الإحسان / ٦١٦٧) والفريابي في كتاب « القدر » له (حديث ١٩) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه .

(٢) حديث حسن ، أخرجه عبد الله في (« الزوائد » ٦ / ٤٤١) وفي « السنة » (١ / ٤٤١) ، وصحح إسناده محدث العصر ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالى في «الصحيحة» (حديث ٤٩) .

(٣) أخرجه أحمد (١٨٦/٤) والحاكم (٣١/١) وقال : صحيح ، وابن أبي زمنين في «أصول السنة» (حديث ١١٩) وابن حبان في «صحيحه» (٢ / ٣٣٨) واللالكائي في « أصول الاعتقاد » (٤ / ١٠٨١) .

○ وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « **إنما سمى آدم لأنه خلق من أديم الأرض ، وإنما سمي الإنسان لأنه نسى** »[١] .

(١) إسناده صحيح ، أخرجه ابن مندة في « التوحيد » (١ / ٢١٠) (٧٧) وابن جرير في « تفسيره » (١٦ / ٢٢١) .

قلت : وفي تسمية آدم بذلك أقوال أخر ، انظرها في « الفتح » (٦/ ٤١٩) للحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ .

وقد قال قوم بأن الله عز وجل هو الذي سماه بذلك ، ولا حاجة بنا إلى تعليل التسمية، والله أعلم .

• تشميت الله عز وجل لآدم وقوله (يرحمك الله) حين عطس حال نفخ الروح فيه وبلوغهِ رأسَه •

○ أخرج الترمذي من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « **لما خلق الله آدم عطس ، فألهمه ربه أن قال : الحمد لله ، قال له ربه : يرحمك الله ، فلذلك سبقت رحمته غضبه** » [(١)] .

○ وفي رواية [(٢)] : « **خلق الله آدم بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأمر الملأ من الملائكة فسجدوا له ، فجلس فعطس فقال : الحمد لله ، فقال له ربه : يرحمك الله** » .

○ وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « **لما نفخ الله في آدم الروح فبلغ الروح رأسه ، عطس فقال : الحمد لله رب العالمين ، فقال له تبارك وتعالى: يرحمك الله** » [(٣)] .

---

(١) حديث صحيح لغيره ، أخرجه الترمذي (٣٣٦٨) والحاكم (١ / ٦٤) وابن حبان (٢ / ٢٠٨٠ حديث ٢٠٨٢) (٩٢٠ موارد) .

(٢) وهي صحيحة . وانظر (« أحاديث الأنبياء » لابن عبد الواحد المقدسي) (رقم٣ بتحقيقي) .

(٣) حديث صحيح ، أخرجه ابن حبان (« الإحسان » ٦١٦٥) من طريق : حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضى الله عنه .

فائدة : اعلم أن تشميت العاطس من حقوق المسلم على أخيه ، وذلك لما أخرجه البخاري (٦٢٢٢) ومسلم (٢٠٦٦) من حديث البراء بن عازب رضى الله عنه : أمرنا رسول الله ﷺ بسبع ومنها : (... **تشميت العاطس**) . وأخرج البخاري أيضًا (٦٢٢٣) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب، فإذا عطس فحمد الله فحق على كل مسلم سمعه أن يشمته . . » الحديث .

=

. . . .

= ولكن هذا الحديث من العام المخصوص فتشميت العاطس أمر عام ، لكنه - ككثير من الأمور العامة - مخصوص بما سوى هذه الأصناف :

أولاً : من لم يحمد الله عند عطسه ، فذلك لا يشمت ، وذلك لما أخرجه البخاري (٦٢٢١) ومسلم (٢٩٩١) من حديث أنس رضى الله عنه قال : عطس رجلان عند النبي ﷺ ، فشمت أحدهما ولم يشمت الآخر فقيل له ، فقال : « هذا حمد الله ، وهذا لم يحمد الله » . وأخرج مسلم (٢٩٩٢) من حديث أبي موسى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه ، فإن لم يحمد الله فلا تشمتوه » .

ثانيًا : المزكوم ، لما أخرجه مسلم (٢٩٩٣) وأبو داود (٥٠٣٧) من حديث سلمة ابن الأكوع أنه سمع النبي ﷺ - وعطس رجل عنده - فقال له : يرحمك الله ثم عطس أخرى ، فقال رسول الله ﷺ : « الرجل مزكوم » ، وبالنسبة لعدد مرات التشميت فهنا في مسلم أن عليه السلام قال : « الرجل مزكوم » بعد الأولى ، وفي بعض روايات الترمذى (٢٧٤٣) أن النبي ﷺ قال في الثالثة « الرجل مزكوم » وإسنادها صحيح ، ورجحها الترمذي ، ولمزيد انظر « فتح الباري » (١٠ / ٦١٥) .

ثالثًا : الكفار ، وذلك لما أخرجه أبو داود (٥٠٣٨) والترمذي (٢٧٣٩) بإسناد صحيح من حديث أبي موسى رضى الله عنه قال : « كانت اليهود يتعاطسون عند النبي ﷺ رجاء أن يقول لهم : يرحمكم الله ، فكان يقول : « يهديكم الله ويصلح بالكم» .

أما صفة الحمد فورد في حديث الباب أن آدم عليه السلام لما عطس قال الحمد لله رب العالمين ، فهذه صفة ، وعند البخاري ٦٢٢٤ من حديث أبي هريرة مرفوعًا : « إذا عطس أحدكم فليقل : الحمد لله وليقل له أخوه أو صاحبه : يرحمك الله فإذا قال له : يرحمك الله فليقل : يهديكم الله ويصلح بالكم » . هذا ويستحب لمن يعطس أن يضع يده أو ثوبه على فيه لما أخرجه أبو داود ٥٠٢٩ والترمذي ٢٧٤٥ بإسناد حسن عن أبي هريرة قال : « كان رسول الله ﷺ إذا عطس وضع يده أو ثوبه على فيه وخفض أو غض بها صوته » . وله شاهد عند الطبراني من حديث ابن عمر رضى الله عنهما أشار إليه الحافظ ابن حجر في « الفتح » (١٠ / ٦٠٢) . راجع الأحاديث القدسية الصحيحة (ص ١٩٩ ، ٢٠٠) لشيخنا العدوي حفظه الله تعالى .

• تكريم آدم عليه السلام بسجود الملائكة له •

وهو سجود تحية وتعظيم .

○ قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ [الحجر : ٢٨ ـ ٣٠] .

○ وأخرج مسلم في « صحيحه »[(١)] من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « **احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما ، فحج آدم موسى . قال موسى : أنت آدم الذى خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، وأسكنك جنته ... الحديث** » .

* * *

(١) (برقم : ٢٦٥٢) (١٦/ ٢٠١ نووى) . وقد رواه البخاري في مواضع من صحيحه. قال البغوى : وسجود الملائكة لآدم عليه السلام كان على الحقيقة ، وتضمن معنى الطاعة لله عزوجل ، بامتثال أمره ، وكان ذلك سجود تعظيم وتحية ، لا سجود عبادة، كسجود إخوة يوسف له في قوله عزوجل : ﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾ (يوسف: ١٠٠) ا.هـ.
● وأخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال : « كانت الطاعة لله ، والسجدة لآدم ، أكرم الله آدم أن أسجد له ملائكته » . وقد نقل القرطبي رحمه الله الاتفاق على أن سجود الملائكة لآدم لم يكن سجود عبادة ، وإنما كان تكريمًا لآدم وإظهارًا لفضله عزوجل .

• تسليم آدم عليه السلام على الملائكة وتسليمهم عليه •

وفي هذا منقبة له عليه السلام :

○ ففي « الصحيحين » (١) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **خلق الله آدم على صورته ، طوله ستون ذراعًا ، فلما خلقه ، قال : اذهب فسلم على أولئك ، نفر من الملائكة جلوس ، فاستمع ما يحيونك ، فإنها تحيتك وتحية ذريتك** (٢) **، فقال : السلام عليكم ، فقالوا : السلام عليكم ورحمة الله ، فزادوه : ورحمة الله** (٣) **، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم** (٤) **، فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن** » .

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٢٧ ، ٣٣٢٦) ومسلم (٢٨٤١) .

(٢) قال الحافظ في « الفتح » (١١ / ٤) : « أى من جهة الشرع ، أو المراد بالذرية بعضهم؛ وهم المسلمون ، وقد أخرج البخاري في « الأدب المفرد » وابن ماجه ، وصححه ابن خزيمة من طريق : سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن عائشة مرفوعًا : «ما حسدتكم اليهود على شئ ما حسدوكم على السلام والتأمين » . وهو يدل على أنه شرع لهذه الأمة دونهم » .

(٣) قال الحافظ : فيه مشروعية الزيادة في الرد على الابتداء ، وهو مستحب بالاتفاق ، لوقوع التحية في ذلك ، في قوله تعالى : ﴿ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ (النساء :٨٦).

(٤) قال الحافظ في « الفتح » (٦/ ٤٢٣) : « أي : على صفته ، وهذا يدل على أن صفات النقص من سواد وغيره ، تنتفي عند دخول الجنة » . انتهى .

قلت : وهذا يفيد أن آدم ﷺ كان غاية في الجمال والبهاء ، وهذا يُعدُّ في فضائله ؛ بل قد قال بعض العلماء : إنه أجمل الخلق ، لأن الله هو الذي خلقه وصوره بيده الكريمة ، ونفخ فيه من روحه ، فما كان ليخلق إلا أحسن الأشياء .

قلت (محمد) : ومع هذا الذي أثبته ، فإنه يحتاج مني إلى مزيد نظر وتحرير ، والله أعلم .

● آدم عليه السلام نبي معلَّم مكلَّم ومفضَّل على الملائكة بالعلم ●

قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة : ٣١ ـ ٣٣] .

○ وأخرج الشيخان [١] من حديث أنس أن النبي ﷺ قال : « **يجمع الله المؤمنين يوم القيامة كذلك ، فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا ، فيأتون آدم ، فيقولون : يا آدم ، أما تري الناس ؟ خلقك الله بيده ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شئ (*) اشفع لنا إلى ربك . . .** الحديث بطوله » .

○ وعن أبي أمامة الباهلي أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال : يا نبي الله ، أنبيا كان آدم ؟ قال : « **نعم ، مكلمًا** » وفي رواية (**) : [« **معلَّم مكلَّم** »] قال : كم بينه وبين نوح ؟ قال : « **عشرة قرون** » [٢] .

(١) أخرجه البخاري (٧٤١٠) ومسلم (حديث ١٩٣) .

(*) وفي حديث حجاج آدم وموسى ﷺ ، قال موسى لآدم : « أنت الذي نفخ الله فيك من روحه . . وعلمك الأسماء كلها » .

(**) للبيهقي .

(٢) حديث صحيح . أخرجه الدارمي في « الرد على الجهمية » (٢٩٩) وهذا لفظه ، والحاكم (٢ / ٢٦٢) والبيهقي في « الأسماء والصفات » (١/ ٥١٧) وابن حبان في « صحيحه » (٦١٩٠) ، وابن مندة في « التوحيد » (٥٧١) من حديث أبي أمامة رضى الله عنه مرفوعًا به بإسناد صحيح على شرط مسلم والله أعلم . =

فبيَّن الله تعالى لهم شرف آدم ﷺ عليهم في العلم الذي أوتاه . فقال: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ ﴾ (١) .

ثم أظهر الله فضيلة آدم عليه السلام على الملائكة بالعلم ، فقال تعالى : ﴿ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ (٢) .

* * *

= قلت : وقد ذهب أكثر أهل العلم إلى أن آدم عليه السلام ، نبي وليس برسول ، ومنهم ابن بطال رحمه الله كما في « التفسير » للقرطبي (٧ / ١٤٨ ، ١٤٩) .

(١) البقرة : ٣١ .

قلت : وحَمْلُ العلم في الآية على جميع الأسماء ، أولى وأليق بسياق الآيات والأحاديث ، والله أعلم .

(٢) البقرة : ٣٣ .

قلت : وهكذا يرفع الله سبحانه حملة العلم وأهله ، ويثني عليهم في آيات وأحاديث كثيرة ، ونكتفي بمثل قول الله عز وجل : ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [المجادلة : ١١] .

● سكناه الجنة هو وزوجه حواء عليهما الصلاة والسلام ●

وهي جنة الخلد (١).

○ قال تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ [البقرة : ٣٥] .

○ وقال تعالى : ﴿ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَىٰ (١١٨) وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَىٰ ﴾ [طه: ١١٧ ـ ١١٩] .

○ وسبق قول موسى عليه السلام له : (**وأسكنك جنته**) .

○ وكذلك قول أهل المحشر : « **يا آدم أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، وأسكنك الجنة ..** الحديث»(٢) .

قال الحافظ ابن كثير : « فهذه أربع تشريفات ، خلقه بيده الكريمة ، ونفخُهُ من روحه ، وأمره الملائكة بالسجود له ، وتعليمه أسماء الأشياء » .

---

(١) وهو قول أهل السنة والجماعة .

وقد قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ : « والجمهور على أنها هي التي في السماء ، وهي جنة المأوى ، لظاهر الآيات والأحاديث .. الخ » .

(٢) وسيأتي في فضائل نوح عليه السلام .

● محاجته ﷺ لموسى عليه السلام عند رب العزة سبحانه ●

○ أخرج مسلم في « صحيحه » [١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما ، فحج آدم موسى . قال موسى : أنت آدم الذي خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، وأسكنك جنته ، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض ، فقال آدم : أنت موسى الذي الله برسالته ، وبكلامه ، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء ، وقربك نجيًا ، فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أُخلق ؟ ، قال موسى : بأربعين عامًا ، قال آدم : فهل وجدت فيها : ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ ؟ قال : نعم ! قال : أفتلومني على أن عملت عملاً كتبه الله عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة ؟! قال رسول الله ﷺ « فحج آدم موسى »** [٢] .

---

(١) (برقم : ٢٦٥٢) (١٦ / ٢٠١نووي) . وقد رواه البخاري في مواضع من صحيحه.

(٢) في هذه الرواية قال ذلك النبي ﷺ مرة واحدة ، وفي روايات أخر في الصحيح أيضًا أعادها مرتين ، وثلاثًا . وانظر « صحيح البخاري » (برقم : ٦٦١٤) (باب : تحاج آدم وموسى عند الله) . وراجع كلام الحافظ في « الفتح » (١١ / ٥١٤ ـ ٥٢٠).

قال النووي رحمه الله تعالى :

« قوله « فحج آدم موسى » أي : فغلبه ، وظهر عليه بها ، ومعنى كلام آدم : أنك يا موسى تعلم أن هذا كُتب عليَّ قبل أن أخلق ، وقدِّر عليَّ ، فلا بد من وقوعه، ولو حرصت أنا والخلائق أجمعون على رد مثقال ذرة منه لم نقدر ، فلم تلومني على ذلك؟! ولأن اللوم على الذنب شرعي لا عقلي ، وإذ تاب الله تعالى على آدم ، وغفر له ، زال عنه اللوم ، فمن لامه كان محجوجًا بالشرع . . . إلخ » .

● وسْمُ الله تبارك وتعالى لآدم عليه السلام بالخلافة قبل وجوده (١) ●

○ قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾(٢) [البقرة: ٣٠] .

● قول الله تبارك وتعالى لآدم: « أخرج بعث جهنم من ذريتك » ●

○ أخرج البخارى في « صحيحه » (٣) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال: « **أول من يدعى يوم القيامة آدم، فتراءى ذريته، فيقال: هذا أبوكم آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فيقول: أخرج بعث جهنم من ذريتك، فيقول: يارب كم أخرج ؟ فيقول: أخرج من كل مائة تسعة وتسعين** » . . الحديث .

○ وفي رواية في الصحيحين (٤) من حديث أبي سعيد الخدري: « يقول الله تعالى: **يا آدم، فيقول، لبيك وسعديك، والخير في يديك، فيقول:**

---

(١) وقد قال ذلك العلامة ابن القيم رحمه الله في كتابه « الفوائد » (٧٥ دار الكتب) وهو ما نصه: « وتأمل كيف وسمه بالخلافة، وتلك ولاية له قبل وجوده » .

(٢) فظهر بذلك أن الخليفة الأول لله في أرضه في تنفيذ أوامره، وإمضاء أحكامه آدم ﷺ والله أعلم .

(٣) (برقم: ٦٥٢٩) وأحمد (٢ / ٣٧٨) .

(٤) خ (٣٣٤٨) وفي مواضع أخرى، و (م ٢٢٢) . قال الحافظ في «الفتح» (١١/٣٩٧): وإنما خص بذلك آدم لكونه والد الجميع، ولكونه كان قد عرف أهل السعادة من أهل=

أخرج بعث النَّار قال : وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين . فعنده يشيب الصغير ، ﴿ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ . قال يا رسول الله !وأينا ذلك الواحد ؟ قال : أبشروا فإن منكم رجل ، ومن يأجوج ومأجوج ألف ، ثم قال : والذى نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة . فكبرنا فقال : أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة . فكبرنا ، فقال : ماأنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض ، أو كشعرة بيضاء في جلد ثورٍ أسود » .

○ وقد ورد في ذكر وفاة آدم عليه السلام أحاديث ، منها :

١ ـ « لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة . . . وفي الحديث : فلما قُضى عمر آدم ، جاءه ملك الموت ، فقال : أولم يبق من عمرى أربعون سنة ؟ قال : أولم تعطها ابنك داود؟ قال : فجحد آدم فجحدت ذريته ، ونسى آدم فنسيت ذريته ، وخطئ آدم فخطئت ذريته » (١) . وهو صحيح .

= الشقاوة ، فقد رآه النبي ﷺ ليلة الإسراء ، وعن يمينه أسودة ، وعن شماله أسودة ، الحديث كما تقدم حديث الإسراء .

قلت : وقد أورد الحافظ رحمه الله في « الفتح » أوجهًا للجمع بين العدد الوارد في حديث أبي هريرة الذى فيه : « من كل مائة تسعة وتسعين » وبين حديث أبي سعيد ، وفيه : « من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين » فانظره هناك (١١/ ٣٩٧ ، ٣٩٨) .

(١) حديث صحيح . أخرجه الترمذي (٣٠٧٦) وابن سعد في « الطبقات » (١ / ٢٤ ـ ٢٥) والحاكم (٤١٩١ ، بتحقيق الشيخ مقبل) ، والفريابي في « القدر » (١٩) وأبو يعلى في « مسنده » (٦٦٥٤) ، وابن مندة في « الرد على الجهمية » (٢٣) .

من طريق : هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعًا .

قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . =

٢ ـ « لما توفى آدم غسلته الملائكة بالماء وترًا ، وألحدوا له ، وقالوا : هذه سنة آدم في ولده » (١) وهو ضعيف والله أعلم .

قلت : وسائر أحاديث الباب لا يصح منها حديث مرفوع إلى رسول الله ﷺ فيما اطلعت عليه والله أعلم .

وعليه ، فلا معنى للجرى وراء الإسرائيليات الواهية ، التى تطفح بالباطل والبهتان ، فلزوم الوارد في كتاب الله ، والثابت الصحيح عن رسول الله ﷺ أنجى في مثل هذه المقامات الغيبية التى لا مجال فيها لقول فلان وفلان .

= وقال ابن مندة : هذا حديث صحيح من حديث هشام بن سعد (*) عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة .

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في « زوائد المسند » (٥ / ١٣٦) ، والحاكم في « المستدرك» (٢ / ٥٤٥) ، والمحاملي في « الأمالي » (رقم : ٤٠٣) ، والدارقطنى في «السنن» (٢ / ٧١) وسواهم . وقد صحح إسناده الحاكم وأقره الذهبي . وأورده الشيخ المحدث مقبل بن هادى في « الصحيح المسند من دلائل النبوة » (ص ٣١٩) .

قلت :

ولكنْ مع هذا ؛ الحديث معلٌّ بالوقف والإرسال . فقد اختلف على إسناده ؛ فمرة روى عن حماد عن ثابت عن الحسن عن عتى بن ضمرة عن أبي بن كعب مرفوعًا . ومرة روى عن حماد عن ثابت عن الحسن عن رسول الله ﷺ مرسلاً كما عند الطبري في«تاريخه » (١ / ١٠٠ ـ ١٠١) .

ومرة روى عن حماد عن حميد عن الحسن عن عتى عن أبي موقوفًا كما في « زوائد المسند » (حديث ٢١٢٤٠ بتحقيق الأرناؤوط) وقد أبدل ثابت فجعل مكانه حميد الطويل .

هذا : وأكثر طرق الحديث مدارها على عتى بن ضمـرة التيـمى السـعدى ، والراجـح لدىَّ فيه خاصة في مثل هذه الأحاديث أنه مجهول . وذلك لما نقله الحافظ فيه في «التهذيب» (٧ / ١٠٤) قال :

« قلـت : وقـال علـى بن المدينـى : عتى بن ضمرة السعدى مجهول ، سمع من أبي =

(*) وهو من أثبت الناس في زيد بن أسلم ، كما قال أبوداود ـ رحمه الله ـ .

• بقاؤه في إحدى السماوات ، ولقاء رسولنا محمد ﷺ به في السماء ليلة المعراج •

○ ففي « الصحيحين » [(١)] في حديث الإسراء الطويل من حديث أنس ابن مالك قال كان أبو ذر رضي الله عنه يحدث أن رسول الله ﷺ قال : فذكر حديث الإسراء وفيه أنه قال « **فلما علونا السماء** [(٢)] **إذا رجل عن يمينه أسْودة** [(٣)] **، وعن يساره أسودة ، فإذا نظر قبل يمينه ضحك ، وإذا نظر قبل شماله بكى ، فقال : مرحبًا بالنبي الصالح ، والابن الصالح ، قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا آدم (ﷺ)** [(٤)] **، وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسم** [(٥)] **بنيه ، فأهل اليمين منهم أهل الجنة ، والأسودة التي عن شماله أهل النار . فإذا نظر قبل يمينه ضحك ، وإذا نظر قبل شماله بكى ، ثم عرج بي جبريل حتى أتى السماء الثانية** ... الحديث » .

= بن كعب لا نحفظها ، إلا من طريق الحسن ، وحديثه يشبه حديث أهل الصدق ، وإن كان لا يعرف » انتهى المراد . وإن شئت أن تراجع الكلام على هذا الحديث بتوسع ، فانظره في « تحقيق المسند » للإمام أحمد ـ رحمه الله ـ (٣٥ / ١٦٣ ـ ١٦٤) بتحقيق الأرناؤوط ومساعديه ، فقد بحثوا هذا الحديث بحثًا موسعًا ، فجزاهم الله خيرًا.

(١) البخاري (٣٣٤٢) ومسلم (٢ / ٢١٨ ـ ٢١٩ نووي) .

(٢) في رواية مسلم : « السماء الدنيا » .

(٣) أي أشخاص . قال النووي : قال أهل اللغة . السواد الشخص ، وقيل : السواد : الجماعات .

(٤) ما بين القوسين من عند مسلم .

(٥) أي أرواح . قال الخطابي (فيما نقله عنه النووي) : « هي نفس الإنسان ، والمراد أرواح بني آدم » .



من فضائل نوح عليه السلام (١)

﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴾

﴿ سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴾

---

(١) لم يصح في نسبِهِ حديث عن رسول الله ﷺ ، والأمر كما نبهنا عليه في المقدمة . هذا؛ وقد سُمِّيت سورةٌ في الكتاب العزيز باسْمِهِ ، وهو من أولى العزم من الرسل، وكُرِّر ذكره في كتاب الله عز وجل في مواطن عديدة ، ووردت سيرته بأساليب متنوعة، وبسياقات مختلفة ، أما من حديث رسول الله ﷺ فلم يصح فيه إلا الشيء القليل، ولم يُذكَر عنه إلا النزر اليسير ، ولعل ذلك ؛ اكتفاءً بالكتاب العزيز ، فقد أسهب وأطنب في ذكر سيرة هذا النبي الكريم مع قومه ، وما حلَّ لهم ، فلم يدع شيئًا إلا وقصَّه وبينه ولم يترك أمرًا إلا فصَّله ووضحه ، وكرر وأعاد ، فبلغ غاية الحسن وأجاد . ولله الحمد والمنة .

• من فضائل نوح عليه السلام •

• جملة من فضائل نبي الله نوح عليه السلام الواردة في كتاب الله عز وجل •

• المصطفى من قبل الله •

○ قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٣٣] .

○ وقال تعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ [النساء : ١٦٣] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ـ إلى قوله ـ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الأنعام : ٨٤ و ٨٧] .

○ وأول رسولٍ إلى أهل الأرض ، كما في حديث الشفاعة وسيأتي .

○ وجعله الله ثاني المصطفى ﷺ في الميثاق والوحي [١] ، قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ . . . ﴾ [الأحزاب : ٧] . وكما سبق في آية النساء (١٦٣) .

---

(١) كما قال الثعلبي ـ رحمه الله ـ .

● بركة عمره ﷺ (١) ●

○ قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا ﴾ [العنكبوت : ١٤] .

● دعوته إلى التوحيد ●

○ قال تعالى : ﴿ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴾ [المؤمنون : ٢٣] .

○ وقال تعالى : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ② أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾ [نوح : ٢ ، ٣] .

● صدقهُ في الدعوة ●

○ قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلا تَتَّقُونَ ⑩⑥ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ⑩⑦ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ⑩⑧ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء : ١٠٦ ـ ١٠٩] .

● فصاحته في الدعوة ●

○ قال تعالى : ﴿ قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ⑥⓪ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ⑥① أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٦٠ ـ ٦٢] .

---

(١) إذ قد قال النبي ﷺ : « خيركم من طال عمره وحسن عمله » .

○ وقال تعالى : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [هود : ٢٨ ـ ٣٤] .

• تعزية الله له •

○ قال تعالى : ﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ [١] ﴿٣٦﴾ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ [هود : ٣٦ ـ ٣٧] .

• استجابة دعوته في الكافرين •

○ قال تعالى : ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٦ ، ٧٧] .

---

(١) قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ : « وهذه تعزية لنوح عليه السلام في قومه أنه لن يؤمن منهم إلا من قد آمن أي لا يسوءنك ما جرى ، فإن النصر قريب ، والنبأ عجب عجيب » .

○ وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (٧٥) وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴾ [الصافات : ٧٥ ، ٧٦] .

○ وقال تعالى : ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ [القمر : ١٠ ـ ١٤] .

● حمله على السفينة [1] هو وأهل الإيمان ●

○ قال تعالى : ﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [المؤمنون : ٢٨] .

○ وقال تعالى : ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [العنكبوت: ١٥] .

○ وقال تعالى : ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (١١) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾ [الحاقة ١١ ـ ١٢] .

● حفظ الله له ●

○ قال تعالى : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ [المؤمنون : ٢٧]

○ وقال تعالى : ﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ [القمر : ١٣ ـ ١٤]

* * *

(١) وهذه كرامة ومعجزة لهذا النبي الكريم .

• ثناء الله عليه في الآخرين ، وعلو منزلته في الدارين •

○ قال تعالى : ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ (٧٨) سَلامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (٧٩) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصافات : ٧٨ ـ ٨١] .

○ وأكرمه بالسلامة والبركة فقال تعالى : ﴿ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ﴾ [هود : ٤٨] .

• وصفه بالعبد الشكور (١) •

○ قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء : ٣] .

وقول أهل المحشر كما في حديث الشفاعة الطويل : « وسماك الله عبداً شكوراً » وسيأتي .

• جعل الله في ذريته النبوة •

○ قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ﴾ [الحديد : ٢٦] .

---

(١) ورد أثر عن سلمان الفارسي بإسنادٍ صحيح إليه وله طرق أخرى أنه قال : « كان نوح عليه السلام إذا أكل قال الحمد لله ، وإذا لبس ثوبًا قال الحمد لله ، فسمى بذلك شكوراً قال : ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ . رواه المحاملي في « الأمالي » (٦٨) وهذا لفظه ، والحاكم في « المستدرك » (٢ / ٣٦٠) وانظر : « الفتح » (٨ / ٢٤٨)، وابن كثير رحمه الله في « التفسير » (٣ / ٢٥) و « البداية والنهاية » له .
قلت : وكأنه مأخوذ من أهل الكتاب ، وظاهر الآية يقتضي أعم من ذلك ، وبتقدير تسليمه فلا يضر ، والله تعالى أعلم .

• نوح أول الرسل ﷺ (١) •

• ـ ومن أولي العزم منهم ـ •

○ قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾ [النساء : ١٦٣] .

○ وقال تعالى : ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [الشورى : ١٣] .

○ وفي « الصحيحين » (٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنا مع النبي ﷺ في دعوة ، فرفعت إليه الذراع ، وكانت تعجبه ، فنهس منها نهسة وقال : « **أنا سيد الناس يوم القيامة ، هل تدرون بمن يجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد ، فيبصرهم الناظر ، ويسمعهم الداعي ، وتدنو منهم الشمس ، فيقول بعض الناس : ألا ترون إلى ما أنتم فيه ، إلى ما بلغكم؟ ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيقول بعض الناس : أبوكم آدم ، فيأتونه ، فيقولون يا آدم أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، وأسكنك الجنَّة ، ألا تشفع لنا إلى ربك ؟**

---

(١) ولا خلاف بين ذلك وبين أن آدم عليه السلام أول الأنبياء ، فهذا أول نبي ، وهذا أول رسول ، كما قد بينا من قبل ، وعليه ؛ فإن هناك فرقًا بين النبوة والرسالة كما ذكرنا في كتابنا الأصلي .

(٢) خ (٣٣٤٠) و م (حديث ١٩٤) .

(٣) وهذا فيه إثبات صفة الغضب لله عزوجل ، ونحن نثبت ذلك من غير تمثيل أو تشبيه=

ألا ترى إلى ما نحن فيه وما بلغنا ؟ فيقول : ربي غضب غضبًا لم يغضب قبله مثله ، ولا يعضب بعده مثله [٣] ، ونهانى عن الشجرة ، فعصيت ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى نوح ، فيأتون نوحًا ، فيقولون : يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وسماك الله عبدًا شكورًا ، أما ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما بلغنا ؟ ألا تشفع لنا إلى ربك ؟ فيقول : ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ، ولا يغضب بعده مثله ، نفسى نفسى ، ائتوا النبي ﷺ ، فيأتوني . فأسجد تحت العرش ، فيقال : يا محمد : ارفع رأسك ، واشفع تشفع ، وسل تعطه . . . الحديث » [١] .

○ وعن أبي بن كعب في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ ﴾ [الأحزاب : ٧] .

○ قال رسول الله ﷺ : « أولهم نوح ثم الأول فالأول » [٢] .

● قيام نوح عليه السلام بالنذارة لقومه من شر فتنة الدجال ●

○ أخرج البخاري [٣] . من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « ألا أحدثكم حديثًا عن الدجال ما حدَّث به نبي قومه : إنه

= أو تكييف أو تحريف ، فهو سبحانه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير .

(١) وله تتمة في روايات أخرى في « الصحيح » وستأتي كل فقرة خاصة بكل نبي في مواضعها إن شاء الله .

(٢) حديث حسن . أخرجه ابن أبي عاصم في (« السنة » ٤٠٧) وفي («الأوائل» ١٥٤).

(٣) في صحيحه (برقم : ٣٣٣٨) .

أعور ، وإنه يجيئ معه بمثال الجنة والنار ، فالتي يقول : إنها الجنة هي النار ، وإني أنذرتكم كما أنذر به نوح قومه » (١) .

• رسولنا محمد ﷺ يُسلِّي مصابَهُ بنوحٍ ﷺ •

○ عن عبد الله بن مسعود قال : كأني أنظر إلى النبي ﷺ يحكى نبيًا من الأنبياء ضربه قومه ، فأدموه ، وهو يمسح الدم عن وجهه ، ويقول : « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون » (٢) .

• شهادة النبيِّ ﷺ وأمته لنوح عليه السلام بصدق البلاغ •

○ عن أبي سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : « يجيئ نوح وأمته ، فيقول الله تعالى : هل بلَّغت ؟ فيقول : نعم ، أى رب ، فيقول لأمته :

---

(١) مع أنه لا يتوقع خروجه في زمانهم ـ كما قال الحافظ ابن كثير فيما يأتي ـ وهذا إن دلَّ فإنما يدل على أنه لم يدع شيئًا في مجال الدعوة إلا وقد أوصله لقومه .
قال أبو إسحاق الثعلبي في « العرائس » (٧٠) : « ولم يبالغ أحد من الرسل في الدعوة مثل ما بالغ ـ يعني نوحًا عليه السلام ـ وكان يدعو قومه ليلاً ونهارًا ، وإعلانًا وإسرارًا، ولم يلق نبي من أمته من الضرب والشتم وأنواع الأذى والجفاء ما لقى ، فلذلك قال الله تعالى : ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ [الذاريات : ٤٦] » .
(٢) حديث صحيح : أخرجه البخاري (٣٤٧٧ و ٦٩٦٩) ومسلم (١٧٩٢) .
قلت : ولم يرد تسمية هذا النبي في الحديث ، لكن الرأى القائل بأنه نوح عليه السلام رأى له وجهته ، ومن ثمَّ رأينا ما رآه هذا القائل والله أعلم .

هل بلّغكم ؟ فيقولون : لا ، ما جاءنا من نبي ، فيقول لنوح من يشهد لك ؟ فيقول: محمد ﷺ وأمته ، فنشهد أنه قد بلَّغ ، وهو قوله جل ذكره : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [البقرة : ١٣] ، والوسط : العدل » (١) .

• وصية نوح عليه السلام الجامعة لأحد أبنائه حين حضرته الوفاة •

○ عن عبد الله بن عمرو قال : كنا عند رسول الله ﷺ ، فجاء رجل من أهل البادية ، عليه جبة سيجان مزرورة بالديباج فقال : ألا إن صاحبكم هذا قد وضع كل فارس ابن فارس قال : يريد أن يضع كل فارس ابن فارس، ويرفع كل راع ابن راع قال : فأخذ رسول الله ﷺ بمجامع جبته ، وقال : « **ألا أرى عليك لباس من لا يعقل ؟!** » ثم قال : « **إن نبي الله نوحًا عليه السلام لما حضرته الوفاة ، قال لابنه : إني قاص عليك وصية ، آمرك باثنتين ، وأنهاك عن اثنتين :**

---

(١) حديث صحيح . أخرجه البخاري (٣٣٣٩ ، ٤٤٨٧) وأحمد (٣ / ٩) والترمذي (٢٩٦١) .

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ : « فهذه الأمة تشهد على شهادة نبيها الصادق والمصدوق ، بأن الله قد بعث نوحًا بالحق ، وأنزل عليه الحق ، وأمره به ، وأنه بلغه إلى أمته على أكمل الوجوه وأتمها ، ولم يدع شيئًا مما ينفعهم في دينهم إلا وقد أمرهم به ، ولا شيئًا مما قد يضرهم إلا وقد نهاهم عنه ، وحذرهم منه .

وهكذا شأن جميع الرسل ، حتى إنه حذر قومه المسيح الدجال ، وإن كان لا يتوقع خروجه في زمانهم ، حذراً عليهم ، وشفقة ورحمة بهم » .

○ آمرك بـ « لا إله إلا الله » . فإن السموات السبع والأرضين لو وضعت في كفة ، ووضعت لا إله إلا الله في كفة لرجحت بهن لا إله إلا الله . ولو أن السموات السبع والأرضين السبع كن حلقه مبهمة [(١)] ، قصمتهن [(٢)] لا إله إلا الله ، وسبحان الله وبحمده ، فإنها صلاة كل شئ ، وبها يرزق الخلق،

○ وأنهاك عن الشرك والكبر ، قال : قلت (أوقيل) : يارسول الله . هذا الشرك قد عرفنا فما الكبر ؟ قال : أن يكون لأحدنا نعلان حسنتان لهما شراكان حسنان ؟ قال : لا قال : أن يكون لأحدنا حلة يلبسها ؟ قال : لا ، قال : الكبر هو : أن يكون لأحدنا دابة يركبها ؟ قال : لا ، قال : أفهو أن يكون لأحدنا أصحاب يجلسون إليه ؟ قال : لا ، قيل : يا رسول الله ، فما الكبر ؟ قال : سفه الحق [(٣)] وغمط الناس [(٤)] » [(٥)] .

---

(١) أي مغلقة .

(٢) وفي رواية : (فضمتهن) .

(٣) أي : جهله والاستخفاف به .

(٤) أي احتقارهم والطعن فيهم .

(٥) أخرجه أحمد في « المسند » (٢ / ١٦٩ و١٧٠) ، (٢ / ٢٢٥) والحاكم في «المستدرك » (١ / ٤٨ و ٤٩) والبخاري في « الأدب المفرد » (حديث ٥٥٨ دار المعرفة) والبيهقي في « الأسماء والصفات » (رقم : ١٨٦) والطبراني في «الكبير» (رقم : ١ من الجزء ١٣ ت : حمدي السلفي وصححه) والبزار كما في «الكشف » (٢٩٩٨ ، مختصراً) .

من طريق :

الصقعب بن زهير عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال : فذكره .

قلت : وهذا إسناد صحيح ، رجال إسناده ثقات .

والصقعب بن زهير ، وثقه أبو زرعة وغيره ، كابن حبان وابن خلفون وزاد : « هذا =

. . . .

= رجل مشهور »[(١)] ووثقه الحافظ في « التقريب » أما أبو حاتم فقد قال كما في «الجرح والتعديل » : « شيخ ليس بمشهور » .

تنبيه : جاء في سند هذا الحديث : (قال حماد بن زيد : « أظنه عن عطاء بن يسار ») كما عند أحمد (٢ / ١٦٩) ولكن هذا الظن غير مؤثر هنا ، فقد جاء ما يدفعه في رواية « الأدب المفرد » (٥٥٨) حيث قال فيه : « لا أعلمه إلا عن عطاء » .

● هذا ؛

وقد خولف الصقعب من غيره فرووه مرسلاً [(٢)] ، ولكن المرسل عندي أقوى ، ولايضر إرسال مرسل هنا ، والله أعلم .

قلت : وقد صحح إسناد هذا الحديث غير واحد من الحفاظ كالحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ في « تاريخه » (١ / ١١٢ الريان) ، ومن علمائنا المعاصرين العلامة المحقق ناصر الدين الألباني ـ رحمه الله ـ في غير ما مؤلفٍ له ، ومن ذلك : « الصحيحة » (حديث ١٣٤) و « صحيح الأدب المفرد » (٢٠٦) ، والشيخ المحدث مقبل بن هادي الوادعي ـ حفظه الله ـ في « جامعه » (٣ / ٤٤٠ و ٤٤١) .

○ **وللحديث شاهد من حديث :**

رجل من الأنصار مرفوعاً به : أخرجه النسائي في « الكبرى » (٦ / ٢٠٨) .

قلت : وسنده صالح في الشواهد . ففي إسناده صالح بن سويد لم يوثقه سوى ابن حبان ، وقال الحافظ : مقبول ، وفيه حجاج وهو ابن أرطاه متكلم فيه .

○ **تنبيه** : وقد جاء الحديث من مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب .

عند البزار كما في « كشف الأستار » (٢٠٦٩) وابن زبر الربعي في « وصايا العلماء عند حضور الموت » (ص : ٣٠) من طريق : محمد بن إسحاق عن عمرو بن دينار عنه به .

قال الحافظ ابن كثير : « والظاهر أنه عبد الله بن عمرو بن العاص ، كما رواه أحمد =

---

(١) نقلاً من التعليق على تهذيب الكمال ، وقد عزوه إلى الإكمال لابن ماكولا .

(٢) راجع في ذلك « الزهد » لأحمد (ص : ٦٧) وابن أبي شيبة في « مصنفه » (١٠/ ٢٩٢) وابن جرير في « تفسيره » (٢٢٣٢٥) و « العظمة » لأبي الشيخ (١٢٢٢) .

. . . .

= والطبراني ، والله أعلم » .

قلت : ويؤيد استظهار الحافظ ابن كثير أنه جاء من نفس طريق البزار وابن زبر الربعي عند الطبراني (كما في « البداية ») وفيه : « عن عبد الله بن عمرو » ، وكما في «أخبار أصبهان » (١ / ٣١٧) من وجهٍ آخر عن محمد بن إسحاق أيضا .

ولكن ـ فيما يبدو ـ أن الحافظ ابن حجر ما اعتبر ذلك ، فقد قال كما في « زوائد البزار» (٢٠٨٨) عقب طريق : محمد بن إسحاق عن عمرو بن دينار عن عبد الله بن عمر : « إسناده حسن » . ا.هـ.

وعلى كلٍّ فالحديث ثابت من الطريق الأولى ، وبالشاهد . فيصح الحديث بمجموع الطريقين ، ويزيده قوّة هذا الأخير إن سلِم في صحابيّه ، والله أعلم .



من فضائل

إدريس عليه السلام (1)

﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾

---

(1) وبالنسبة للترتيب الزمني له عليه السلام ، فقد قال القرطبي رحمه الله في « التفسير » (٣/ ٢٢) : « إدريس بعد نوح على الصحيح » . ونقل عن ابن العربي قوله : ومن قال : « إدريس كان قبله من المؤرخين ، فقد وهم » . (التفسير ٧ / ١٤٨) .

● من فضائل إدريس عليه السلام ●

● ثناء الله عزوجل عليه ووصفه له بالنبوة والصديقية ●

○ قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ [مريم:٥٦]

○ وقال تعالى : ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ (٨٥) وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٥ ، ٨٦] .

● رفع الله له ذكره في العالمين ومنزلته بين المقربين ●

فقد كان إدريس ﷺ عالى الذكر ، عالى المنزلة ﷺ :

○ قال تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ [مريم : ٥٧] .

● إقامته في إحدى السموات ●

○ أخرج البخارى في « صحيحه » [1] عن ابن شهاب قال : قال أنس ابن مالك : كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال : (فذكر حديث الإسراء وفيه) قال أنس : « **فذكر أنه وجد في السموات : إدريس وموسى وعيسى وإبراهيم ، ولم يثبت لى كيف منازلهم ، غير أنه قد ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا ، وإبراهيم في السادسة ، وقال أنس : فلما مر جبريل بإدريس**

(١) (برقم : ٣٣٤٢) .

قال : مرحبًا بالنبي الصالح والأخ الصالح ، فقلت : من هذا ؟ قال : « **هذا إدريس** » . . . الحديث بطوله . وأخرجه مسلم في « صحيحه »[(١)] .

○ وعن مالك بن صعصعة رضى الله عنه قال : قال النبي ﷺ ، وذكر حديث الإسراء الطويل ، وفيه : « **فأتينا السماء الرابعة ، قيل : من هذا ؟ قال جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قيل محمد ﷺ ، قيل : وقد أرسل إليه ، قال : نعم، قيل : مرحبًا ، لنعم المجئ جاء ، فأتيت إدريس فسلمت عليه ، فقال : مرحبًا بك من أخ ونبى** » الحديث[(٢)] .

○ وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : فذكر الحديث وفيه : «**ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة ، فاستفتح جبريل عليه السلام قيل : من هذا ؟ قال: جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قال : وقد بُعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بإدريس ، فرحب ودعا لي بخير** . . . الحديث»[(٣)] .

○ وأخرج الترمذي في « سننه »[(٤)] بإسناد صحيح عن قتادة في قوله : ﴿**وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا**﴾ [مريم : ٥٧] .

○ قال : حدثنا أنس بن مالك أن نبي الله قال : « **لما عرج بي رأيت إدريس في السماء الرابعة** » .

---

(١) (٢/ ٢٢٠ نووي) .
(٢) حديث صحيح أخرجه البخاري (٣٢٠٧) ومسلم (١٦٤) .
(٣) حديث صحيح أخرجه مسلم في « صحيحه » (١٦٢) وأحمد (٣ / ١٤٨) .
(٤) (برقم : ٣١٥٧) وأحمد (٣ / ٢٦٠) .

• وكان إدريس عليه السلام نبيًا يخُط (*) وقد قيل إِنَّه أول من خط بالقلم •

○ أخرج مسلم في « صحيحه » (١) من حديث معاوية بن الحكم السلمي قال : « بينا أنا أصلى مع رسول الله ﷺ وفي الحديث قوله :

○ قلت : يا رسول الله : إني حديث عهد بجاهلية . وقد جاء الله بالإسلام ، وإن منا رجالاً يأتون الكهان . قال : « **فلا تأتهم** » قال : ومنا رجال يتطيرون . قال : « **ذاك شئ يجدونه في صدورهم فلا يصدَّنهم** » قال ابن الصباح : فلا يصدَّنكم ـ قال : قلت : ومنا رجال يخطُّون :

○ قال : « **كان نبي من الأنبياء يخط . فمن وافق خطه فذاك** » .

ثم ذكر حديث الجارية ، وسؤال رسول الله ﷺ لها : « **أين الله** » وقولها : « **في السماء** » .

○ وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **كان نبي من الأنبياء يخط فمن وافق عمله فهو عمله** » (٢) .

(*) وقد ذكروا في الآثار أنه أول نبي خط بالقلم ، ولكن ليس ثم حديث مرفوع عن النبي ﷺ يساعدنا على القول بذلك .

(١) (برقم : ٥٣٧) و (٧٤٩) وأحمد (٥ / ٤٤٧ ، ٤٤٨) وأبو داود (٩٣٠) والنسائي (٣ / ١٤ و ١٦) .

(٢) حديث صحيح لغيره . أخرجه أحمد في « المسند » (٢ / ٣٩٤) وقال الحاكم كما في «سؤالات السجزى » (رقم : ٨٦) : « هذا النبي هو إدريس ﷺ » .

○ **قال النووي ـ رحمه الله تعالى ـ**[١] :

« اختلف العلماء في معناه ، فالصحيح أن معناه : من وافقه خطه فهو مباح له ، ولكن لا طريق لنا إلى العلم اليقيني بالموافقة فلا يباح ، والمقصود: أنه حرام ، لأنه لا يباح إلا بيقين الموافقة ، وليس لنا يقين بها ، وإنما قال النبي ﷺ : « **فمن وافق خطه فذاك** » ولم يقل : هو حرام ، بغير تعليق على الموافقة ؛ لئلا يتوهم متوهم أن هذا النهي يدخل فيه ذاك النبي الذي كان يخط فحافظ النبي ﷺ على حرمة ذاك النبي ، مع بيان الحكم في حقنا . فالمعنى أن ذاك النبي لا منع في حقه ، وكذا لو علمتم موافقته ، ولكن لا علم لكم بها . وقال الخطابي : هذا الحديث يحتمل النهي عن هذا الخط إذ كان علمًا لنبوة ذاك النبي ، وقد انقطعت فنهينا عن تعاطي ذلك .

وقال القاضي عياض : المختار أن معناه أن من وافق خطه فذاك الذي يجدون إصابته فيما يقول ، لا أنه أباح ذلك لفاعله ، قال : ويحتمل أن هذا نسخ في شرعنا فحصل من مجموع كلام العلماء فيه الاتفاق على النهي عنه الآن » انتهى .

---

(١) في « شرح صحيح مسلم » (٣/ ٢٩ دار الحديث) .



من فضائل

هــود عليه السلام

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾

● من فضائل هود عليه السلام ●

○ سُمِّيَتْ سورةٌ في الكتابِ العزيز باسمِهِ . وكُرِّر ذكْرُه في كتابِ الله عزوجل في عدةِ مواطن ، وسنوردُ شيئًا من ذلك في هذا الفصْلِ الذي بين يديك من فضائل . ولم يثبت لديَّ شيءٌ من حديث رسول الله ﷺ لا في خبره على العموم (١) ، ولا في فضله على الخصوص .

فلنورد شيئًا من الوارد في كتاب الله في بيان فضله ، والثناء عليه ، إن شاء الله تعالى .

○ فهو رسولٌ مرسل من قبل الله عزوجل برسالة ، كما قال تعالى فيه وفي قومه : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ (٢) هُودٌ أَلا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [الشعراء : ١٢٤ ـ ١٢٦] .

○ وفي آية أخرى : ﴿ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ [الأعراف : ٦٧ ـ ٦٨] .

○ دعوته إلى التوحيد ، قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ (٣) بِالأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ

---

(١) أما في شأن قومه ، وما حلَّ بهم من هلاك ، فقد ثبت شئ من ذلك في السنة الصحيحة ، وهذا يعدُّ من معجزات هذا النبي الكريم إذ هذا الذى حَلَّ بهم إنما هو ببركة دعائه عليه السلام عليهم .

(٢) قال الحافظ في « الفتح » (٦ / ٤٣٤) : « وسماه أخًا لهم لكونه من قبيلتهم لا من أخوة الدين هذا هو الراجح في نسبه » .

(٣) قال الحافظ : الأحقاف جمع حقف ، بكسر المهملة ، وهو المعوج من الرمل ، والمراد به هنا مساكن عاد .

عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأحقاف : ٢١] .

○ وقال سبحانه : ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف : ٦٥] .

• اتصافه بمحاسن الأخلاق في مجال الدعوة •

• أدبُه وحُسن خلقِه في الحوار •

○ كان قوم عادٍ جفاة كافرين ، عتاة متمردين ، فلما جاءهم نبي الله هود عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله وحده ، وترغيبهم في طاعته واستغفاره ، ووعدهم على ذلك خير الدنيا والآخرة ، قاموا عليه ، وتوعدوه، وهددوه ، ومع ذلك كان نبي الله هود ﷺ غاية في الأدب والإغضاء ، وغاية في النصح والشفقة عليهم ، والحرص على هدايتهم ، مع عدم طلب أجرٍ ولا ثواب منهم ، بل كان مخلصًا في دعوته ، ناصحًا بخلق، لا يطلب أجرًا إلا من الله سبحانه وتعالى ، وإليك مضمون ذلك في تلك الآيات المسوقة :

○ قال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ (٦٥) قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٦٦) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٦٧) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (٦٨) أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف : ٦٥ ـ ٦٩] .

○ وقال تعالى : ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ۝٥٠ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٥١ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ۝٥٢ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۝٥٣ إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝٥٤ مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ۝٥٥ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٦ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [هود : ٥٠ ـ ٥٧] .

• عبارات فصيحة •

○ ومن مستلزمات البلاغ أن يكون الأداء بعبارة فصيحة ، وجملٍ وجيزة جامعة مانعة ، لا يشوبها لبس ، ولا اضطراب . وهكذا كان الشأن في ذلكم النبي الكريم .

○ قال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ۝١٢٣ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝١٢٤ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝١٢٥ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝١٢٦ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٢٧ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ [١] ۝١٢٨ وَتَتَّخِذُونَ

(١) أي : أتبنون بكل مكان مرتفع بناءً عظيمًا هائلاً كالقصور ونحوها ، تعبثون ببنائها ، لأنه لا حاجة لكم فيه ، وما ذاك إلا لأنهم كانوا يسكنون الخيام ، كما قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾[الفجر : ٦ ـ ٨] فعاد إرم هم عاد الذين يسكنون الأعمدة التي تحمل الخيام . قاله ابن كثير رحمه الله .

مَصَانِعَ (١) لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (٢) ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الشعراء : ١٢٣ ـ ١٣٥] .

○ وقال فيما قال لهم : ﴿ أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف : ٦٩] .

● ثبات ويقين من هود عليه السلام ●

○ لقد أظهر هودٌ عليه السلام قوةَ تحدِّيه لقومه الذين تمردوا عليه ، ورفضوا دعوته ، ونالوه بالسبِّ والتنقص والبهتان ، بلا دليل ولا حجة ولا برهان ، فوصفوه بالأوصاف الذميمة ، من جنون ، وسفهٍ ، وضلال ، وكذب؛ والرسالة تتنافى مع هذا كلِّه .

فليس هود عليه السلام إلا رجل فاضل ، متخلق بكل خلق طيب ، ومتصف بكل صفة كريمة . فمن أجل ذلك ، تحدَّاهم بإيمان قوى ، وتبرأ من آلهتهم بلا خوفٍ ولا وجلٍ ، بل أقبل على ذلك وهو متوكل على الله سبحانه، وواثق بجنابه ، فقال لهم كما قد حكى الله عزوجل عنه : ﴿ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ (٣) إِنِّي

---

(١) قيل : هي القصور، وقيل : هي بروج الحمام ، وقيل: هي مآخذ الماء .

(٢) أى رجاء منكم أن تعمروا في هذه الدار أعماراً طويلة .

(٣) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : وهذا تحدٍّ منه لهم ، وتبرأ من آلهتهم ، وتنقص منه لهم ، وبيان أنها لا تنفع شيئًا ، ولا تضر ، وأنها جماد حكمها حكمه ، وفعلها فعله، فإن كانت كما تزعمون من أنها تنصر وتنفع وتضر فها أنا برئ منها ، لاعنٌ =

توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم(٥٦) فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئا إن ربي على كل شيء حفيظ ﴾ [هود : ٥٤ ـ ٥٧] .

○ وقال فيما قال لهم كما قال تعالى حاكيًا عنه : ﴿ قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا إني معكم من المنتظرين ﴾ [الأعراف : ٧١] .

* * *

= لها ، فكيدوني ثم لا تنظرون أنتم جميعًا بجميع ما يمكنكم أن تصلوا إليه ، وتقدروا عليه ، ولا تؤخروني ساعة واحدة ، ولا طرفة عين ، فإنى لا أبالى بكم ، ولا أفكر فيكم ، ولا أنظر إليكم . ﴿ إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم ﴾ [هود : ٥٦] . أى أنا متوكل على الله ، ومتأيد به ، وواثق بجنابه الذى لا يضيع من لاذ به ، واستند إليه ، فلست أبالى مخلوقًا سواه ، ولست أتوكل إلا عليه ، ولا أعبد إلا إياه . وهذا وحده برهان قاطع على أن هودًا عبد الله ورسوله ، وأنهم على جهل ، وضلال في عبادتهم غير الله ، لأنهم لم يصلوا إليه بسوء ، ولا نالوا منه مكروهًا . فدل على صدقه فيا جاءهم به ، وبطلان ما هم عليه ، وفساد ما ذهبوا إليه .

وهذا دليل بعينه قد استدل به نوح عليه السلام قبله في قوله ﴿ يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلي ولا تنظرون ﴾ [يونس : ٧١] . وهكذا قال الخليل عليه السلام : ﴿ ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون (٨٠) وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون ﴾ [الأنعام : ٨٠ ـ ٨١] . انتهى المراد من « البداية والنهاية » .

● هلاكُ قومِ عاد ، ونصرة الله لنبيه هود عليه السلام ومن آمن معه ●

● فالعاقبة للتقوى ●

○ قال تعالى ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٨) وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (٥٩) وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴾ [هود : ٥٨ ـ ٦٠] .

○ وقال تعالى : ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف : ٧٢] .

○ وقال تعالى : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء : ١٣٩ ـ ١٤٠] .

● نوع العذاب الذى أصاب قوم هود عليه السلام ●

○ وفي هذا معجزة له أيَّده الله بها ، إذ كان هذا مطلبه ودعاؤه ، وطلب النصرة له من ربه عليهم ، كما قال تعالى : ﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ (٤٠) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [المؤمنون : ٣٩ ـ ٤١] .

وكان أيضًا هو طلبهم ومرامهم [1] دون عقل ولا تفكير ، كعادة أهل

(١) فثم آيات جاءت وفق طلب الأقوام ومن أرسل إليهم ، ثم أيضًا بعد أن سأل النبيون ذلك من ربهم عزوجل .

الكفر في كل زمان ومكان يطلبون العذاب والهلاك ، ولا يسألون الرحمة ولا الرأفة . فكان هذا شأن قوم عاد ، طلبوا من نبيهم أن يريهم ما يصدقونه به من هلاك وعذاب (١) ، حيث قال تعالى عنهم : ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأحقاف : ٢٢ ـ ٢٥] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (٢) ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴾ [الذاريات : ٤١ ـ ٤٢] .

---

(١) كما قال تعالى عن مشركي مكة : ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأنفال : ٣٢] .

(٢) أي التي لا تنتج خيراً ، فإن الريح المفردة لا تثير سحابًا ، ولا تلقح شجرًا ، بل هي عقيم لا نتيجة لها . قاله ابن كثير رحمه الله ، وقال الحافظ ابن كثير أيضًا : وأما قوله ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ﴾ [الأحقاف : ٢٤] . فإن عادًا لما رأوا هذا العارض ، وهي الناشئ في الجو كالسحاب ظنّوه سحابًا ممطرًا ، فإذا هو سحاب عذاب ، واعتقدوه رحمة فإذا هو نقمة ، ورجوا فيه الخير فنالوا منه غاية الشر . قال الله تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ﴾ أي من العذاب ، ثم فسره بقوله ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الأحقاف : ٢٤] . يحتمل أن ذلك العذاب هو ما أصابهم من الريح الصرصر العاتية الباردة الشديدة الهبوب ، التي استمرت عليهم سبع ليال بأيامهم الثمانية فلم تُبْقِ منهم أحدًا ، بل تتبعتهم حتى كانت تدخل عليهم كهوف الجبال والغيران فتلفُّهُمْ ، وتخرجهم ، وتهلكهم ، وتدمر عليهم البيوت المحكمة ، والقصور المشيدة ، فكما منّوا بشدتهم وبقوتهم ، وقالوا : من أشد منا قوة ؟ سلّط عليهم ما هو أشد منهم قوة ، وأقدر عليهم ، وهو الريح العقيم . ويحتمل أن هذه الريح أثارت في آخر الأمر سحابة ، ظن من بقي منهم أنها سحابة فيها رحمة بهم ، وغياث لمن بقي =

○ وقال تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الأُولَىٰ ۝٥٠ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ ۝٥١ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ۝٥٢ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ۝٥٣ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ ۝٥٤ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴾ [النجم : ٥٠ ـ ٥٥] .

○ وقال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝١٨ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ۝١٩ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ۝٢٠ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ [القمر : ١٨ ـ ٢١] .

○ قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا [١] فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ ﴾ [الحاقة : ٦ ـ ٨] .

هذا وقد ورد في الآيات الأول أنهم أهلكوا بالصيحة ، وفي هذه الآيات ما يفيد أن هلاكهم كان بالريح الصرصر العاتية والعقيم ، وهذا يفيد أنه اجتمع عليهم أنواع من العقوبات ، فلا يمنع من اجتماع الصيحة والريح العاتية عليهم .

○ وقد أخبر النبي ﷺ بذلك .

○ كما في « الصحيحين » [٢] من حديث ابن عباس رضى الله عنه عن

= منهم ، فأرسلها الله عليهم شرراً وناراً ، كما ذكره غير واحد . ويكون هذا كما أصاب الظلة من أهل مدين ، وجمع لهم بين الريح الباردة والمذاب النار ، وهو أشد ما يكون من العذاب بالأشياء المختلفة المتضادة مع الصيحة التي ذكرها في سورة ﴿ قد أفلح المؤمنون.. ﴾ والله أعلم .

(١) أى متابعة .

(٢) خ (٣٣٤٣) وفي مواضع أخرى و (م برقم ٩٠٠) (ص ٦١٧) وأحمد (١/ ٢٢٨) =

النبي ﷺ قال : « **نصرت بالصَّبَا ، وأهلكت عادٌ بالدَّبور** » .

○ وفي الصحيحين [١] من حديث عائشة رضى الله عنها قالت : « **كان النبى ﷺ إذا رأى مخيلة [٢] في السماء أقبل وأدبر ، ودخل وخرج وتغيَّر وجهه، فإذا أمطرت السماء سرِّى عنه [٣] ، فعرفته عائشة ذلك** » .

فقال النبي ﷺ : « **وما أدرى لعله كما قال قوم عاد : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا [٤] ﴾** الآية [الأحقاف : ٢٤] .

هذا ؛ وقد عقد الإمام البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ في « صحيحه » في كتاب ـ أحاديث الأنبياء ـ بابًا يتحدث عن نبي الله هود عليه السلام ، أورد فيه آية هود : ٥٠ و الأحقاف : ٢١ و الحاقة : ٦ وما بعدها بآيتين ، ثم أورد رحمه الله في الباب ثلاثة أحاديث :

= قال الحافظ في « الفتح » (٢/ ٦٠٥) (شرح حديث رقم : ١٠٣٥ وهو حديثنا هذا): « قوله (بالصبا) : بفتح المهملة بعدها موحدة مقصورة ، يقال لها : القبول ، بفتح القاف ، لأنها تقابل باب الكعبة إذ مهبها من مشرق الشمس وضدها الدبور وهى التى أهلكت بها قوم عاد ومن لطيف المناسبة كون القبول نصرت أهل القبول ، وكون الأدبار أهلكت أهل الإدبار ، وأن الدبور أشد من الصبا ، كما سنذكره في قصة عاد أنها لم يخرج منها إلا قدر يسير ، ومع ذلك استأصلهم ، وقال الله تعالى : ﴿ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴾ [الحاقة : ٨] . ولما علم الله رأفة نبيه ﷺ بقومه رجاء أن يسلموا سلط عليهم الصبا ، فكانت سبب رحيلهم عن المسلمين لما أصابهم بسببها من الشدة ، ومع ذلك فلم تهلك منهم أحدًا ولم تستأصلهم . الخ كلام الحافظ » .

(١) خ (٣٢٠٦) و (م ٨٩٩ / ١٥) (ص ٦١٦) .

(٢) أى سحابة فيها رعد وبرق يخيل إليه أنها ماطرة . (محمد فؤاد) .

(٣) أى انكشف عنه ، وزال ما به من هم .

(٤) أي سحاب عرض في أفق السماء يأتينا بالمطر . (محمد فؤاد) .

○ أحدها : حديث ابن عباس وفيه : « **وأهلكت عاد بالدبور** » .

○ ثانيها : حديث أبي سعيد في ذكر الخوارج وفيه : « **لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد** » . أي قتلاً فلا يبقى منهم أحدًا ، قال في ذلك الحافظ في « فتحه » إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ** ﴾ [الحاقة : ٨].

○ وثالثها : حديث عبد الله بن مسعود قال : سمعت النبى ﷺ يقرأ : «**فهل من مدكر** » .

○ وعقد الشيخ المحدث مقبل بن هادى الوادعي حفظه الله تعالى وشفاه بابًا في كتابه « الصحيح المسند من دلائل النبوة » (ص ٣٢١) بعنوان : (باب ذكر هود عليه السلام وقومه عاد) أورد تحته آيات من سورتي هود والأحقاف ، ومن الأحاديث خمسة أحاديث .

○ أما الأول فقد قدمنا ذكره ، وهو « نصرت بالصبا . . . » .

○ وأما الثاني ، فهو حديث في قصة طويلة . أخرجها أحمد (٣/ ٤٨١) وفي آخرها : « فمرت به سحابة سوداء فنودى منها : خذها رمادًا رمددًا ، لا تبقى من عاد أحدًا » .

○ وأما الثالث والرابع والخامس ، فهما بمعنى ، وهو حديث عائشة ، وقد قدمناه في بابنا هذا ، والله تعالى أعلى وأعلم .

* * *

● ضعف حديث « يرْحَمُنَا الله وأَخا عَادٍ » وفـي لفـظ « رَحْمـةُ الله عَلينا وَعَلى هُودٍ » ●

○ أخرج ابن ماجة في « سننه »[(١)] من حديث ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « **يرحمنا الله وأخا عاد** »[(٢)] .

○ وأخرج عبد الله بن أحمد في « زوائد المسند »[(٣)] من حديث ابن عباس عن أبي بن كعب : « **أن النبي ﷺ كان إذا ذكر الأنبياء بدأ بنفسه ، فقال : رحمة الله علينا وعلى هود وعلى صالح** » .

زاد في رواية ابن قانع : « وعلى موسى » ثم قال : وذكر غيرهم .

قلت : وفي هذا الحديث علتان :

○ الأولى : تدليس أبي إسحاق وقد عنعن عن سعيد بن جبير . وقد قال البخاري : « لا أعرف لأبي إسحاق سماعًا من سعيد بن جبير » ، راجع (« حاصل التحصيل » : ٢٤٥ ـ ٢٤٦) .

○ الثانية : قول يحيى بن معين في أبي إسحاق :

« سمع منه ابن عيينة بعدما تغير » ا.هـ . وقد روى عن سفيان بن

---

(١) (برقم : ٣٨٥٢) وفي سنده أبو إسحاق وهو السبيعي ، مدلس وقد عنعن . ولكنه قال في الزوائد (٣ / ٢٠٤) : « هذا إسناد صحيح ، وله شاهد في صحيح مسلم وغيره من حديث أبي كعب » .
قلت : وقد بحثت فلم أجده ، ولعله يقصد الآتي عند عبد الله بن أحمد .
(٢) المراد بأخي عاد هو هود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام .
(٣) (٥/ ١٢٢) من طريق أبي إسحاق أيضًا ، والحديث أخرجه أيضًا ابن قانع في «معجم الصحابة» (١ / ٣) (رقم : ١) .

عيينة(١) هذا الحديث . راجع : « التهذيب » . ترجمة السبيعي .

قلت : وعليه ؛ فقول البوصيري في « الزوائد » : « هذا إسناد صحيح »(٢) ليس بصحيح ، والعلم عند الله .

وتابعه على هذا الخطأ ؛ الشيخ شعيب الأرناؤوط وغيره من محققي «المسند» للإمام أحمد (حديث ٢١١٣٠) فقد قالوا فيه : « حديث صحيح ، وهذا إسناد حسن . . . » فلا يسلم لهم الانقطاع ، إن سلم المتابع لسفيان .

○ قلت : وسائر الوارد في ذلك سواء كان على العموم في خبر هود عليه السلام ، أو في فضله على الخصوص ، فليس بثابت لديَّ شيء منه ، والعلم عند الله .

○ أما ما قام بتحسينه الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ في « البداية والنهاية»(٣) لحديث ابن عباس ولفظه أنه قال : « **لما مر النبي ﷺ بوادي عسفان حين حج ، قال : « يا أبا بكر .. أيّ وادٍ هذا ؟ » قال : وادي عسفان . قال : «لقد مر به هود وصالح عليهما السلام على بكران خطمها الليف ، أزهر العباء، وأرديتهم يلبون ، يحجون البيت العتيق** » .

أقول : إنه قد استغربه في موضع آخر في ذكر حج نوح عليه السلام من

(١) وقد توبع من قيس وهو ابن الربيع الأسدي ، لكن الأئمة ، تكلموا في حفظه ، ومن ثم قال الحافظ : « صدوق تغير لما كبر ، أدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدث به» .

(٢) وفي « شرح السندي » (٢ / ٤٣٥) : « إسناده صحيح رجاله ثقات » .

(٣) وراجع الجزء المستقل المسمى بـ : « قصص الأنبياء » له (ص ١٥١) ط . دار بغداد ، بتحقيق الأخ السيد العربي ـ حفظه الله ـ .

نفس الكتاب ، وراجع « القصص » الجزء المستقل (رقم : ١٠٩ ط . دار بغداد) .

فليس إلا كما قلنا من ذكر أحوال[1] الأخبار الواردة عن هذا النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع أنبيائه .

(١) أقصد بذلك الصحة أو الضعف .



من فضائل
صالح عليه السلام

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾

● من فضائل صالح (*) عليه السلام ●

● نبي مرسل إلى قوم ثمود (**) ●

○ قال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾ [الأعراف : ٧٣][هود : ٦١].

○ وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾ [النمل : ٤٥] .

○ وقال صالح ﷺ لقومه : ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ [الشعراء : ١٤٣] .

● من أصول دعوته الدعوة إلى التوحيد (***) ●

○ قال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف : ٧٣] .

○ وقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [النمل : ٤٥] .

● تلطّف ولين جانب في مجال الدعوة ●

○ وهذا تلطف من صالح عليه السلام لقومه ، وحسن تأت في الدعوة لهم إلى الخير ، بعد ما عدلوا عن طاعته قائلين : ﴿ يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا

(*) وهو في الترتيب بعد هود عليه السلام ، لقول صالح عليه السلام لقومه : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ ﴾ [الأعراف : ٧٤] .

(**) وثمود قبيلة عربية مشهورة ، سميت باسم جدها ثمود ، وكانوا يسكنون الحجر الذى بين الحجاز وتبوك (الشام) . قاله الحافظ ابن كثير رحمه الله بتصرف .

(***) وهى دعوة كل المرسلين من أولهم نوح إلى خاتمهم محمد ﷺ .

مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا (١) أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ [هود : ٦٢] .

○ حينئذ صدر هذا التلطف في العبارة منه لهم بقوله : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴾ [هود : ٦٣] .

○ قال الحافظ ابن كثير رحمه الله (٢) : « **أي : فما ظنكم إن كان الأمر كما أقول لكم ، وأدعوكم إليه ؟ ماذا عذركم عند الله ؟ وماذا يخلصكم من بين يديه ، وأنتم تطلبون منى أن أترك دعائكم إلى طاعته ؟ وأنا لا يمكننى هذا لأنه واجب علىَّ ، ولو تركته لما قدر أحد منكم ولا من غيركم أن يجيرني منه ولا ينصرني . فأنا لا أزال أدعوكم إلى الله وحده لا شريك له ، حتى يحكم الله بينى وبينكم** » .

● معجزة صالح عليه السلام (٣)

(الناقة) ●

○ قال صالح ﷺ لقومه المتمردين : ﴿ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً (٤) فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الأعراف : ٧٣] .

---

(١) أي : قد تركنا يرجوا أن يكون عقلك كاملاً قبل هذه المقالة ، وهى دعاؤك إيانا إلى أفراد العبادة ، وترك ما كنا نعبده من الأنداد ، والعدول عن دين الآباء والأجداد . قاله ابن كثير .

(٢) « البداية والنهاية » .

(٣) وكما سبق : الآية أحيانًا تأتى بسبب بطلب الأقوام من أنبيائهم ، فهؤلاء سألوا صالحًا عليه السلام أن يأتيهم بآية تدل على صدق ما جاء بهم به ، فقالوا : ﴿ مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [الشعراء : ١٥٤] .

(٤) إضافتها إلى الله سبحانه وتعالى إضافة تشريف وتعظيم ، كقوله : (بيت الله ، عبد الله) .

○ وقال : ﴿ وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾ [هود : ٦٤] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا ﴾ [الإسراء : ٥٩] .

○ وقال تعالى : ﴿ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (١٥٥) وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الشعراء : ١٥٥ ـ ١٥٦] .

○ وقال تعالى : ﴿ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ (٢٧) وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ (٢٨) فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ (٢٩) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٠) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ (٣١) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر : ٢٧ ـ ٣٢] .

● نجاة صالح عليه السلام
ومن آمن معه والسبب في هلاك قومه ●

○ لما كذَّب قوم ثمود نبيهم صالحًا عليه السلام ، بعد ما قام الدليل القاطع على نبوته وصدقه ، وهم يعلمون ذلك علمًا جازمًا ، ﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ ﴾ ، (الأعراف : ٧٧) وانطلق أشقى القوم ، كما ذكر الله في كتابه بقوله : ﴿ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ﴾ [الشمس : ١٢ ـ ١٣] .

○ وكما قال تعالى : ﴿ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ (٢٩) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي

ونُذُرِ﴾ [القمر : ٢٩ ـ ٣٠] .

○ وأخرج البخارى ومسلم [١] من حديث عبد الله بن زمعة قال : سمعت رسول الله ﷺ وذكر الذى عقر الناقة قال : « **انتدب لها رجل ذو عز ومنعة في قومه كأبي زمعة** » .

○ وفى رواية مسلم : « **أنه سمع النبى ﷺ يخطب وذكر الناقة ، والذى عقر الناقة ، فقال رسول الله ﷺ (إذ انبعث أشقاها) انبعث لها رجل عزيز [٢] عارم[٣] منيع[٤] في رهطه مثل أبي زمعة** » .

○ فكان هذا هو حال القوم : مرة بالتكذيب ، ومرة بمخالفة أمره في عقر الناقة . فكان كما قال تعالى : ﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف : ٧٧] .

○ قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ : فجمعوا في كلامهم هذا بين كفرٍ بليغ من وجوه : منها : أنهم خالفوا الله ورسوله في ارتكابهم النهى الأكيد في عقر الناقة التي جعلها الله لهم آية .

ومنها : أنهم استعجلوا وقوع العذاب بهم فاستحقوه من وجهين :

○ أحدهما : الشرط عليهم قوله : ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ [هود : ٦٤] ، وفي آية ﴿ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الشعراء : ١٥٦] وفي الآخرى

---

(١) في (رقم : ٣٣٧٧) و (م حديث ٢٨٥٥) .
(٢) عزيز : أى رئيس .
(٣) عارم : أى شهم .
(٤) منيع أى : مطاع في قومه .

﴿ أَلِيمٌ ﴾ [الأعراف : ٧٣] والكل حق .

○ والثاني : استعجلهم على ذلك .

○ ومنها : أنهم كذبوا الرسول الذى قام الدليل القاطع على نبوته وصدقه، وهم يعلمون ذلك علمًا جازمًا ، ولكنهم حملهم الكف والضلال والعناد على استبعاد الحق ووقوع العذاب بهم ، قال تعالى : ﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴾ [هود : ٦٥] المراد أى لما غيرُ يومهم ذلك ، لم يصدقوه أيضًا في هذا الوعد الأكيد ، بل لما أمسْوا هموا بقتله ، وأرادوا ـ فيما يزعمون ـ أن يلحقوه بالناقة : ﴿ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ﴾ [النمل : ٤٩] . أى لنجلسنه في داره مع أهله فلنقتله ، ثم نجمد قتله ، ولننكرن ذلك إن طالبنا أولياؤه بدمه ، ولهذا قالوا : ﴿ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ [النمل : ٤٩] .

○ قال تعالى : ﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ۝ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [النمل : ٥٠ ـ ٥٣] . فنجى الله عبده ونبيه صالحًا عليه السلام ومن آمن به ، قال تعالى ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ۝ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ۝ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا(١) فِيهَا أَلا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴾ [هود : ٦٦ ـ ٦٨] .

○ وقد أخبر الله عن صالح عليه السلام ، أنه خاطب قومه بعد

(١) أى لم يقيموا فيها سعة وغناء .

هلاكهم، نظر إلى جثثهم الهامدة [١] ، وقد أخذ في الذهاب إلى مكان ومسكن غير مسكنهم ، فقال تعالى : ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾ [الأعراف : ٧٩] .

○ وقد أخرج البخاري ومسلم [٢] من حديث ابن عمر رضى الله عنه : أن النبي ﷺ لما مر على الحجر قال : « **لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم ما أصابهم ، ثم تقنع بردائه ، وهو على الرحال** » .

○ وفي لفظ : « **لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل ما أصابهم** » [٣] .

---

(١) وهكذا خاطب النبي ﷺ أهل قليب بدر بعد ثلاث ليال : وقف عليهم ، وقد ركب راحلته ، وأمر بالرحيل من آخر الليل . . فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم : يا فلان ابن فلان ، ويا فلان ابن فلان أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله ؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًا ، فقال عمر : يا رسول الله ، ما تكلّم من أجسادٍ لا أرواح لها ، فقال لهم رسول الله ﷺ « والذى نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » . أخرجه البخاري (٣٩٧٩) ومسلم (٢٨٧٣) و (٢٨٧٤) قلت : وقد أفاد ذلك الحافظ ابن كثير في كتابه « البداية » .

(٢) خ (٣٣٨٠) و (م ٢٢٨٦) (رقم : ٢٩٨٠) .

(٣) خ (٣٣٨١) .



من فضائل الخليل إبراهيم عليه السلام (1)

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (120) شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (121) وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾

---

(1) وهو ابن آزر ، دليل ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ ﴾ [الأنعام : ٧٤] . وفي « صحيح البخارى » (٣٣٥٠) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال « يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة » الحديث . قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في « البداية » بعد ذكره آية الأنعام : « وهذا يدل على أن اسم أبي إبراهيم آزر»، ونقل ابن كثير رحمه الله في « التفسير » له عن ابن جرير الطبري قولاً أقرب إلى الصحة وأشبه بالصواب ، قال فيه : « والصواب أن اسم أبيه آزر ، ولعل له اسمان علمان ، أو أحدهما لقب والآخر علم » . قال ابن كثير : « وهذا الذي قاله جيد قوى والله أعلم » .

قلت : وتوضيح هذا فيما نقله القرطبي في « التفسير » عن ابن إسحاق والضحاك =

. . . .

= والكلبي قالوا : « إن آزر أبو إبراهيم عليه السلام ، وهو تارح مثل : إسرائيل ويعقوب» ، وهو ما أيده الحافظ في (الفتح ٦ / ٤٤٨) حيث قال : « وإبراهيم هو ابن آزر ، واسمه تارح ، بالحاء المهملة » . وقال في (تلخيص قصص الأنبياء ص١٩٩): « ولما هاجر أباه واسمه آزر كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً ﴾ [الأنعام : ٧٤] وهذا هو الصواب . وفي التوراة أن اسمه تارخ بالخاء المعجمة ، فقيل : إنه لقب صنم كان يعبده ، اسمه آزر ، والأولى أن آزر وتارخ كل منهما اسم له » .

• كلمة لابن القيم •

○ قال رحمه الله تعالى [(١)] : « ومنَاقبُ هَذا الإمَامِ الأعْظمِ ، والنَّبي الأكْرم ﷺ ، أجلُّ مِنَ أَنْ يُحيطَ بِها كِتابٌ ، وإنْ مدَّ الله ، في العُمُر ، أَفْردنا كَتابًا في ذَلك ، يكونُ قَطرةً في بَحْر فَضائله ، أو أقَلّ ، جعَلنا الله ممنْ ائتم بِه ، ولا جعَلنا مِنْ عدَلَ عَنْ ملَّته ، بمنِّه وكرَمه ! » .

○ وقال أبو إسحاق الثعلبي [(٢)] : « وقدْ اجتَمع فيه [(٣)] مِنْ خِلاَلِ الخَيْرِ ، وأنوَاعِ الفَضْلِ ، مَا يُجْمع فِي أمَّة ، كَما قَالَ الشَّاعر :

لَيْسَ عَلى الله بمستْنكرِ ... أنْ يَجْمَع العَالَم فِي واَحدِ

---

(١) « جلاء الأفهام » (ص ٤٠٠) .

(٢) « عرائس المجالس » (ص ١١٣ ط الإيمان) .

(٣) يعني الخليل عليه السلام .

• جملة من الآيات الواردة في فضل الخليل إبراهيم ﷺ •

• من أولى العزم من الرسل •

○ قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ [الأحزاب : ٧] .

○ وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٣٣] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (٤٥) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (٤٦) وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴾ [ص : ٤٥ ـ ٤٧] .

○ وقد آتاه الله عزوجل رشده في صغره كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٥١] .

○ تأييده بالحجج والبراهين ، كما قال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ﴾ [الأنعام : ٨٣] .

○ وفاؤه ﷺ كما قال تعالى : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴾ [النجم : ٣٧] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ [البقرة : ١٢٤] .

○ وصف الله له بالصديقية والنبوة ، كما قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ [مريم : ٤١] .

○ وأثنى الله عزوجل عليه بقوله : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٢١) وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النحل : ١٢٠ ـ ١٢٢] .

○ وأعلى الله منزلته في الدنيا والآخرة ، فقال تعالى : ﴿ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [البقرة : ١٣٠] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨) سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الصافات: ١٠٨ و ١٠٩] .

○ وجعل الله كلمة التوحيد باقية في عقبه ، فقال سبحانه : ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ ﴾ [الزخرف : ٢٨] .

○ وجعل الله سبحانه النبوة في ذريته ، فقال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ﴾ [العنكبوت : ٢٧] .

○ وقال تعالى : ﴿ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾[النساء : ٥٤] .

○ وقال الله تعالى في شأنه : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران : ٦٧] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ [الأنعام : ٧٥] .

○ وقال تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ [الممتحنة : ٤] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (٧١) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧١ ، ٧٢] .

● الأمر بالاقتداء به ﷺ وباتباع ملته ●

○ قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [النساء : ١٢٥] .

○ وأمر الله عزوجل نبيه محمداً ﷺ بقوله : ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[الأنعام : ١٦١] .

○ وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل : ١٢٣] .

○ وقال تعالى : ﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران : ٩٥] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [الحج : ٧٨] .

○ وقال تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾[الممتحنة : ٤]

• الأمر بالتمسك بمشاعر إبراهيم عليه السلام •

○ أخرج أحمد [١] وغيره بإسناد حسن عن يزيد بن شيبان قال : أتانا ابن مربع الأنصاري ، ونحن في مكان من الموقف بعيد فقال : إني رسولُ رسول الله إليكم يقول : « **كونوا على مشاعركم [٢] هذه ، فإنكم على إرث من إرث إبراهيم عليه السلام** » [٣] .

وقد بوَّب له ابن خزيمة في « صحيحه » بباب : « ذكر البيان أن الوقوف بعرفة من سنة إبراهيم خليل الرحمن ، وأنه إرث عنه ، ورَّثها أمة محمد النبي ﷺ » .

---

(١) في « المسند » (٤ / ١٣٧) والترمذي (٨٨٣) وأبو داود (١٩١٩) والنسائي (٥ / ٢٥٥) وابن ماجه (٣٠١١) والبخاري في « التاريخ الكبير » (٨ / ٤٤٥ و ٤٤٦) وابن خزيمة (٤ / ٢٥٥) وغيرهم من طرق عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عمرو بن عبد الله بن صفوان عن يزيد بن شيبان به .
قلت : وعمرو بن عبد الله بن صفوان صدوق كما قال الحافظ ، ويزيد بن شيبان هو الأزدي ، وهو صحابي ، وكذا ابن مربع صحابي كذلك .

(٢) جمع مشعر ، يريد بها مواضع النسك ، سميت بذلك لأنها معالم العبادات .

(٣) أي : على الأصل الذى شرعه الله لأبيكم إبراهيم عليه السلام . قال المباركفوري في «تحفة الأحوذى » (٣ / ٦٢٣ و ٦٢٤) : علَّل ذلك بأن موقفهم موقف إبراهيم ، ورثوه منه ، ولم يخطئوا في الوقوف فيه عن سنته ، فإن عرفة كلها موقف ، والواقف بأى جزءٍ منها آتٍ بسنته ، متبع لطريقته ، وإن بعُد موقفه عن موقف النبي ﷺ .

○ قال تعالى : ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ [١] ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ [٢] ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ [الذاريات : ٢٤ ـ ٣٠] .

(١) وفي آية أخرى ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الحجر : ٥١] .
(٢) وفي الآية الأخرى : ﴿ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾ [هود : ٦٩] .

• أول من ضيَّف الضيفان •

○ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « كان أول من ضيَّف الضيف إبراهيم عليه السلام » (١) .

---

(١) حديث حسن . أخرجه ابن أبي الدنيا في « قرى الضيف » (حديث ٥) والطبراني في « الأوائل » (رقم ١٠) وابن أبي عاصم في « الأوائل » (١٨) والبيهقي في « الشعب » (٧ / ٩٧) (٩٦١٥) وابن عساكر في « تاريخه » (٦ / ٢٠١) وابن طولون في رسالته : ﴿ إنَّ إبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ (رقم ٢ بتحقيقي) من طريقين : أبي أسامة وسلمة بن رجاء عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ به فذكره.

قلت : إسناده حسن ، من أجل محمد بن عمرو وهو ابن علقمة حسن الحديث .

قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ في « جلاء الأفهام » (ص ٣٩٤ وما بعدها) : «وتأمل ثناء الله سبحانه عليه في إكرامه ضيفه من الملائكة ، حيث يقول سبحانه : ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات : ٢٤ ـ ٢٧] ففي هذا ثناء على إبراهيم من وجوهٍ متعددة :

أحدهما : أنه وصف ضيفه بأنهم مكرمون ،وهذا على أحد القولين أنه إكرام إبراهيم لهم . والثاني : أنهم المكرمون عند الله ، ولا تنافي بين القولين ، فالآية تدل على المعنيين .

الثاني : قوله تعالى : ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ فلم يذكر استئذانهم ففي هذا دليل على أنه ﷺ كان قد عُرف بإكرام الضيفان ، واعتياد قِراهم ، بقي منزله مضيفة ، مطروقًا لمن ورده لايحتاج إلى الاستئذان ، بل استئذان الداخل دخوله ، وهذا غاية ما يكون من الكرم .

الثالث : قوله : « سلامُ » بالرفع ، وهم : « سلَّموا عليه » بالنصب . والسلام بالرفع أكمل ، فإنه يدل على الجملة الاسمية الدالة على الثبوت وعدم التجدد ، والمنصوب يدل على الفعلية الدالة على الحدوث والتجدد ، فإبراهيم حيَّاهم بتحية أحسن من تحيتهم ، فإن قولهم « سلام » يدل على : « سلَّمنا سلامًا » ، وقولهُ : « سلامٌ » أي: سلامٌ عليكم . =

. . . .

= **الرابع** : أنه حذف المبتدأ من قوله : « قوم منكرون » فإنه لما أنكرهم ولم يعرفهم احتشم من مواجهتهم بلفظ يُنَــفِّـر الضيف ، لو قال : « أنتم قوم منكرون » فحذفُ المبتدأ هنا من ألطف الكلام .

الخامس : أنه بنى الفعل للمفعول ، وحذف فاعله ، فقال : « منكرون » ولم يـقل: «إني أنكركم » وهو أحسن في هذا المقام ، وأبعد من التنفير والمواجهة بالخشونة .

السادس : أنه راغ إلى أهله يحييهم بنُزلِهم ، والروغان : هو الذهاب في اختفاء بحيث لا يكاد يشعر به الضيف ، وهذا من كرم رب المنزل المضيف أن يذهب في اختفاء بحيث لا يشعر به الضيف ، فيشق عليه ويستحي ، فلا يشعر به إلا وقد جاءه بالطعام، بخلاف من يُسْمِعُ ضيفَه ويقول له ، أو لمن حضر : مكانكم حتى آتيكم بالطعام ، ونحو ذلك مما يُوجب حياءَ الضيف واحتشامَه .

السابع : أنه ذهب إلى أهله فجاء بالضيافة فدلَّ على أن ذلك كان مُعداً عندهم مهيًّا للضيفان ،ولم يحتج أن يذهبَ إلى غيرهم من جيرانه أو غيرهم فيشتريه أو يستقرضه.

الثامن : قوله : ﴿فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات : ٢٦] دلَّ على خدمته للضيف بنفسه ، ولَم يقل : فأمر لهم ، بل هو الذي ذهب ، وجاء به بنفسه ، ولم يبعثه مع خادمه ، وهذا أبلغ في إكرام الضيف .

التاسع : أنه جاء بعجل كامل ، ولم يأت ببعضٍ منه ، وهذا من تمام كرمه ﷺ .

العاشر : أنه سمين لا هزيل ، ومعلوم أن ذلك من أفخر أموالهم ، ومثله يتخذ للاقتناء والتربية ، فآثر به ضيفانه .

الحادي عشر : أنه قربه إليهم بنفسه ولم يأمر خادمه بذلك .

الثاني عشر : أنه قربه إليهم ، ولم يقربهم إليه ، وهذا أبلغ في الكرامة أن تجلس الضيف ، ثم تقرب الطعام إليه ، وتحمله إلى حضرته ، ولا تضع الطعام في ناحية ، ثم تأمر ضيفك بأن يتقرب إليه .

الثالث عشر : أنه قال : ﴿ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ [الذاريات : ٢٧] وهذا عرض ، وتلطف في القول ، وهو أحسن من قوله : كلوا ، أو : مدوا أيديكم ، ونحوها ، وهذا مما يعلم الناس بعقولهم حُسْنه ولطفه ، ولهذا يقولون : بسم الله ، أو : ألا تتصدق ! أو : ألا تجبر ! ونحو ذلك . =

● كرمُه ﷺ ●

○ وسيأتي حديث : « الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف ابن يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم » وسنورده في فضائل إسحاق عليه السلام.

● إبراهيم عليه السلام معلِّم الناس الخير ●

○ قال تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل : ١٢٠] .

○ وعن عبد الله بن مسعود أنه قال : « إن معاذًا كان أمة قانتًا لله ، قال: فقال رجل من أشجع يقال له فروة بن نوفل : نسى ، إنما ذاك إبراهيم ، قال: فقال عبد الله : من نسى ؟ إنما كنا نشبهه بإبراهيم . قال : وسئل عبد الله عن الأمة ، فقال : معلِّم الخير (١) ، والقانت : المطيع لله ورسوله »(٢).

= الرابع عشر : أنه إنما عرض عليهم الأكل ؛ لأنه رآهم لا يأكلون ، ولم يكن ضيوفه يحتاجون معه إلى الإذن في الأكل ، بل كان إذا قدَّم إليهم الطعام ؛ أكلوا ، وهؤلاء الضيوف لما امتنعوا من الأكل ؛ قال لهم : ألا تأكلون ! ولهذا ؛ أوجس منهم خيفة ، أي أحسها ، وأضمرها في نفسه ولم يبدها لهم ، وهو الوجه .

الخامس عشر : فإنهم لما امتنعوا من الأكل لطعامه ؛ خاف منهم ، ولم يظهر لهم ، فلما علمت الملائكة منه ذلك ؛ قالوا : لا تخف ! وبشروه بالغلام .

فقد جمعت هذه الآية آداب الضيافة التي هي أشرف الآداب ، وما عداها من التكلفات التي هي تخلف وتكلف ، إنما هي من أوضاع الناس وعوائدهم ، وكفى بهذه الآداب شرفًا وفخرًا ، فصلَّى الله على نبينا وعلى إبراهيم وعلى آلهما ، وعلى سائر النبيين .

(١) وفي رواية : « الأمة الذي يعلِّم الناس الخير » .

(٢) أثر صحيح . أخرجه الطبري في « تفسيره » (٢١٩٧٣ و..) والحاكم في «المستدرك» (٣ / ٢٧٢) وابن سعد في « الطبقات » (٢ / ٢٦٥ و ٢٦٦) وأبو =

○ يقول ابن القيم ـ رحمه الله تعالى [1] ـ : « إن الله سبحانه أثنى على إبراهيم خليله بقوله : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ⑫⓪ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ . . » [النحل : ١٢٠ ، ١٢١] .

○ فهذه أربعة أنواع من تكتب كلها من الثناء ، افتتحها بأنّه أمة ، والأمة هو القدوة الذي يؤتم به .

○ قال ابن مسعود : « والأمة المعلِّم للخير » ، وهي فعلة من الائتمام ، كقدوة ، وهو الذي يقتدى به .

والفرق بين الأمة والإمام من وجهين :

أحدهما : أن الإمامة كلُّ ما يؤتم به سواء كان بقصده وشعوره أوْ لا ، ومنه سمي الطريق إمامًا ، كقوله تعالى : ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ⑦⑧ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [الحجر : ٧٨ ـ ٧٩] ، أي : بطريق واضح لا يخفي على السالك .

ولا يسمي الطريق أمة .

الثاني : أن الأمة فيه زيادة معنى ، وهو الذي جمع صفات الكمال من العلم والعمل بحيث بقي فيها فردًا وحده ، فهو الجامع لخصالٍ تفرقت في غيره ، فكأنه باين غيره باجتماعها فيه ، وتفرقها أو عدمها في غيره .

ولفظ الأمة يشعر بهذا المعنى ، لما فيه من الميم المضعفة الدالة على الضمِّ

= نعيم في «الحلية » (١ / ٢٣٠) وعبد الرزاق في « تفسيره » (١٥١٤) وغيرهم عن ابن مسعود رضي الله عنه فذكره .

قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

(١) في « مفتاح دار السعادة » (١ / ٥٢٣ ، ٥٢٤) .

بمخرجها وتكريرها ، وكذلك ضمُّ أوله ، فإن الضمة من الواو ، ومخرجها ينضم عند النطق بها ، وأتى بالتاء الدالة على الوحدة كالفرقة واللقمة ، ومنه الحديث : « **إن زيد بن عمرو بن نفيل يبعث يوم القيامة أمة وحده** » [1] .

فالضم والاجتماع لازم لمعنى الأمة ، ومنه سميت الأمة التي هي آحاد الأمم ، لأنهم الناس المجتمعون على دين واحد ، أو في عصرٍ واحد » .

(١) وهو قطعة في قصة طويلة وهو صحيح ، وقد قمت بتخريجه بتوسع في رسالة : « إن إبراهيم كان أمة » لابن طولون الصالحي ـ رحمه الله تعالى ـ .

● إبراهيم ﷺ

خليل الرحمن عز وجل ●

○ قال تعالى : ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ﴾ [النساء : ١٢٥] .

○ وفي صحيح مسلم من حديث جندب بن عبد الله قال : سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس يقول : « **إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك** » (١) .

○ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتي النبي ﷺ يومًا بلحم ، فقال : « **إن الله يجمع يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد ، فيسمعهم الداعي ، وينفذهم البصر ، وتدنو الشمس منهم** ـ فذكر حديث الشفاعة ـ **فيأتون إبراهيم ، فيقولون : أنت نبي الله وخليله من الأرض ، اشفع لنا إلى ربك ، فيقول** : فذكر كذباته : **نفسي نفسي ، اذهبوا إلى موسى** » (٢) .

---

(١) أخرجه مسلم (٥٣٢) والنسائي في « الكبرى » (٥ / ٣٢٨) .

● قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في « جلاء الأفهام » (٢١١ ، ٢١٢) :

« والخلة هي كمال المحبة ، وهي مرتبة لا تقبل المشاركة والمزاحمة ، وكا قد سأل ربه أن يهبَ له ولدًا صالحًا ، فوهب له إسماعيل ، فأخذ هذا الولدُ شعبة قلبه ، فغار الخليل على قلب خليله ، أن يكون فيه مكان لغيره ، فامتحنه بذبحه ليظهر سر الخلة في تقديمه محبة خليله على محبة ولده ، فلما استسلم لأمر ربه ، وعزم على فعله ، وظهر سلطان الخلة في الإقدام على ذبح الولد إيثارًا لمحبة خليله على محبته ، فنسخ الله ذلك عنه ، وفداه بالذبح العظيم » .

(٢) حديث صحيح . أخرجه البخاري (٣٣٦١) (وبرقم ٣٣٤٠) والحاكم (٢/٥٩٩) =

○ وعن ابن عباس قال : « أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم عليه السلام، والكلام لموسى عليه السلام ، والرؤيه لمحمد ﷺ »[١] .

○ وفي رواية : « إن الله اصطفى إبراهيم بالخلة . . . » .

• نفي الشرك

عن الخليل إبراهيم عليه السلام [*] •

○ قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران : ٦٧] .

○ وقال تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل : ١٢٠] .

والآيات التي أثبتت هذا المعنى كثيرة في الكتاب العزيز .

○ وأخرج البخاري في « صحيحه »[٢] . من حديث ابن عباس رضي عنهما أن النبي ﷺ : « لما رأي الصور في البيت لم يدخل حتى أمر بها

= (٤٠١٧) زاد الحاكم في روايته : « فيقولون يا إبراهيم أنت خليل الرحمن قد سمع بخلتك أهل السموات وأهل الأرض » وصححه على شرط الشيخين .

(١) أثر صحيح . أخرجه ابن أبي عاصم في « السنة » (٤٤٢) و (٤٣٦) ، وابن خزيمة في « التوحيد » (١٩٩) ، وعبد الله بن أحمد في « السنة » (٥٧٧) ، وابن مندة في « الإيمان » (٧٦٢) (٢١ / ٧٦١) ، والحاكم في « المستدرك » (١ / ٦٥) (٢/ ٤٦٩) وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

(*) فقد كان حنيفًا على دين الإسلام ، لم يكن مشركًا ، كما ادعت طوائف من اليهود والنصارى فزعمت كل فرقة أنه كان على ملتهم ، فردَّ الله زعمهم بتلك الآيات .

(٢) (رقم : ٣٣٥٢ ، ٤٢٨٨) وأحمد (١ / ٣٣٤ ، ٣٦٥) وأبو داود (٢٠٢٧) .

فمحيت . ورأى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بأيديهما الأزلام [١] ،فقال : قاتلهم الله ، والله إن [٢] : استقسما بالأزلام قط » .

○ وفي لفظ : « دخل النبي ﷺ البيت فوجد فيه صورة إبراهيم ، وصورة مريم ، فقال ﷺ : أما هم ، فقد سمعوا أن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه صورة ، هذا إبراهيم مصوَّر ، فما له يستقسم » [٣] .

● وهذا ما يُردِّدُه أهل الإسلام في أذكار الصباح ●

○ عن عبد الرحمن بن أبزي قال : « كان رسول الله ﷺ إذا أصبح قال: أصبحنا على فطرة الإسلام ، وكلمة الإخلاص ، ودين نبينا محمد ﷺ ، وملة أبينا إبراهيم حنيفًا مسلمًا ، وما كان من المشركين » [٤] .

---

(١) الأزلام : قال الحافظ : هي السهام التي كانوا يستقسمون بها الخير والشر .

(٢) وفي رواية « والله ما استقسما . . . » .

(٣) عند البخاري (٣٣٥١) وأحمد (١ / ٢٧٧) والنسائي في « الكبرى » (٥ / ٥٠٠) (٩٧٧٢) .

(٤) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٣ / ٤٠٧) ، والنسائي في « الكبرى » (٦ / ٣ وهذا لفظه) (٦ / ٩٣) ،والدارمي (٢٦٨٨) ،وابن أبي شيبة في « المصنف » (٩ / ٧٧) والطبراني في « الدعاء » (٢٩٤) وغيرهم من حديث سفيان عن سلمة بن كهيل عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزي عن أبيه به .
قال الحافظ ابن حجر في « نتائج الأفكار » (٢ / ٣٨٠) :
« هذا حديث حسن » .

• تعويذ النبي ﷺ الحسن والحسين بتعويذ إبراهيم لإسماعيل وإسحاق عليهم جميعًا الصلاة والسلام •

○ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « كان النبي ﷺ يعوِّذ الحسن والحسين ، ويقول : إن أباكما (*) كان يعوِّذ بهما إسماعيل وإسحاق : « أعوذ بكلمات الله (**) التامة (***) من كل

(*) قال الحافظ في « الفتح » (٦ / ٤٧٢) : قوله : « إن أباكما » يريد إبراهيم عليه السلام ، وسماه أبًا لكونه جدًا عليّ .

(**) قال الحافظ : قيل المراد بها كلامه على الإطلاق ، وقيل أقضيته ، وقيل ما وعد به ، كما قال تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الأعراف : ١٣٧] ، والمراد بها قوله تعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ [القصص : ٥] .

(***) التامة : الكاملة ، وقيل : النافعة ، وقيل : الشافية ، وقيل المباركة ، وقيل القاضية التي تمضي وتستمر ولا يردها شيء ، ولا يدخلها نقص ، ولا عيب .

قال الخطابي : كان أحمد يستدل بهذا الحديث على أن كلام الله غير مخلوق ، ويحتج بأن النبي ﷺ لا يستعيذ بمخلوق .

قلت : وقد قال أبو داود في السنن عقب الحديث : فيه دليل على أن القرآن ليس بمخلوق .

وهذا أصل عظيمٌ من أصول أهل السنة والجماعة أن كلام الله غير مخلوق ، إذ هو صفة من صفاته تعالى ، ومن الآيات الدالة على أن الله سبحانه يتكلم حقيقة ، (بحرف وصوت ، ولا يماثل أصوات المخلوقين) :

قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء : ٨٧] .

وقال سبحانه : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء : ١٦٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الشعراء : ١٠] . =

شيطان (*) وهامة (**) ، ومن كل عين لامة (***) » (١) .

● مناقشة إبراهيم لأبيه في عبادة الأصنام وجهاده في الدعوة معه إلى التوحيد ●

○ قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ (٢) مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ

= وقال جلا وعلا : ﴿ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ ﴾ [الأعراف : ٢٢] .
وقال سبحانه : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص : ٦٥] .
والأدلة من السنة لا تكاد تحصى ولا تكاد تنتهي في إثبات هذا الأصل ، ويسمى هذا النوع من الأحاديث (أو من السنة) بالأحاديث القدسيه التي يرويها خير الأنام عليه السلام عن رب البرية جلا وعلا .

(*) قوله « من كل شيطان » يدخل تحته شياطين الإنس والجن .

(**) قوله « وهامة » : بالتشديد ،واحدة الهوام ذوات السموم ، وقيل : كل ما له سم يقتل، فأما ما لا يقتل سمه ، فيقال له : السوام ، وقيل : كل نسمه تهم بسوء .

(***) قوله « ومن كل عين لامة » : قال الخطابي : المراد به كل داء وآفة تلم بالإنسان من جنون وخبل .

(١) حديث صحيح . أخرجه البخاري (٣٣٧١) وأبو داود (٤٧٣٧) والترمذي (٢٠٦٠) والنسائي (٤ / ٧١١) وأحمد (١ / ٢٣٦ ، ٢٧٠) والبخاري في « خلق أفعال العباد » (٣٦٠ _ ٣٦٢) .

(٢) « إني قد جاءني من العلم » : نسب العلم والمعرفة واليقين إلى الله ، ولم ينسبه عليه السلام إلى نفسه .

للشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي (١) يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ (٢) وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٣) ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ (٤) سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤١ ـ ٤٨] .

---

(١) « أراغب أنت عن آلهتى » : أى أراغب أنت عنها إلى غيرها ، وتترك عبادتها .

(٢) « لأرجمنك » أي : بالشتم والقول ـ بالحجارة حتى تتباعد عني .

(٣) « واهجرنى مليا » : اهجرني طويلا ـ اجتنبني سالمًا قبل أن تصيبك عقوبتي ويصيبك مني معرة .

(٤) قول إبراهيم عليه السلام لأبيه ﴿ سَلامٌ عَلَيْكَ ﴾ [مريم : ٤٧] .

قال القرطبي في « تفسيره » : والجمهور على أن المراد بسلامه المسالمة التي هى المتاركة ، لا التحية ، قال الطبري : معناه أمنة منى لك ، وعلى هذا لا يبدأ الكافر بالسلام ، وقال بعضهم في معنى تسليمه : هو تحية مفارق ، وجوز تحية الكافر وأن يبدأ بها . انتهى .

ومن هنا جدير بأن نذكر طرفًا من فقه هذه المسألة ، وأقوال أهل العلم فيها ، وبيان ما احتجوا به من آيات وأحاديث .

حكم السلام على الكفار

● ● في المسألة شئ من التفصيل .

● فمن أهل العلم من يمنع مبادأتهم بالسلام ، وهو قول أكثر العلماء ، وعامة السلف. واحتجوا بما رواه مسلم (نووى ١٤ / ١٤٨) من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لا تبدؤا اليهود والنصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقه » .

قالوا : والنهي يفيد التحريم (١) .

● ومنهم من يرى جواز التسليم عليهم ، وذلك إذا كان في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين ، أو إذا كان للشخص مصلحة أو حاجة عند أحدهم .

واستدل قائلوا هذا القول ، بما في الصحيحين (خ ٦٢٥٤) ، م (١٧٩٨) من =

---

(١) ومنهم من يرى أن النهي للكراهة (ذكره النووى عن بعض الشافعية ، ورده) [شرح مسلم ١٤ / ١٤٥] .

. . . .

= حديث أسامة ابن زيد ، « أن النبى ﷺ ركب حماراً عليه إكافٌ تحته قطيفة فدكية ، وأردف وراءه أسامة بن زيد ، وهو يعود سعد بن عبادة في بنى الحارث بن الخزرج - وذلك قبل وقعة بدر - حتى مرَّ في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود، وفيهم عبد الله بن أبي بن سلول ، وفي المجلس عبد الله بن رواحة ، فلما غشيَتِ المجلس عجاجة الدابة ، خمرَّ عبد الله بن أُبَي أنفه بردائه ، ثم قال : لا تغبروا علينا ، فسلم عليهم النبي ﷺ ، ثم وقف فدعاهم إلى الله . . . الحديث » .

الجمع بين حديث أبي هريرة وبين حديث أسامة

قال الإمام الطبري رحمه الله : لا مخالفة بين حديث أسامة في سلام النبي ﷺ على الكفار ، حيث كانوا مع المسلمين ، وبين حديث أبي هريرة في النهى عن السلام على الكفار ، لأن حديث أبي هريرة عام ، وحديث أسامة خاص ، فيختص من حديث أبي هريرة ما إذا كان الابتداء لغير سبب ولا حاجة من حق صحبة أو مجاورة أو مكافأة أو نحو ذلك ، والمراد مع ابتدائهم بالسلام المشروع ، فأما لو سلم عليهم بلفظ يقتضى خروجهم عنه كأن يقول : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، فهو جائز ، كما كتب النبي ﷺ إلى هرقل وغيره : « سلام على من اتبع الهدى » . (نقلاً من الفتح ١١ / ٤٢) .

● ومنهم من يرى جواز ابتدائهم بالسلام مطلقًا واستدلوا بما يلى :-

١ - بقول الخليل ﷺ لأبيه : ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكَ ﴾ [مريم : ٤٧] . وأجاب عياض عن هذه الآية بما سبق : أن القصد بذلك المتاركة والمباعدة وليس القصد فيها التحية . (انظر الفتح ١١ / ٤٢) .

قلت : ونحو هذا المعنى في قوله تعالى في صفة المؤمنين : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [الفرقان : ٦٣] ، فكما قيل : حليم خاطب سفيهًا .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ [القصص : ٥٥] .

فكذلك قول إبراهيم لأبيه : ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكَ ﴾ أي لا ينالك منى مكروه ولا أذى . (انظر تفسير القرطبي ، مريم : ٤٧) . =

○ وقال سبحانه : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٦ ـ ٢٨] .

= ٢ ـ واستدلوا كذلك بقوله : ﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلامٌ ﴾ [الزخرف : ٨٩]. ويجاب على هذه الآية ، بما أجيب على ما قبلها من قول إبراهيم .

٣ ـ وقوله : ﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ﴾ [الممتحنة : ٨] . ويجاب : بأن هذه الآية نزلت في أسماء بنت أبي بكر ، لما سألت النبي ﷺ ، هل تصل أمها حين قدمت عليها وهى مشركة ؟ فقال رسول الله ﷺ : « نعم » والحديث في الصحيحين . فهذا إنما يدل على أن لها حق الصحبة ، بل حق الأبوة ، كما سبق من كلام الطبري ، ثم إن هذه الآية لا تفيد شيئًا البتة في جواز ابتدائهم بالسلام ، والله أعلم .

٤ ـ واحتجوا بعموم الأحاديث التى فيها الأمر بإفشاء السلام . ولكن كما قال النووى (شرح مسلم ١٤ / ١٤٥) : وهى حجة باطلة لأنه عام مخصوص بحديث : « لا تبدؤا اليهود ولا النصارى بالسلام[1] » . ا.هـ.

(١) وانظر زاد المعاد لابن القيم (٢ / ٤٢٤ ـ ٤٢٦) .

● سؤال إبراهيم عليه السلام ربه أن يريه كيف يحيي الموتى وحب استطلاعه ذلك وإجابة الله إلى سؤاله [١]●

○ قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن[٢] قَالَ بَلَىٰ [٣] وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي [٤] قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ [٥] إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة البقرة : ٢٦٠].

○ وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال : ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾** [البقرة : ٢٦٠] ، **ويرحم الله لوطًا لقد كان يأوى إلى ركنٍ شديد ، ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي** » [٦] .

---

(١) قال فريق من أهل العلم : لم يكن إبراهيم عليه السلام شاكًا في إحياء الله الموتى قط، ولا في قدرة الله ، وإنما طلب المعانية لكيفية الإحياء ، لأن النفوس تحب الاطلاع على المجهول ورؤية ما أخبرت به ، ولهذا قال عليه السلام : « ليس الخبر كالمعاينة » .

(٢) « أَوَلَمْ تُؤْمِن » أى بقدرتي على الإحياء ، والسؤال والجواب مع علمه تعالى بإيمان إبراهيم لتعليم السامعين .

(٣) « بَلَىٰ » حرف جواب أى آمنت .

(٤) « وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي » أى سألتك ليسكن قلبي بالمعاينة المضمونة إلى الاستدلال .

(٥) « فَصُرْهُنَّ » أى قطعهن وأمهلهن وأجمعهن إليك . (وانظر التفسير المنير للزحيلي ج٣/ ٣٧).

(٦) حديث صحيح . أخرجه البخاري (٣٣٧٢ و ٤٥٣٧) ومسلم (رقم : ١٥١) (ص: ١٨٣٩) وأحمد (٢/ ٣٢٦) وابن ماجه (٤٠٢٦) والطبري في « تفسيره » (٧/ =

. . . .

= ١٩٤٠٦ و ١٩٤٠٧) وابن حبان في « صحيحه » (٦٢٠٨) .

● قوله : « نحن أحق بالشك من إبراهيم » إذا قال : ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ﴾ [البقرة : ٢٦٠] . اختلف السلف في المراد بالشك هنا على أقوال : فمنهم من حمل النص على ظاهره ، وقال : إن سبب حصوله وسوسة الشيطان ، وقال آخرون : كان ذلك قبل النبوة ، ومنهم من قال : إن المعنى : نحن أشد اشتياقًا إلى رؤية ذلك من إبراهيم عليه السلام ، ومنهم من قال : إن معناه : أننا إذا لم نشك فإبراهيم أولى أن لا يشك ، أي لو كان الشك متطرقًا إلى الأنبياء ، لكنت أنا أحق به منهم ، وقد علمتم أني لم أشك فاعلموا أنه لم يشك . وإنما قال النبي ﷺ ذلك تواضعًا منه ، أو من قبل أن يعلمه الله بأنه أفضل من إبراهيم ، وهو كقوله في حديث أنس عند مسلم: « أن رجلاً قال للنبي ﷺ يا خير البرية قال : « ذاك إبراهيم » . ومنهم من قال : إنه دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس ، أي من طلب المعاينة ، فليس الخبر كالمعاينة (انظر الفتح ٦ / ٤٧٤ ، ٤٧٥) .

والذي عليه الجمهور من المفسرين هو القول الأخير ويوضحه الذي قبله فلم يكن الخليل شاكًا في قدرة الله ، فالحديث مبنيٌّ إذًا على نفي الشك عن إبراهيم عليه السلام .

قال القرطبي رحمه الله في تفسيره : « ولا يجوز على الأنبياء صلوات الله عليهم مثل هذه الشك فإنه كفر ، والأنبياء متفقون على الإيمان بالبعث ، وقد أخبر الله تعالى أن أنبياءه وأولياءه ليس للشيطان عليهم سبيل ، فقال : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ [الحجر : ٤٢] . وقال اللعين : ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ وإذا لم يكن له عليهم سلطنه ، فكيف يشككهم . . . . إلخ كلامه رحمه الله عند تفسير آية البقرة (٢٦٠) .

• شجاعة إبراهيم عليه السلام •

(١)

• تسفيهه للأصنام •

○ قال تعالى : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴾ [العنكبوت : ١٦ ـ ١٨] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [الشعراء : ٦٩ ـ ٨٢] .

○ وها هو ﷺ يقسم بشجاعة ، فيقول لقومه : ﴿ وَتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴾ [الأنبياء : ٥٧] .

○ وينفذ ما وعد به ، فيقول تعالى : ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلاَّ كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأنبياء : ٥٨] .

○ ويقول لقومه : ﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات : ٩٥ ، ٩٦] .

○ ويقول هو ومن آمن به لقومهم : ﴿ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ [الممتحنة : ٤] .

○ ويقول تعالى : ﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام : ٨٠ و ٨١] .

(٢)

• محاجته ﷺ للنمرود [(١)] •

○ قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ [(٢)] إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ [(٣)] أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ

(١) لم يثبت في تسميته حديث عن رسول الله ﷺ . لكن من العلماء من قال : إنه النمرود صاحب الصرح ببابل ، وهو الذى أوقد النار لإبراهيم عليه السلام ونحو ذلك. فعند الطبري في تفسير هذه الآية بإسناد صحيح إلى ابن زيد أنه قال : « هو نمروذ » ، وثبت ذلك أيضًا عن قتادة رحمه الله . وقد قال الطبري في « تاريخه » (١ / ١٤٢): « قال عامة السلف من أهل العلم : كان مولد إبراهيم عليه السلام في عهد نمروذ بن كوش » .

(٢) حاج : أى جادل [(١)] .

(٣) في ربه : أى في وجود الله .

(١) والجدل : مقابلة الحجة بالحجة ، والمجادلة : المناظرة والمخاصمة ، وهناك جدال أو جدل محمود ، وهناك جدل مذموم ، وأما المحمود فنحوه قوله تعالى : ﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل : ١٢٥] ، وقوله : ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [العنكبوت : ٤٦] ، أما المذموم ، فنحوه قوله تعالى : ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ ﴾ [الأنفال : ٦] ، وقوله : ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف : ٥٨] ، وقوله : ﴿ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ﴾ [الكهف : ٥٦] .

إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ (١) الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ .

• تعريضه في الخطاب ﷺ مع قومه •

لقد عرَّض لهم الخليل عليه السلام في الكلام حتى توصل إلى مقصوده من إهانة أصنامهم ونصرة دين الله الحق .

○ قال تعالى : ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (٨٨) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (٢) (٨٩) فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ ﴾ [الصافات : ٨٨ ـ ٩١] .

○ وقال تعالى : ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلاَّ كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٥٨) قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٥٩) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (٦٠) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (٦١) قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا (٢) فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ (٦٣) فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنطِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥٨ ـ ٦٥] .

• لم يكذب إبراهيم إلا ثلاثًا •

○ ففي « الصحيحين » (٣) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات » .

---

(١) فبهت : تحير ، وانقطعت حجتهُ فسكت ولم تكن له حيلة .

(٢) وهذا وذاك جعلهما رسول الله ﷺ في ذات الله عزوجل ، كما سيأتى في الحديث القادم.

(٣) البخاري (٣٣٥٧) ومسلم (٢٣٧١) .

زاد مسلم [١] : « ثنتين في ذات الله . قوله : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ وقوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ وواحدة في شأن سارة [٢] ، فإنه قدم أرض جبار ، ومعه سارة ، وكانت أحسن الناس ، فقال لها : إن هذا الجبار ، إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك . فإن سألك ، فأخبريه أنك أختى ، فإنك أختى في الإسلام ، فإني لا أعلم في الأرض مسلمًا غيرى وغيرك ، فلما دخل

(١) وهو عند البخاري بهذا السياق الذي عند مسلم لكنه على الوقف من كلام أبي هريرة فقدَّمنا الرفع ، لأنه أولى . والله أعلم .

(٢) ○ قال الإمام النووى ـ رحمه الله ـ (شرح مسلم ١٥ / ١٢٤) :

قال المازري : أما الكذب فيما طريقه البلاغ عن الله تعالى فالأنبياء معصومون منه ، سواءً كثيره أو قليله ، وأما ما لا يتعلق بالبلاغ ، ويعد من الصفات كالكذبة الواحدة في حقير من أمور الدنيا ففي إمكان وقوعه منهم وعصمتهم منه القولان المشهوران للسلف والخلف . قال القاضي عياض : الصحيح أن الكذب فيما يتعلق بالبلاغ لا يتصور وقوعه منهم سواء جوزنا الصغائر منهم ، وعصمتهم منه أم لا ، وسواء قل الكذب أم كثر ، لأن منصب النبوة يرتفع عنه ، وتجويزه يرفع الوثوق بأقوالهم . وأما قوله ﷺ: « ثنتين في ذات الله تعالى ، وواحدة في شأن سارة » فمعناه أن الكذبات المذكورة ، إنما هى بالنسبة إلى فهم المخاطب والسامع ، وأما في نفس الأمر ، فليست كذبًا مذمومًا ، لوجهين :

أحدهما : أنه ورَّى بها ، فقال في سارة « أختى في الإسلام » ، وهو صحيح في باطن الأمر .

والوجه الثاني : أنه لو كان كذبًا لا تورية فيه لكان جائزًا في دفع الظالمين ، وقد اتفق الفقهاء على أنه لو جاء ظالم يطلب إنسانًا مختفيًا ليقتله . أو يطلب وديعة لإنسان ليأخذها غصبًا ، وسأل عن ذلك ، وجب على من علم ذلك إخفاؤه وإنكار العلم به ، وهذا كذب جائز ، بل واجب لكونه في دفع الظالم فنبه النبي ﷺ على أن هذه الكذبات ليست داخلة في مطلق الكذب المذموم . ا.هـ .

○ وقال الحافظ ـ رحمه الله ـ (الفتح ٦ / ٣٩٢) : « قال ابن عقيل : دلالة العقل تصرف ظاهر إطلاق الكذب على إبراهيم ، وذلك أن العقل قطع بأن الرسول ينبغى =

أرضه رآها بعض أهل الجبار . أتاه فقال له : لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي لها أن تكون إلا لك ، فأرسل إليها ، فأتي بها ، فقام إبراهيم عليه السلام

= أن يكون موثوقًا به ليعلم صدق ما جاء به عن الله ، ولا ثقة مع تجويز الكذب عليه، فكيف مع وجود الكذب منه ، وإنما أطلق عليه ذلك لكونه بصورة الكذب عند السامع، وعلى تقديره فلم يصدر ذلك من إبراهيم عليه السلام - يعني إطلاق الكذب على ذلك - إلا في حال شدة الخوف لعلو مقامه وإلا فالكذب المحض في مثل تلك المقامات يجوز، وقد يجب لتحمل أخف الضررين دفعًا لأعظمها ، وأما تسميته إياها كذبات فلا يريد أنها تذم ، فإن الكذب ، وإن كان قبيحًا مخلاً ، لكنه قد يحسن في مواضع ، وهذا منها » . ا.هـ .

قلت : (القائل محمد) : قوله : (ثنتين في ذات الله) . ففيها إثبات الذات لله تبارك وتعالى ، وعلى ذلك يجوز إطلاق الذات على الله تبارك وتعالى ، فقد أخرج البخاري في عدة مواضع من صحيحه (٧٤٠٢ ، ...) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه . قال : بعث رسول الله ﷺ عشرة ، منهم خبيث الأنصارى فأخبرني عبيد الله بن عياض أن ابنة الحارث أخبرته أنهم حين اجتمعوا استعار منها موسى يستحد بها، فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه قال خبيب الأنصاري :

ولست أبالي حين أقتل مسلمًا ... على أى شق كان لله مصرعى
وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يُبارك على أوصال شلوٍ ممزع

● وأيضًا ، قال ابن عباس : تفكروا في كل شئ ولا تفكروا في ذات الله . ذكره الحافظ في « الفتح » (٦ / ٣٨٣) وقال : سنده جيد ، ونقل أيضًا قول حسان :

وإن أخا الأحقاف إذ قام فيهم ... يجاهد في ذات الإله ويعدل

ويبوب البخاري لهذا بباب « ما يذكر في الذات والنعوت وأسامي الله عزوجل وقال خبيب : وذلك في ذات الإله » فذكر الذات باسمه تعالى » . قال الحافظ (١٣/ ٣٨٢): أى ذكر الذات متلبسًا باسم الله ، أو ذكر حقيقة الله بلفظ الذات . قاله الكرماني .

وقال : واستعمال البخاري لها دال على ما تقدم من أن المراد بها نفس الشئ على طريقة المتكلمين في حق الله تعالى ، ففرق بين النعوت والذات » .

إلى الصلاة ، فلما دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده إليها . فقبضت يده قبضة شديدة ، فقال لها : ادعى الله أن يطلق يدى ولا أضرك ، ففعلت ، فعاد . فقبضت أشد من القبضة الأولى ، فقال لها مثل ذلك ، ففعلت . فعاد . فقبضت أشد من القبضتين الأوليين ، فقال : ادعي الله أن يطلق يدى، فلك الله أن لا أضرك . ففعلت ، وأطلقت يده . ودعا الذى جاء بها، فقال له : إنك إنما أتيتني بشيطان ، ولم تأتني بإنسان . فأخرجها من أرضى ، وأعطها هاجر . قال : فأقبلت تمشي فلما رآها إبراهيم عليه السلام انصرف . فقال لها : مهيم ؟ قالت : خيرًا . كفَّ الله يد الفاجر وأخدم خادمًا . قال أبو هريرة : فتلك أمكم يا بنى ماء السماء [1] .

● قصة إبراهيم مع ابنه الذبيح [2] وامتثاله لأمر الله في ذلك ●

○ قال تعالى ـ مخبراً عنه ـ : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ(١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ(١٠٥) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي

---

(١) قال النووي ـ رحمه الله ـ (١٥/ ١٢٦) : « وفي هذا الحديث معجزة ظاهرة لإبراهيم ﷺ » .

(٢) والذبيح على القول الصحيح هو إسماعيل عليه السلام ، وسيأتي تحرير المقام في ذلك في محله إن شاء الله .

الآخرين (١٠٨) سلامٌ علىٰ إبراهيم (١٠٩) كذلك نجزي المحسنين (١١٠) إنه من عبادنا المؤمنين ﴾ [الصافات : ١٠٠ ـ ١١١] .

• إلقاؤه في النار •

○ قال تعالى : ﴿ قالوا ابنوا له بنيانًا فألقوه في الجحيم (٩٧) فأرادوا به كيدًا فجعلناهم الأسفلين ﴾ [الصافات : ٩٧ ـ ٩٨] .

○ وقال تعالى : ﴿ قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين (٦٨) قلنا يا نار كوني بردًا وسلامًا علىٰ إبراهيم (٦٩) وأرادوا به كيدًا فجعلناهم الأخسرين ﴾ [الأنبياء : ٦٨ ـ ٧٠] .

• نجاته عليه السلام •

○ قال تعالى : ﴿ قلنا يا نار كوني بردًا وسلامًا علىٰ إبراهيم ﴾ [الأنبياء : ٦٩].

وتلك كرامة من أعظم الكرامات لنبي الله خليله إبراهيم عليه وعلى نبينا وجميع أنبيائه الصلاة والسلام .

○ أخرج البخاري في « صحيحه »(١) عن ابن عباس : (**حسبنا الله ونعم الوكيل**) قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار ، وقالها محمد ﷺ حين قالوا : ﴿ إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانًا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ [آل عمران : ١٧٣] .

---

(١) (٤٥٦٣) .

وفي لفظ (١) : « كان آخر قول إبراهيم حين ألقى في النار : حسبى الله ونعم الوكيل » .

• أمر النبى ﷺ بقتل الوزغ الذى كان سبب إشعال النار على الخليل إبراهيم عليه السلام •

○ ففي « الصحيحين » (٢) من حديث أم شريك رضى الله عنها : « **أن رسول الله ﷺ أمر بقتل الوزغ** (٣) **، وقال : كان ينفخ على إبراهيم** » .

(١) أيضًا في « الصحيح » (٤٥٦٤) .
قلت : وهذا الحديث وغيره من الأحاديث يؤصل أصلاً ويقيم قاعدة ، ألا وهى مشروعية ذكر الله عزوجل ، وطلب العون منه عند لقاء العدو ، وذي السلطان ، وقد قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال : ٤٥] . وندعوا الله عزوجل بقولنا : « **اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم** » على ما فيه من ضعف . وقد قال الغلام في قصة الراهب والملك والساحر عندما ذهب به ليلقى في اليم قال : « **اللهم اكفنيهم بما شئت** » فرجف بهم الجبل فهلكوا وغرقوا جميعًا ، ولله الأمر من قبل ومن بعد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل.
(٢) البخاري (٣٣٥٩) ومسلم (٢٢٣٧) .
(٣) قال النووى ـ رحمه الله : في رواية : « أمر بقتل الوزغ وسماه فويسقًا » وفي رواية : «من قتل وزغة في أول ضربة فله كذا وكذا حسنة ، ومن قتلها في الضربة الثانية فله كذا وكذا حسنة لدون الأولي ، وإن قتلها في الضربة الثالثة ، فله كذا وكذا حسنة لدون الثانية » وفي رواية : « من قتل وزغًا في أول ضربة سبعين حسنة » .
قال أهل اللغة : « الوزغ : وسام أبرص جنس فسام أبرص هو كباره » . واتفقوا على أن الوزغ من الحشرات المؤذيات ، وجمعه أوزاغ ، ووزغان ، وأمر النبى ﷺ بقتله وحث عليه ورغب فيه لكونه من المؤذيات ، وأما سبب تكثير الثواب في أول قتله بأول ضربة ، ثم يليها ، فالمقصود به الحث على المبادرة بقتله ، والاعتناء به ، وتحريض قاتله على أن يقتله بأول ضربة ، فإنه إذا أراد أن يضربه ضربات ربما انفلت وفات قتله». ا.هـ .

○ وعن نافع قال : حدثتني سائبة مولاة للفاكه بن المغيرة [(١)] قالت : «دخلتُ على عائشة ، فرأيت في بيتها رمحًا موضوعًا ، قلت : يا أم المؤمنين: ما تصنعون بهذا الرمح ؟ قالت : هذه لهذه الأوزاغ نقتلهن به ، فإن رسول الله ﷺ حدثنا : « **أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين ألقي في النار لم تكن في الأرض دابة إلا تطفئ النار عليه ، غير الوزغ كان ينفخ عليه ، فأمرنا رسول الله ﷺ بقتله** » [(٢)] .

● هجرة الخليل إبراهيم ﷺ بزوجه سارة ، وحفظ الله ومعيته لهما ●

لقد هاجر نبي الله إبراهيم خليل الرحمن ﷺ ، كما هاجر النبيون قبله كنوح عليه السلام [(٣)] ، وكما هاجر النبيون من بعده كمحمد ﷺ .

---

(١) هذا الإسناد بهذه الصورة فيه جهالة لحال سائبة هذه ولكنه ورد عند أحمد في (المسند ٦/ ٢٠٠ ، ٢١٧) من طريق نافع عن عائشة (بإسقاط سائبة) وعليه ، فيكون الإسناد نظيفًا ، إن كان نافع سمع من عائشة ، كما قال الشيخ ناصر عليه رحمة الله.

(٢) أخرجه أحمد في (المسند ٦ / ٨٣ و ١٠٩) ، وابن ماجه (٣٢٣١) ، وابن حبان في « صحيحه » (٥٦٣١) ، وكما في « الموارد » (١ / ٤٦٨) من حديث نافع ، عن سائبة فذكرته .
قلت : وفي الإسناد سائبة ، قال فيها الحافظ : « مقبولة » ، وقال غيره : « مجهولة ، لا تعرف » ، ولكن له شاهد عند النسائي (٥ / ١٨٩) من حديث : قتادة عن سعيد ابن المسيب أن امرأة دخلت على عائشة ، وبيدها عكاز فذكرته . . . وسماع قتادة من سعيد عندي ثابت كما قال البرديجي ـ رحمه الله ـ كما في « جامع التحصيل » للحافظ العلائي ، خلا عدة أحاديث أدخل فيها قتادة واسطة بينه وبين سعيد بن المسيب ـ رحمه الله ـ كما ذكر ذلك الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ .

(٣) فقد أمره ربه سبحانه وتعالى بعد صنع السفينة أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين وأهله المؤمنين فقال : ﴿ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴾ [هود : ٤٠] .

○ أما بشأن الخليل إبراهيم عليه السلام ، فقال تعالى : ﴿ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي[١] ﴾ [العنكبوت : ٢٦] .

○ وقال تعالى : ﴿ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [الصافات : ٩٨ ـ ٩٩] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ [٢] [الأنبياء : ٧٠ و ٧١] .

○ وفي « صحيح البخاري » [٣] من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **هاجر إبراهيم عليه السلام بسارة ، فدخل بها قرية فيها ملك من الملوك ـ أو جبار من الجبابرة ـ فقيل : دخل إبراهيم بامرأة هى من أحسن النساء ، فأرسل إليه أن إبراهيم من هذه التى معك ؟ قال : أختى، ثم رجع إليها ، فقال : لا تكذبي حديثى ، فإني أخبرتهم أنك أختي ، والله إن على الأرض مؤمن غيرى وغيرك [٤] ، فأرسل بها إليه فقام إليها ،**

---

(١) على أحد قولى المفسرين في تفسير الآية الكريمة ، فقد قالت طائفة من أهل العلم : إن قوله : (وقال) راجع إلى لوط عليه السلام ، وعليه ؛ فللعماء قولان في المراد بقوله : (وقال) على النحو الذى ذكر ، والله أعلم .

(٢) قيل هى بلاد الشام ومنها : أرض بيت المقدس ، وقيل : هى مكة .

(٣) (برقم : ٢٢١٧ و ٦٩٥٠) والترمذي (٣١٦٦) والنسائي في « الكبرى » (٥/ ٩٧).

(٤) قوله : « والله إن على الأرض مؤمن غيرى وغيرك » . « إن » هنا بمعنى « ما » كقوله « إن أنت إلا نذير » أى : ما أنت إلا نذير ، ولهذا نظائر كثيرة في كتاب الله عزوجل هذا : وقد قال الحافظ رحمه الله : يشكل عليه قوله كون لوط كان معه كما قال تعالى: ﴿ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ ﴾ [العنكبوت : ٢٦] . ، ويمكن أن يجاب بأن مراده بالأرض : الأرض التى وقع له فيها ما وقع ، ولم يكن معه لوط إذ ذاك .

فقامت توضأ وتصلى ، فقالت : اللهم إن كنت آمنت بك وبرسولك ، وأحصنت فرجي إلا على زوجي ، فلا تسلِّط عليَّ الكافر ، فغط حتى ركض برجله . قال الأعرج (أحد الرواة) : قال أبو سلمة بن عبد الرحمن : إن أبا هريرة قال : قالت اللهم إن يمت يقال هي قتلته ، فأُرسل ثم قال إليها ، فقامت توضأ وتصلى وتقول : اللهم إن كنت آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجى إلا على زوجي، فلا تسلِّط على هذا الكافر ، فغُط حتى ركض برجله .

قال أبو عبد الله : قال أبو هريرة : فقالت : اللهم إن يمت ، فيقال : هي قتلته فأُرسل في الثانية ، أو في الثالثة ، فقال : والله ما أرسلتم إليَّ إلا شيطانًا ، ارجعوها إلى إبراهيم عليه السلام ، وأعطوها آجر ، فرجعت إلى إبراهيم عليه السلام ، فقالت : أشعَرْتَ أن الله كبت الكافر ، وأخدم وليدة » .

• اختتانُه عليه السلام في الكبر ، ومدى قوة تحمله وامتثاله لأوامر الله عزوجل •

○ قال تعالى : ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾(١) [البقرة : ١٢٤] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴾ [النجم : ٣٧] .

○ وأخرج الشيخان (٢) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **اختتن إبراهيم عليه السلام ، وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم** »(٣) .

---

(١) ومن جملة هذه الكلمات : الختان كما ذكرنا ، والآية عامة يدخل فيها عموم الأوامر والنواهي والتكاليف ، والله أعلم ، وقد صح عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾ [البقرة : ١٢٤] . فقال : ابتلاه الله بالطهارة ، خمس في الرأس وخمس في الجسد . في الرأس : السواك ، والاستنشاق ، والمضمضة ، وقص الشارب، وفرق الرأس ، وفي الجسد خمسة : تقليم الأظافر ، وحلق العانة ، والختان، والاستنجاء من الغائط ، والبول ، ونتف الإبط » ، أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (أثر : ١١٦) ومن طريقة ابن جرير في « تاريخه » (١ / ١٦٨) وفي « تفسيره » (١/ ٥٧٢) ط . الكتب . وابن أبي حاتم في تفسيره (١١٦٥) وصحح إسناده الحافظ ابن حجر كما في تلخيصه ـ المتخب ـ من « قصص الأنبياء » للحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ (ص : ٢٣٠ بتحقيق الأخ الفاضل غُنيم بن عباس) .

(٢) البخاري (٣٣٥٦ و ٦٢٩٨) ومسلم (٢٣٧٠) وأحمد (٢ / ٣٢٢) .

(٣) قال الحافظ في « الفتح » (٦ / ٤٤٩) : قال النووي (١) : « لم يختلف الرواة عند مسلم في التخفيف » ، وأنكر يعقوب بن شيبة التشديد أصلاً . واختلف في المراد به ، فقيل : هو اسم مكان ، وقيل : اسم آلة النجار ، فعلى الثاني هو بالتخفيف لا غير ، وعلى الأول ففيه اللغتان ، هذا هو قول الأكثر . . والراجح أن المراد في الحديث : الآلة، فقد روى أبو يعلى من طريق على بن رباح قال : « أمر إبراهيم بالختان فاختتن بقدوم فاشتد عليه ، فأوحى الله إليه أن عجلت قبل نأمرك بآلته ، فقال: يارب كرهت أن أؤخر أمرك » .

---

(١) « شرح مسلم » (١٥ / ١٢٢) .

• بناؤه ﷺ البيت العتيق •

○ قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ (٣٥) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٦) رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧) رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ (٣٨) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٩) رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾ [إبراهيم : ٣٥ ـ ٤٠] .

○ وقال سبحانه : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة : ١٢٦] .

● قواعد (١) إبراهيم عليه السلام ●

○ قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا (٢) وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٧ ـ ١٢٩] .

---

(١) المراد بها : قواعد البيت ، التى في قوله ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ﴾ والمراد بقواعد البيت : الأسس التى تأسس عليها . والمراد بالبيت : الكعبة ، ويدل على هذا قول الله تعالى : ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [الحج : ٢٩] . وقد نقل بعض أهل العلم الإجماع على ذلك .

(٢) قوله ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾ .

قال الطبري رحمه الله : وأما « المناسك » فإنها جمع « منْسِك » وهو الموضع الذى يُنسك لله فيه ، ويتقرب إليه فيه بما يرضيه من عمل صالح : إما بذبح ذبيحة له ، وإما بصلاةٍ أو طوافٍ أو سعيٍ ، وغير ذلك من الأعمال الصالحة . ولذلك قيل لمشاعر الحج « مناسكه » لأنها أمارات وعلامات يعتادها الناس ويترددون إليها .

• قصة إبراهيم مع ابنه إسماعيل وبناؤهما البيت •

○ عن ابن عباس : « أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل اتخذت منطقًا لتُعفي أثرها على سارة ، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل - وهي ترضعه - حتى وضعها عند البيت عند دوْحةٍ فوق زمزم في أعلى المسجد. وليس بمكة يومئذٍ أحد ، وليس بها ماء، فوضعها هنالك ، ووضع عندهما جرابًا فيه تمر ، وسقاء فيه ماء ثم قَفَّى إبراهيم منطلقًا ، فتتبعته أم إسماعيل ، فقالت : يا إبراهيم ، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء ، فقالت له ذلك مرارًا ، وجعل لا يلتفت إليها . فقالت له : آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم . قالت : إذن لا يضيعنا . ثم رجعت . فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه فقال : ﴿ **رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ** - حتى بلغ - **يَشْكُرُونَ** ﴾ وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء ، حتى إذا نفد ما في السِقاء عطشت وعطش ابنها - وجعلت تنظر إليه يتلوى - أو قال - يتلبط - فانطلقت كراهية أن تنظر إليه ، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها ، فقامت عليه ، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدًا ، فلم تر أحدًا ، فهبطت من الصفا ، حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرْف ذراعها ، ثم سعتْ سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي ، ثم أتت المروة ،فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدًا ، ففعلت ذلك سبع مرات. قال ابن عباس قال النبي ﷺ : « **فذلك سعي الناس**

بينهما » فلما أشرفت على المروة سمعت صوتًا ، فقالت : صهٍ ـ تريد نفسها ـ ثم تسمَّعت أيضًا ، فقالت : قد أسمعت إن كان عندكِ غَواث ، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم ، فبحث بعقبه ، أو قال بجناحه ـ حتى ظهر الماء ، فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا ، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرفُ . قال ابن عباس قال النبي ﷺ : « **يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم** » ـ أو قال : « **لو لم تغرف من الماء ـ لكانت زمزم ماءً معينًا** » ، قال : فشربت وأرضعت ولدها ، فقال لها الملك : لا تخافوا الضيعة ، فإن هاهنا بيت الله يبني هذا الغلام وأبوه ، وإن الله لا يضيع أهله. وكان البيت مرتفعًا من الأرض كالرابية ، تأتيه السيول ، فتأخذ عن يمينه وشماله ، فكانت كذلك حتى مرَّت بهم رُفقة من جُرْهم ـ أو أهل بيت من جُرْهم ـ مقبلين من طريق كداء، فنزلوا في أسفل مكة ، فرأوا طائرًا عائفًا ، فقالوا : إن هذا الطائر ليدور على ماء ، لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء ، فأرسلوا جريًا أو جريين ، فإذا هم بالماء ، فرجعوا فأخبروهم بالماء ، فأقبلوا ـ قال : وأمُّ إسماعيل عند الماء ، فقالوا : أتأذنين لنا أن ننزل عندك ؟ فقالت: « نعم » ولكن لا حق لكم في الماء ، قالوا : « نعم » قال ابن عباس قال النبي ﷺ : « **فألفى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الإنس** » ، فنزلوا ، وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم ، حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم ، وشَبَّ الغلام وتعلم العربية منهم ، وأنفسهم وأعجبهم حين شب ، فلما أدرك زوجوه امرأة منهم » وماتت أم إسماعيل ، فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل يُطالع تركته ، فلم يجد إسماعيل ، فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي لنا ، ثم سألها عن عيشهم ، وهيئتهم فقالت : نحن بِشَرٍّ ،

نحن في ضيق وشدة ، فشكت إليه ، قال : فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام وقولي له يُغيِّر عتبة بابه . فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئًا فقال : هل جاءكم من أحدٍ ؟ قالت : نعم، جاءنا شيخ كذا وكذا ، فسألنا عنك فأخبرته ، وسألني كيف عيشنا ، فأخبرته أنّا في جهد وشدة . قال : فهل أوصاك بشيء ؟ قالت : نعم ، أمرني أن اقرأ عليك السلام ، ويقول غيِّر عتبة بابك . قال : ذاك أبي ، وقد أمرني أن أفارقك ، الحقي بأهلك ، فطلقها ، وتزوَّج منهم أخرى ، فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله ، ثم أتاهم بعد فلم يجده ، فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت : خرج يبتغي لنا . فقال : كيف أنتم ؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم ، فقالت : نحن بخير وسعة ، وأثْنت على الله ، فقال : ما طعامكم ؟ قالت : اللحم ، قال : ما شرابكم ؟ قالت : الماء ، قال : اللهم بارك لهم في اللحم والماء ، قال النبي ﷺ : « **ولم يكن لهم يومئذٍ حب ، ولو كان لهم دعا لهم فيه** » ، قال: فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة ، إلا لم يُوافقاه . قال : فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ، ومُريه يُثَبِّتْ عتبةَ بابِه ، فلما جاء إسماعيل ، قال : هل أتاكم من أحد ؟ قالت : نعم ، أتانا شيخ حسن الهيئة ـ وأثنت عليه ـ فسألني عنك فأخبرته ، فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنَّا بخير . قال : فأوصاك بشيء ؟ قالت : نعم ، هو يقرأ عليك السلام ، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك . قال : ذاك أبي ، وأنت العتبة ، أمرني أن أمسكك . ثم لبث عنهم ما شاء الله ، ثم جاء بعد ذلك ، وإسماعيل يبري نبْلاً له تحت دوْحة قريبة من زمزم ، فلما رآه قام إليه ، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد . ثم قال : يا إسماعيل ، إن الله أمرني بأمر ، قال : فاصنع ما

أمرك ربك . قال : وتعينني ؟ قال : وأعينك . قال : فإن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتًا ـ وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها ـ قال فعند ذلك رفعا القواعد من البيت ، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة ، وإبراهيم يبني . حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له ، فقام عليه وهو يبني ، وإسماعيل يناوله الحجارة . وهما يقولان : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ قال : فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت ، وهما يقولان : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ »(١) .

• مقام إبراهيم ﷺ •

○ قال تعالى : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ (٢) مَثَابَةً لِّلنَّاسِ (٣) وَأَمْنًا (٤) وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ (٥) مُصَلًّى (٦) وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا (٧) بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [سورة البقرة : ١٢٥] .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٦٤) و (٢٣٦٨ ، ...) والنسائي في « الكبرى » (٥ / ١٠٠) ، وأحمد (١ / ٢٥٣ ، ..) .

(٢) والمراد بالبيت هنا : الكعبة ، دلَّ على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [الحج : ٢٩] .

(٣) مثابة : أي مرجعًا ومجتمعًا .

(٤) وأمنًا : أى أمنًا من العدو .

(٥) مقام إبرهيم : هو الحجر الذي كان إبراهيم عليه السلام يقوم عليه لبناء الكعبة .

(٦) هذا أمرٌ من الله عزوجل لعباده أي يصلوا خلف مقام إبراهيم عليه السلام ، قال قتادة رحمه الله : « أمروا أن يصلوا عنده » . أخرجه الطبري بإسناد حسن .

(٧) أى طهراه مما به من بقايا الأصنام والأوثان .

• الأمر بالصلاة خلف مقام إبراهيم الخليل عليه السلام •

○ عن أنس قال : قال عمر : وافقت ربي في ثلاث ، فقلت : يا رسول الله ! لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى ، فنزلت : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ [البقرة : ١٢٥] .

○ وآية الحجاب ، قلت : يا رسول الله ! لو أمرت نساءك أن يحتجبن، فإنه يكلمهن البر والفاجر ، فنزلت آية الحجاب ، واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه ، فقلت لهن : **عسى ربه إن طلقكن أن يُبدِلَهُ أزواجًا خيرًا منكن»** فنزلت هذه الآية » [(١)] .

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ [(٢)] : فأمر نبيه ﷺ وأمته ، أن يتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ، تحقيقًا للاقتداء به ، وإِحياءً آثاره ـ صلى الله على نبينا وعليه وسلم ـ .

○ وعن عائشة رضى الله عنها زوج النبى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : **«ألم تر أن قومك لما بنوا الكعبة افتقدوا على قواعد إبراهيم »** فقلت يا رسول الله : ألا تردها على قواعد إبراهيم ؟ فقال : **« لولا حدثان قومك بالكفر »** . فقال عبد الله بن عمر [(*)] : لئن كانت عائشة سمعت هذا من رسول الله ﷺ

(١) حديث صحيح . أخرجه البخاري (٤٠٢ و ٤٤٨٣ و . . .) ، والترمذي (٣٩٥٩ و ٣٩٦٠) وابن ماجه (١٠٠٩) . وأخرجه مسلم (٢٣٩٩) عن ابن عمر عن أبيه به.

(٢) « جلاء الأفهام » (ص ٣٩٩) .

(*) قول عبد الله بن عمر : « لئن كانت عائشة سمعت هذا . . . » .

قال النووى في « شرح مسلم » (٩ / ٩٠) : قال القاضى : ليس هذا اللفظ من ابن=

ما أرى أن رسول الله ﷺ ترك استلام الركنين اللذين يليان الحجر ، إلا أن

= عمر على سبيل التضعيف لروايتها والتشكيك في صدقها وحفظها فقد كانت من الحفظ والضبط بحيث لا يستراب في حديثها ولا فيما تنقله ، ولكن كثيرًا ما يقع في كلام العرب صورة التشكيك والتقرير ، والمراد به اليقين ، كقوله تعالى ﴿ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [الأنبياء : ١١١] ، وقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ [سبأ : ٥٠] .

قال الحافظ : « الفتح ١/ ٢٧١ » : « وفي هذا الحديث معنى ما ترجم له (١) ، لأن قريشًا كانت تعظم أمر الكعبة جدًا ، فخشي ﷺ أن يظنوا ـ لأجل قرب عهدهم بالإسلام ـ أنه غيَّر بناءها لينفرد بالفخر عليهم في ذلك ، ويستفاد منه ترك المصلحة لأمن الوقوع في المفسدة ، ومنه ترك المنكر خشية الوقوع في أنكر منه ، وأن الإمام يسوس رعيته بما فيه إصلاحهم ، ولو كان مفضولاً ما لم يكن محرمًا » .

● ويقول ابن القيم رحمه الله في « إعلام الموقعين ٣ / ٥ ، ٦ » (بتصرف يسير) : «فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحِكَم ومصالح العباد في المعاش والمعاد . . . ـ إلى أن قال ـ: ومن ذلك أن النبي ﷺ شرع لأمته إيجاب إنكار المنكر ، ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله ، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله فإنه لا يسوغ إنكاره ، ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل ، فقد كان رسول الله ﷺ يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها ، بل لما فتح الله مكة ، وصارت دار الإسلام عزم على تغيير البيت ورده على قواعد إبراهيم ، ومَنَعَهُ من ذلك ـ مع قدرته عليه ـ خشية وقوع ما هو أعظم منه من عدم احتمال قريش بذلك ، لقرب عهدهم بالإسلام وكونهم حديثي عهد بكفر » .

● وقال الإمام النووى رحمه الله (شرح مسلم ٩ / ٨٩) : وفي هذا الحديث دليل لقواعد من الأحكام منها إذا تعارضت المصالح أو تعارضت مصلحة ومفسدة ، وتعذر الجمع بين فعل المصلحة وترك المفسدة ، بدئ بالأهم ، لأن النبي ﷺ أخبر أن نقض الكعبة وردها إلى ما كانت عليه من قواعد إبراهيم ﷺ مصلحة، ولكن تعارضه مفسدة أعظم منه ، وهى خوف فتنة بعض من أسلم قريبًا ، وذلك لما كانوا يعتقدونه من فضل الكعبة ، فيرون تغييرها عظيمًا ، فتركها ﷺ ، ومنها (أى من القواعد) : فكر ولى الأمر في مصالح رعيته واجتنابه ما يخاف منه تولد ضرر عليهم في دين أو دنيا إلا =

(١) يريد ما بوب له البخاري في كتاب العلم . بباب « من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه » .

البيت لم يتمم على قواعد إبراهيم » [(١)] .

وفي رواية : « **لولا حداثة قومك بالكفر لنقضت البيت ، ثم لبنيته على أساس إبراهيم عليه السلام ، فإن قريشًا استقصرت بناءه** [(٢)] ، **وجعلت له خلفًا**»[(٣)] . خلفًا . يعني : بابًا .

= الأمور الشرعية ، كأخذ الزكاة ، وإقامة الحدود ونحو ذلك ، ومنها : تألف قلوب الرعية ، وحسن حياطتهم ، وأن لا ينفروا ولا يتعرض لما يخاف تنفيرهم بسببه ما لم يكن فيه ترك أمر شرعي كما سبق . ا . هـ .

* قلت : هذا وقد قال الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه (١٢٧) حدثنا عبيد الله ابن موسى عن معروف بن خربوذ ، عن أبي الطفيل عن علي رضي الله عنه .

قال : « حدثوا الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله » موقوف ، وفي سنده معروف بن خربوذ [(١)] والأكثر على تضعيفه والله أعلم . وقد ورد في هذا الباب أيضًا أثر عن ابن مسعود ، أخرجه مسلم في مقدمته (ص ٧٦) [(٢)] إلا أنه منقطع بين ابن مسعود وبين الراوي عنه وهو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، ونص هذا الأثر :

قال ابن مسعود : « ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة »

قال شيخنا أبو عبد الله في « الصحيح المسند من أحاديث الفتن ص : ١٠٠ » : «وعذر مسلم في ذلك أنه أخرجه في المقدمة ، ولم يشترط في المقدمة ما اشترطه في الصحيح» . ا . هـ .

(١) أخرجه البخاري (٣٣٦٨ و ٤٤٨٤) ومسلم (ص ٩٦٩) .

(٢) قوله : « فإن قريشًا استقصرت بناءه » قال النووي (شرح مسلم ٩ / ٨٨ ، ٨٩) : وفي الرواية الأخرى : « اقتصروا عن قواعد إبراهيم » ، وفي الأخرى : « اقتصروا في البناء» ، وفي الأخرى: « قصرت بهم النفقة » قال العلماء : هذه الروايات كلها بمعنى واحد ، ومعنى استقصرت : قصرت عن تمام بنائها واقتصرت على هذا القدر لقصور النفقة بهم عن تمامها » . ا . هـ .

(٣) أخرجه البخاري (١٥٨٥ و ١٥٨٦) ومسلم (٩ / ٨٨ نووي) .

وفي لفظ ثالث : « يا عائشة لولا أن قومك حديث عهد بجاهلية لأمرت البيت فهدم ، فأدخلت فيه ما أخرج منه ، وألزقته بالأرض ، وجعلت له بابين ، بابًا شرقيًا ، وبابًا غربيًا ، فبلغت به أساس إبراهيم » .

---

(١) قال الحافظ فيه : مقبول .

(٢) باب النهي عن الحديث بكل ما سمع .

• عِظَمُ منزلة الخليل

عنـد نبينـا محمـد ﷺ •

○ لقد كانت تلك المنزلة في أعلى المقامات عند رسولنا محمدٍ ﷺ .

ففي « صحيح مسلم » (١) وغيره من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رجل لرسول الله ﷺ : ياخير البرية .

فقال رسول الله ﷺ : « **ذاكَ إبراهيمُ عليه السلام** » .

وقد ذهب الإمام أحمد رحمه الله إلى أن النبي ﷺ إنما أراد التواضع بذلك (٢) ، ولكن انظر إلى هذه المنزلة العالية التى حملها خير خلق الله رسولنا محمد ﷺ سيد ولد آدم تجاه أبيه وخليل ربه إبراهيم عليه السلام .

---

(١) (برقم : ٢٣٦٩) ، وأحمد (٣ / ١٧٨ و ١٨٤) ، وانظر : (رسالة ابن طولون في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ [النحل : ١٢٠] . بتحقيقي حديث : ٦).

(٢) قال ابن رجب رحمه الله في « فتح الباري » له (كتاب الإيمان / باب طعام الطعام من الإسلام) . : « وقد تأوَّله : فقال الإمام أحمد : هو على وجه التواضع » .

وكذا نقل ذلك الخلال في « السنة » (عقب حديث : ٢٠٧) عن الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ قال النووى رحمه الله تعالى (١) ـ: قال العلماء : إنما قال النبى ﷺ هذا تواضعًا واحترامًا لإبراهيم ﷺ لخلته ، وأُبُوته ، وإلا فنبينا ﷺ أفضل ، كما قال ﷺ: « أنا سيد ولد آدم » ولم يقصد به الافتخار ، ولا التطاول على من تقدمه ، بل قاله لما أمر ببيانه وتبليغه ، ولهذا قال ﷺ : (ولا فخر) لينفي ما قد يتطرق إلى بعض الأفهام السخيفة . وقيل : يحتمل أنه ﷺ قال : « إبراهيم خير البرية » قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم .

وقال ابن طولون الصالحي (٢) ـ رحمه الله ـ : =

---

(١) « شرح مسلم » (١٥ / ١٢١) .

(٢) في رسالته المشار إليها قبل (عقب حديث رقم ٦ بتحقيقي) .

فأية منزلة هذه ؟!! وأي مكانة هذه ؟!! إنها مكانة من ﴿ اجْتَبَاهُ ﴾[1] ربه، و ﴿ اصطفاه ﴾ خالقه ، وجعله ﴿ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ [2] .

● دعوةُ النبي محمد ﷺ بمثل ما دعا به الخليل إبراهيم عليه السلام بتحريم المدينة ، كما حرَّم إبراهيم مكة ●

○ ففي « الصحيحين » [3] من حديث عبد الله بن زيد رضى الله عنه عن النبى ﷺ : « **إن إبراهيم حرَّم مكة ودعا لها ، وحرَّمت المدينة كما حرَّم إبراهيم مكة ، ودعوت لها في مُدِّها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم عليه السلام لمكة** » .

= وطريق الجمع من وجهين :

أحدهما : أنه ﷺ قال ذلك قبل أن يُعلمه الله بأنه أفضل من سائر الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، ثم لما أعلمه الله بذلك نبَّه الناس .

والثاني : وهو الأقوى : أنه ﷺ قال ذلك على وجه التواضع ، والاحترام لإبراهيم ﷺ ، لخلته ، وأُبوَّته ، ولبيان ما يجب له من التوقير والاحترام ، ولذلك لما قال ﷺ: « أنا سيد ولد آدم » أتبعه بقوله : « ولا فخر » ليبين ﷺ أنه لم يقل ذلك على وجه الافتخار ، والتطاول على من تقدمه ، بل قاله بيانًا لما أمر ببيانه ، والله سبحانه أعلم .

(١) النحل : ١٢٢ .

(٢) مريم : ٤١ .

(٣) البخاري (٢١٢٩) ومسلم (١٣٦٠) وأحمد (٤ / ٤٠) .

○ وأخرج مسلم [(١)] من حديث أبي هريرة أنه قال : كان الناس إذا رأوا أول الثمر ، جاؤا به إلى النبي ﷺ . فإذا أخذه رسول الله ﷺ قال : «اللهم بارك لنا في ثمرنا ، وبارك لنا في مدينتنا ، وبارك لنا صاعنا ، وبارك لنا في مدنا ، اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك ، وإني عبدك ونبيك ، وإنه دعاك بمكة ، وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعا لمكة ، ومثله معه » .

قال : « ثم يدعو أصغر وليد له ، فيعطيه ذلك الثمر » .

○ وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ طلع له أُحُدٌ فقال : « هذا جبل يحبنا ونحبه ، اللهم إن إبراهيم حرَّم مكة ، وإني أحرِّم ما بين لا بتيها » [(٢)] .

○ وعن جابر بن عبد الله قال : قال النبي ﷺ : « إن إبراهيم حرَّم مكة، وإني حرَّمت المدينة ما بين لا بتيها ، لا يقطع عضاهها ، ولا يصاد صيدها » [(٣)] .

● الخليل إبراهيم عليه السلام

أفضل الخلائق بعد نبينا محمد ﷺ ●

○ عن أبي بن كعب قال : فذكر حديثًا وفيه أن النبي ﷺ قال : « يا أُبيّ أُرسل إليَّ أن اقرأ القرآن على حرف ، فرددت إليه أن هون على أمتي فردَّ إليَّ

---

(١) (١٣٧٣) وابن ماجه (٣٣٢٩) والنسائي في « الكبرى » (١٠١٣٤) .

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٦٧) .

(٣) أخرجه مسلم (١٣٦٢) ، وأحمد (٣ / ٣٣٦ و ٣٩٣) . وفي الباب عن أبي سعيد الخدري ، رواه مسلم (١٣٧٤) والنسائي في « الكبرى » (٢ / ٤٨٥) ، وعن رافع ابن خديج ، عند مسلم (١٣٦١) وأحمد (٤ / ١٤١) .

الثانية اقرأهُ على حرفيْن فرددت إليه أن هون على أمتي فرد إلى الثالثة اقرأه على سبعة أحرف ، فلك بكل ردة رددتكها مسألة تسألينها ، فقلت : اللهم اغفر لأمتي ، اللهم اغفر لأمتي ، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إليَّ الخلق كلهم حتىَّ إبراهيم ﷺ » [١] .

○ قال الحافظ ابن كثير رحمه الله [٢] : « فهذا السياق دلَّ على أنه أفضل الخلائق بعده » .

• لقاء إبراهيم أباه آزر يوم القيامة •

○ أخرج البخاري في « صحيحه » [٣] .

من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة، وعلى وجه آزر قترة وغبرة [٤]، فيقول له إبراهيم : ألم أقل لك لا تعصنى ؟ فيقول أبوه : فاليوم لا أعصيك ؟ فيقول إبراهيم : يارب إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون ، فأىٌّ خزى أخزى من أبي الأبعد ؟ فيقول الله تعالى : « إني حرمت الجنَّة على الكافرين » ثم يقال : يا إبراهيم : ما

---

(١) حديث صحيح . أخرجه مسلم (٨٢٠) وأحمد (٥ / ١٢٧) وعبد الله في «الزوائد» (٥ / ١٢٨) من حديث أبي بن كعب رضى الله عنه به .

(٢) تلخيص « قصص الأنبياء للحافظ ابن كثير » ، انتخاب الحافظ ابن حجر ـ رحمهما الله تعالى ـ (ص ٢٢٥ ط . التابعين) .

(٣) (٣٣٥٠ و ٤٧٦٨ و ٤٧٦٩) ، والنسائي في « الكبرى » (٦ / ٤٢٢) (١١٣٧٥).

(٤) قال الحافظ في « الفتح » (٦ / ٣٥٨) : « هذا موافق لظاهر القرآن : ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾ [عبس : ٤٠ ـ ٤١] أي يغشاها قترة ، فالذى يظهر أن الغبرة: الغبار من التراب ، والقترة : السواد الكائن على الكآبة » . ا . هـ .

تحت رجليك ؟ فينظر فإذا هو بذيخ ملتطخ (١) ، فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار».

○ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «ليأخذن رجل بيد أبيه يوم القيامة ، فلتقطعنَّه النار يريد أن يدخله الجنة ، قال : فينادى أن الجنة لا يدخلها مشرك ، ألا إن الله قد حرَّم الجنة على كل مشرك ، قال : فيقول : أى رب ، أبي ! فيحول في صورة قبيحة وريح منتنة ، فيتركه ، قال : فكان أصحاب رسول الله ﷺ يرون أنه إبراهيم عليه السلام ، ولم يزدهم رسول الله ﷺ على ذلك » (٢) .

---

(١) الذيخ : الضبع الذكر ، قاله البغوى في « شرح السنة » (١٥ / ١١٩) . وقال الحافظ في « الفتح » (٦ / ٣٥٩) : « والذيخ : بكسر الذال المعجمة بعدها تحتانية ساكنة ، ثم خاء معجمة ، ذكر الضباع ، وقيل : لا يقال له ذيخ إلا إذا كان كثير الشعر ، والضبعان لغة في الضبع » وقوله : « ملتطخ » قال بعض الشراح : « أى في رجيع أو دم أو طين » انتهى . وانظر : تفسير ابن كثير رحمه الله (٣ / ٣٢٢) (آية الشعراء : ٨٧) .

وقد بوَّب أبو حاتم ابن حبان ـ رحمه الله تعالى ـ لهذا الحديث بابًا بعنوان : « باب ذكر الأخبار بأن الانتساب إلى الأنبياء لا ينفع في الآخرة » .

قلت : وصدق النبي ﷺ إذ يقول : « من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه » ، أخرجه مسلم في صحيحه (٢٦٩٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

ورب العزة سبحانه وتعالى يقول عن نوح عليه السلام : ﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [هود : ٤٥ ـ ٤٦] .

(٢) أخرجه الحاكم في « المستدرك » (٤ / ٥٨٧) ، والبزار كما في « كشف الأستار » (١/ ٦٥) ، وابن حبان في « صحيحه » (٢٥٢ ـ ٦٤٥) ، وفي الموارد (برقم : ٦٩) من طريق : قتادة عن عقبة بن عبد الغافر عن أبي سعيد الخدرى مرفوعًا به .

قلت : وإسناد رجاله ثقات من رجال الجماعة ولا أعلم شيئًا يشوبه سوى عنعنة قتادة وهو مدلس ، ولم يصرِّح بالسماع ، وعقبة بن عبد الغافر ثقه روى له البخاري ومسلم وبرواية قتادة عنه .

● أول من يكسى من الخلائق يوم القيامة ●

وهذه من أعظم المناقب للخليل ﷺ .

○ ففى الصحيحين (١) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « **إنكم محشورون عراة غرلاً** (٢) ، **ثم قرأ** : ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٤] **وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم ، وإن أناسًا من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال ، فأقول أصحابي أصحابي فيقال : إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم ، فأقول كما قال العبد الصالح** : ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [المائدة : ١١٧ ـ ١١٨] » .

● صلاة المسلمين عليه في كل صلاة يصلونها ●

○ أخرج البخاري ومسلم (٣) من حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عجرة ، فقال : ألا أهدى لك هدية سمعتها من النبي ﷺ؟

---

(١) البخاري (برقم : ٣٤٩٩ ، ٣٤٤٧ و ٤٦٢٥ و . .) ومسلم (٢٨٦٠ مختصرًا بدون الشاهد) ، والترمذي (٢٤٢٣ ، ٣١٦٧) والنسائي (٤ / ١١٤ ، ١١٧) وأحمد (١/ ٢٢٠ و ٢٢٣ و . .) والطبراني في « الأوائل » (رقم : ٩) وغيرهم عن ابن عباس رضى الله عنهما به .

(٢) الغرلة : الجلدة التى تقطع في الختان .

(٣) البخاري (٣٣٧٠) ، ومسلم (٤٠٦) ، وأبو داود (٩٧٦ و ٩٧٧ و ٩٧٨) ، والترمذى (٤٨٣) ، والنسائي (٣ / ٤٧ و ٤٨) ، وفي « الكبرى » (٩٨٨٢) ، وابن ماجه (٩٠٤) ، وأحمد (٤ / ٢٤١ و ٢٤٣ و ٢٤٤) ، والدارمي (١٣٤٨)، والحميدى (٧١١ و ٧١٢) عن كعب بن عجرة به .

فقلت : بلى ، فاهدها لي ، فقال : سألنا رسول الله ﷺ ،فقلنا : يا رسول الله : كيف الصلاة عليكم أهل البيت ، فإن الله قد علّمنا كيف نسلّم. قال : « **قولوا : اللهم صل على محمد ، وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم ، وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد ،اللهم بارك علي محمد ، وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم ، وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد** » (١) .

---

(١) نسوق هنا كلامًا طويلاً أورده العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى ، في « جلاء الأفهام » (٢١٤ و ٢١٥) يدفع فيه ما قد يتوهم من مثل تلك الأحاديث . كما مر في حديث : (إن إبراهيم حرَّم مكة ودعا لها ، وحرمت المدينة كما حرَّم إبراهيم مكة ، ودعوت لها في مدها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم عليه السلام لمكة) ، وكنحو ما ورد في حديث الباب : (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم) ، فقد يقول قائل : إن النبى ﷺ أفضل من الخليل إبراهيم عليه السلام وهو سيد ولد آدم ، فكيف طلب له ما لإبراهيم ، مع أن المشبه به أصلُه أن يكون فوق المشبه ؟ فكيف التوفيق في ذلك المقام ؟

أجاب على ذلك العلامة ابن القيم كما ذكرنا ـ فذكر في المسألة تسعة أقوال من صحيح وفاسد كما قال رحمه الله تعالى ، وقد ردَّ على أصحاب كل قولٍ مخالف ـ حسب ما رآه رحمه الله . ونحن نورد ـ خشية الإطالة المملةـ وننتقى أظهر الأقوال في هذا العرض منه رحمه الله ، فقال :

وقالت طائفة أخرى:

التشبيه المذكور إنما هو في أصل الصلاة ، لا في قدرها ، ولا في كيفيتها ، فالمسئول إنما هو راجع إلى الهيئة ، لا إلى قدر الموهوب وهذا كما تقول للرجل : « أحسن إلى ابنك، كما أحسنت إلى فلان»، وأنت لا تريد بذلك قدر الإحسان، وإنما تريد به أصل الإحسان ، وقد يحتج لذلك بقوله تعالي : ﴿ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ : [القصص: ٧٧]، ولا ريب أنه لا يقدر أحدٌ أن يُحسن بقدر ما أحسن الله إليه ، وإنما أريد به أصل الإحسان لا قدرة ، ومنها قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ =

. . . .

= بَعْدِهِ ﴾ [النساء : ١٦٣] . وهذا التشبيه في أصل الوحى ، لا في قدره ، وفضل الموحى به . وقوله تعالى : ﴿ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ ﴾ [الأنبياء : ٥] ، وإنما مرادهم جنس الآية ، لا نظيرها ، وقوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ ﴾ [النور : ٥٥] . ومعلومٌ أن كيفية الاستخلاف مختلفة ، وأن ما لهذه الأمة ، أكمل مما لغيرهم . وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [البقرة : ١٨٣] . والتشبيه إنما هو في أصل الصوم ، لا في عينه وقدره وكيفيته . وقال تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٩] ومعلوم تفاوت ما بين النشأة الأولى وهى المبدأ ، والثانية وهى المعاد . وقال تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً ﴾ [المزمل : ١٥] . ومعلوم أن التشبيه في أصل الإرسال لا يقتضى تماثل الرسولين . وقال النبى ﷺ : « **لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا** » فالتشبيه هنا في أصل الرزق لا في قدره ولا كيفيته ، ونظائر ذلك .

قال ابن القيم : وهذا الجواب ضعيفٌ أيضًا لوجوه :

منها : أن ما ذكروه يجوز أن يستعمل في الأعلى والأدنى والمساوى . فلو قلت : أحسِن إلى أبيك وأهلك ، كما أحسنت إلى مركوبك وخادمك ونحوه ، جاز ذلك . ومن المعلوم أنه لو كان التشبيه في أصل الصلاة ، لحسن أن تقول : « اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على آل إبراهيم ، أو كما صلَّيت علي آحاد المؤمنين ونحوه أو كما صليت على آدم ، ونوح ، وهود ، ولوط ، فإن التشبيه عند هؤلاء إنما هو واقع في أصل الصلاة لا في قدرها ولا صفتها ، ولا فرق في ذلك بين من صلى عليه ، وأي ميزة وفضيلة ذلك ذلك لإبراهيم وآله ، وا الفائدة حينئذ في ذكره وذكر آله ؟ وكان الكافي في ذلك أن يقال : اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد فقط .

الثاني : أن ما ذكروه من الأمثلة ، ليس بنظير الصلاة على النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فإن هذه الأمثلة نوعان : خبرٌ ، وطلب ، فما كان فيها خبرًا ، فالمقصود بالتشبيه به الاستدلال والتقريب إلى الفهم وتؤيد ذلك الخبر ، وأنه ما لا ينبغي لعاقل=

. . . .

= إنكاره كنظيير المشبَّه به ، فكيف تُنكرون الإعادة ، وقد وقع الإعتراف بالبداءة ، وهي نظيرها ، وحكم النظير حكم نظيره ، ولهذا يحتج سبحانه بالمبدأ على المعاد كثيرًا ، قال تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ [الأعراف : ٤٢٩] وقال تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] . وقال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس : ٧٨ ـ ٧٩]، وهذا كثير في القرآن ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً ﴾ [المزمل : ١٥] ، أي : كيف يقع منكم الإنكار ، وقد تقدم قبلكم رسلٌ مني مبشِّرين ومنذرين ، وقد علمتم حال من عصى رسلي ، كيف أخذتهم أخذًا وبيلاً . وكذلك فقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ [النساء : ١٦٣] . الآية . أي : لست أول رسولٍ طرَقَ العالم ، بل قد تقدمت قبلك رسلٌ أوحيتُ إليهم كما أوحيت إليك ، كما قال تعالى : ﴿ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف : ٩] ، فهذا ردٌّ وإنكار على من أنكر رسالة النبي ﷺ مع مجيئه بمثل ما جاءت به الرسل من الآيات ، بل أعظم منها ، فكيف تُنكر رسالته ؟! وليست من الأمور التي لم تطرق العالم ، بل لم تخل الأرض من الرسل وآثارهم ، فرسولكم جاء على منهاج من تقدمه من الرسل في الرسالة لم يكن بِدعًا . وكذلك قوله تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [النور: ٥٥] . ، إخبارٌ عن عادته سبحانه في خلقه ، وحكمته التي لا تبديل لها ، أن من آمن وعمل صالحًا مكَّن له في الأرض ، واستخلفه فيها ، ولم يهلكه ، ويقطع دابره ، كما أهلك من كذب رسله وخالفهم ، وقطع دابرهُ ، فأخبرهم سبحانه عن حكمته ومعاملته لمن آمن برسله وصدَّقهم ، وأنه يفعل بهم كما فعل بمن قبلهم من أتباع الرسل وهكذا قول النبي ﷺ : « **لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير** » إخبارًا بأنه سبحانه يرزق المتوكلين عليه من حيث لا يحتسبون ، وأنه لا يُخليهم من رزق قط ، كما ترون ذلك في الطير ، فإنها تغدوا من أوكارها خماصًا ، فيرزقها سبحانه ، حتى ترجع بطانًا من رزقه ، وأنتم أكرم على الله من الطير ، ومن سائر الحيوانات ، فلو توكلتم عليه ، لرزقكم من حيث لا تحتسبون ، =

= ولم يمنع أحدًا منكم رزقه ، هذا ما كان من قبيل الإخبار .
وأما في قسم الطلب والأمر ، فالمقصود منه التنبيه على العلة ، وأن الجزاء من جنس العمل ، فإذا قلت : علِّم كما علمك الله ، ﴿ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [القصص : ٧٧] ،واعف كما عفا الله عنك ، ونحوه ، كان في ذلك تنبيه للمأمور على شكر النعمة التى أنعم الله بها عليه ، وأنه حقيقٌ أن يقابلها بمثلها ، ويقيدها بشكرها ، وأن جزاء تلك النعمة من جنسها ، ومعلوم ، أنه يمتنع خطاب الرب سبحانه بشئ من ذلك ولا يحسُن في حقه ، فيصير ذكر التشبيه لغواً لا فائدة فيه ، وهذا غير جائز .
الثالث : أن قوله : « **كما صليت على آل إبراهيم** » صفة لمصدر محذوف ، وتقديره : « صلاة مثل صلاتك على آل إبراهيم » وهذا الكلام حقيقتهُ أن تكون الصلاة مماثلة للصلاة المشبهة بها فلا يُعدل عن حقيقة الكلام ووجهه .
وقالت طائفة أخرى : آل إبراهيم فيهم الأنبياء الذين ليسوا في آل محمد مثلهم ، فإذا طُلب للنبى ﷺ من الصلاة مثل ما لا إبراهيم وآله - وفيهم الأنبياء - حصل لآل النبى ﷺ من ذلك ما يليق بهم ، فإنهم لا يبلغون مراتب الأنبياء ، وتبقى الزيادة التى للأنبياء ، وفيهم إبراهيم ، لمحمد ﷺ ، فيحصل له بذلك من المزية ما لم يحصل لغيره .
وتقرير ذلك : أن تجعل الصلاة الحاصلة لإبراهيم ولآله فيهم الأنبياء جملة مقسومة على محمد صلى الله عليه وسلم وآله ، ولا ريب أنه لا يحصل لآل النبى ﷺ مثل ما حصل لآل إبراهيم ، وفيهم الأنبياء ، بل لهم ما يليق بهم ، فيبقى قسم النبى ﷺ ، والزيادة المتوفرة التى لم يستحقها آله مختصة به ﷺ ، فيصير الحاصل له من مجموع ذلك أعظم، وأفضل من الحاصل لإبراهيم ، وهذا أحسن من كل ما تقدمه .
وأحسن منه أن يقال : « محمد ﷺ هو من آل إبراهيم[1] »، بل هو خير آل إبراهيم =

(١) هذا الأثر فيما يأتي عن ابن عباس رضى الله عنهما ، لا يصح عنه وذلك لأمرين :
الأول : ان على بن أبي طلحة لم يسمع التفسير من ابن عباس .
الثاني : أن على بن أبي طلحة نفسه متكلَّم فيه ، والراجح ضعفه والله أعلم . والأثر أخرجه الطبرى رحمه الله في (التفسير رقم ٦٨٤٦) قال : حدثني المثنى، قلت محمد : والمثنى هذا لا يدرى من هو ؟!

. . . .

= كما روى على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس رضى الله عنهما ، في قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران : ٣٣] ، قال ابن عباس رضى الله عنهما : « محمدٌ من آل إبراهيم » . وهذا نص ، فإنه إذا دخل غيره من الأنبياء الذين هم من ذريَّة إبراهيم وفي آله ، فدخول رسول الله ﷺ أولى ، فيكون قولنا : « كما صليت على آل إبراهيم » متناولاً للصلاة عليه ، وعلى سائر النبيين من ذرية إبراهيم . ثم قد أمرنا الله أن نصلى عليه وعلى آله خصوصًا بقدر ما صلَّينا عليه مع سائر آل إبراهيم عمومًا ، وهو فيهم ، ويحصل لآله من ذلك ما يليق بهم ، ويبقى الباقى كله له ﷺ .

وتقرير هذا أنه يكون قد صلَّى عليه خصوصًا ، وطلب له من الصلاة ما لآل إبراهيم وهو داخل معهم ، ولا ريب أن الصلاة الحاصلة لآل إبراهيم ورسول الله ﷺ معهم أكمل من الصلاة الحاصلة له دونهم ، فيطلب له من الصلاة هذا الأمر العظيم الذى هو أفضل مما لإبراهيم قطعًا ، ويظهر حينئذٍ فائدة التشبيه ، وجريه على أصله ، وأن المطلوب له من الصلاة بهذا اللفظ أعظم من المطلوب له بغيره ، فإنه إذا كان المطلوب بالدعاء ، وإنما هو مثل المشبه به، وله أوفر نصيب منه، صار له من المشبه المطلوب. أكثر مما لإبراهيم وغيره ، وانضاف إلى ذلك مما له من المشبَّه به من الحِصَّة التى تحصل لغيره ، فظهر بهذا من فضله وشرفه على إبراهيم وعلى كلٍّ من آله ، وفيهم النبيون ما هو اللائق به ، وصارت هذه الصلاة دالة على هذا التفضيل وتابعة له ، وهى من موجباته ، ومقتضياته ، فصلَّى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا ، وجزاه الله عنا أفضل ما جزى نبيًا عن أمته اللهم صلِّ على محمد ، وعلى آل محمد ، كما صليت على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد . ا. هـ . رحمه الله (١) .

---

(١) وقارن بكلام شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية في (الفتاوي ٢٢ / ٢٦٣ ـ ٤٦٧) .

•• صفة الخليل إبراهيم عليه السلام ••

• كان أشبه الخلق به رسولُ الله ﷺ •

○ أخرج البخاري [١] ومسلم من حديث ابن عباس رضى الله عنهما وذكروا له الدجال بين عينيه مكتوب كافر أو : ك ـ ف ـ ر ـ قال لم أسمعه، ولكنه قال : « **أما إبراهيم فانظروا إلى صاحبكم ، وأما موسى فجعد آدم على جمل أحمر مخطوم بخلبة ، كأني أنظر إليه انحدر في الوادى** » .

○ وفي « صحيح مسلم » [٢] من حديث جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **عرض على الأنبياء ، فإذا موسى ضرْب من الرجال ، كأنه من رجال شنوءة ، ورأيت عيسى ابن مريم عليه السلام . فإذا أقرب الناس من رأيت به شبهًا عروة بن مسعود . ورأيت إبراهيم صلوات الله عليه ، فإذا أقرب من رأيت شبهًا صاحبكم (يعنى نفسه) ، ورأيت جبريل عليه السلام ، فإذا أقرب من رأيت به شبهًا دحية** » . (وفي رواية : دحية بن خليفة) .

○ وعن ابن عباس قال : أسرى بالنبى ﷺ إلى بيت المقدس ، ثم جاء من ليلته ، فحدثهم بمسيره ، وبعلامة بيت المقدس ، وبعيرهم . . . وفي الحديث : « **رأى الدجال في صورته رؤيا عين ، ليس رؤيا منام ، وعيسى وموسى وإبراهيم صلوات الله عليهم ، فسئل النبى ﷺ عن الدجال ؟ فقال : أقمر هجان** [٣] (قال حسن أحد الرواة : رأيته فيلمانيًا [٤] أقمر هجان)

---

(١) (٣٣٥٥) ، ومسلم (برقم : ١٦٦) (ص ١٥٣) ، وأحمد (١ / ٢٧٦ و ٢٧٧).
(٢) (١٦٧) والترمذى (٣٦٤٩) وأحمد (٣ / ٣٣٤) .
(٣) الأقمر : الشديد البياض ، والهجان : الأبيض .
(٤) الفيلم هو العظيم الفخم الجثة .

إحدى عينيه قائمة ، كأنها كوكب دري ، كأن شعر رأسه أغصان شجرة ، ورأيت عيسى شابًا أبيض ، جعد الرأس ، حديد البصر ، مبطَّن الخلق ، ورأيت موسى أسحم [١] آدم كثير الشعر (قال حسن : الشعرة) ، شديد الخلْق، ونظرت إلى إبراهيم ، فلا أنظر إلى إرْب [٢] من آرابه ، إلا نظرتُ إليه مني ، كأنه صاحبكم ، فقال جبريل عليه السلام : سلِّم على مالكٍ ، فسلَّمت عليه» [٣] .

○ وفي « صحيح البخاري » [٤] عن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ : «أتاني الليلة آتيان : فأتينا على رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولاً ، وإنه إبراهيم ﷺ » .

○ وفي رواية [٥] : « فانطلقنا فأتينا على روضة معتمة فيها من كل لون الربيع ، وإذا بين ظهري الروضة رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولاً في السماء ، وإذا حول الرجل من أكثر ولدانٍ رأيتهم قط ...ثم قال : وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم ﷺ ، وأما الولدان الذين حوله فكل

---

(١) أسحم : أسود .

(٢) إرب : عضو .

(٣) حديث صحيح . أخرجه أحمد (١ / ٣٧٤) (وبرقم : ٣٥٤٦ بتحقيق الأرناؤوط ومساعديه) . وأبو يعلى في « مسنده » (٢٧٢٠) وقال في آخره : « سلِّم على أبيك» بدلاً من قوله : « سلِّم على مالك » ، وصوَّبه محققوا « المسند » والله أعلم .
وقد أخرج الحديث مختصراً دون الشاهد (النسائي في « الكبرى » ٦ / ٣٣٧) (١٢٨٣).
وقد حكم بصحة إسناده الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ في « تفسيره » كما في « تحقيق المسند » ـ المصدر السابق ـ .

(٤) (٣٣٥٤) .

(٥) عند البخاري (٧٠٤٧) .

مولود مات على الفطرة » .

وهذا الحديث فيه منقبة أخرى لإبراهيم ﷺ ، وهي أنه الكفيل لأطفال المسلمين في الجنة ، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع أنبيائه ورسله . وحشرنا الله وإياكم مع خليله وصفيه وسائر رسله عليهم جميعًا أفضل صلاة، وأتم تسليم .

ونكرر مقالة أبي إسحاق الثعلبي :

« وقد اجتمع فيه من خلال الخَيْرِ ، وأنواعِ الفَضْل ما يُجمعُ في أمة ، كما قال الشاعر :

لَيْس على الله بُمسْتنكَر أن يَجْمَعَ العالمَ في واحدٍ » .

وصلى الله وبارك عليه وعلى نبينا وسلم .

من فضائل لوط عليه السلام [1] وشيء من أخباره

﴿ وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾

(١) ولوط عليه السلام كان في زمن الخليل ﷺ ، بنص الكتاب العزيز ، إذ الله يقول : ﴿ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [العنكبوت : ٢٦] . وقالوا : إنه ابن أخي إبراهيم عليه السلام ، فهو لوط بن هاران ابن تارح (آزر) ، فعلى ما ذكره النسابون والمؤرخون أن إبراهيم عليه السلام هو عم للوط عليه السلام .
قلت : ولكن كما قدَّمنا أن ذلك لا يكاد يفيد كبير فائدة ، فما دام لم يرد فيه نصٌ في كتاب الله سبحانه ، أو في حديث رسول الله ﷺ ، فالتوقف في ذلك أولى وأنجع ، فلا يضيرنا عدم العلم بذلك ، وقد علمنا أنه كان مصاحبًا لخليل الرحمن إبراهيم عليهما السلام بصريح القرآن ، وأنه نبي منصوص على ذلك في الكتاب والسنة ، وقد هاجر مع الخليل عليه السلام ، فمن الذي يوصل إلى السامع ذكره ونبأه غير ذلك ؟!

● من فضائل نبي الله لوط عليه السلام ●

○ قال تعالى مخبرًا عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [العنكبوت : ٢٦] .

○ وقال تعالى : ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧١] .

○ فمن نعم الله عز وجل على عبده ونبيه لوط عليه السلام أن الله نجاه من كيد الكافرين ، وحفظه من ظلم الظالمين ، فأهلكهم ونجاه ، كما قال تعالى : ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧١] .

○ وكما قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ [العنكبوت : ٣٣] .

○ وقد آتاه الله حكمًا وعلمًا ، ووصفه بالصلاح كما قال تعالى : ﴿ وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ (٧٤) وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧٤ ، ٧٥] .

○ يقول الشيخ السعدي ـ رحمه الله تعالى [1] ـ : « هذا ثناء من الله على رسوله لوط عليه السلام بالعلم الشرعي ، والحكم بين الناس ، بالصواب والسداد ، وأن من أرسله إلى قومه ، يدعوهم إلى عبادة الله ، وينهاهم عما هم عليه من الفواحش ، فلبث يدعوهم ، فلم يستجيبوا له ، فقلَّب الله عليهم ديارهم وعذبهم عن آخرهم ، لأنهم كانوا قوم سوء فاسقين. كذبوا الداعي ، وتوعدوه بالإخراج ، ونجى الله لوطًا وأهله ،

(١) « تيسير الكريم الرحمن » (سورة الأنبياء : آية ٧٤ ، ٧٥) .

فأمره أن يسري بهم ليلاً ، ليبعدوا عن القرية ، فسروا ونجوا ، وذلك من فضل الله عليهم ومنته . ﴿ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا ﴾ التي من دخلها كان من الآمنين من جميع المخاوف ، النائلين كل خير ، وسعادة ، وبر ، وسرور ، وثناء، وذلك لأنه من الصالحين ، الذين صلحت أعمالهم ، وزكت أحوالهم ، وأصلح الله فاسدهم .

والصلاح هو السبب لدخول العبد في رحمة الله ، كما أن الفساد سبب لحرمانه الرحمة والخير ، وأعظم الناس صلاحًا ؛ الأنبياء عليهم السلام ، ولهذا يصفهم بالصلاح ، وقال سليمان عليه السلام : ﴿ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل : ١٩] » .

● بعثته ﷺ ●

○ قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات : ١٣٣] .

لقد أرسل لوط عليه السلام إلى قومٍ هم من أفجر الناس ، فقد كانوا أخبث الناس طوية ، وأسوأهم وأردأهم سريرة وسيرة ، فقد كانوا :

○ يحاربون الله وأنبياءه .

○ ويسعون في الأرض فساداً .

○ ويقطعون السبيل ، يعني الطريق .

○ ويخوِّنون الصديق ، والرفيق .

○ ويأتون في ناديهم (١) المنكر جهارًا علنًا دون حياء أو خجل ، وما كان

(١) وهو مجتمعهم ومحل حديثهم وسمرهم ، قاله ابن كثير ـ رحمه الله .

فيهم رجل واحد رشيد [١] .

فبعث الله إليهم نبيه لوطًا عليه السلام يذكرهم وينصحهم ، فدعاهم إلى التوحيد ، ونهاهم عن تعاطي الفواحش ، فاستمروا على فجورهم [٢] .

○ قال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٢) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٦٣) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٤) أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ [الشعراء : ١٦٠ ـ ١٦٦] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ (٢٨) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ ... ﴾ الآيات [العنكبوت : ٢٨ ، ٢٩] .

قال محمد أحمد العدوي ـ رحمه الله ـ صاحب « دعوة الرسل » (ص ٧٠) : « يطالب نبي الله لوط قومه بالطاعة في رفق ولين ، ويذكرهم بأنه رسول أمين لا غنى له عن تبليغ رسالة ربه ، ثم يكرر عليهم طلب التقوى والطاعة، ثم يريهم أنه لا يطلب منهم أجرًا على رسالته ، وإنما يطلبه من الله تعالى ، ثم ينتقل إلى إنكار فاحشتهم مستقبحًا لها ، فيقول : ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ [الشعراء: ١٦٥ ، ١٦٦] » .

---

(١) « منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله » لمحمد سرور (١ / ١٥٧) .

(٢) تلخيص « قصص الأنبياء للحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ » انتخاب الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ . (ص ٢٣٩ ط التَّابعين) .

• وصفُهُ بالصلاح •

○ قال تعالى : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ .. ﴾ الآية [التحريم : ١٠] .

• فضائل أخرى •

○ قال تعالى : ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام : ٨٦] .

ثم قال بعدها : ﴿ ... وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الأنعام : ٨٧] .

وقال بعدها : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (٨٩) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام : ٨٩ ، ٩٠] .

• قول النبي ﷺ :

« يرحم الله أخي لوطًا » •

○ وذلك لأن لوطًا عليه السلام قال لقومه : ﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ [هود : ٨٠] .

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله [1] ـ : « يقول تعالى مخبرًا نبيه لوطًا عليه السلام ، إن لوطًا توعدهم بقوله : ﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً ﴾ [هود : ٨٠]

---

(١) « التفسير » (٢ / ٤٣٨) .

الآية ، أي لكنت نكلت بكم ، وفعلت بكم الأفاعيل بنفسي وعشيرتي » .

○ وفي تلخيص « القصص للحافظ ابن حجر » (ص ٢٤١) قال : «ودّ لو كانت له منعة وعشيرة ينصرونه عليهم ؛ ليحل بهم ما يستحقونه من العذاب » .

○ أما المراد بقوله : ﴿ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ [هود : ٨٠] .

فالمعنيُّ به : ربه وخالقهُ . قال السعدي ـ رحمه الله [1] ـ : « . . اشتد قلق لوط عليه السلام ، وقال : ﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ [هود : ٨٠] ، كقبيلة مانعة لمنعتكم ، وهذا بحسب الأسباب المحسوسة ، وإلا فإنه يأوي إلى أقوى الأركان هو الله ، الذي لا يقوم لقوته أحد » .

○ وفي « الصحيحين » [2] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **يغفر الله للوط ، إن كان ليأوي إلى ركنٍ شديد** » .

○ وفي رواية : « **يرحم الله لوطًا ، لقد كان يأوي إلى ركن شديد** » [3] وفي لفظ : « **رحم الله أخي لوطًا ...** » [4] .

---

(١) « تيسير الكريم الرحمن » (ص ٣٤٢ ط . الرسالة) .

(٢) البخاري (برقم : ٣٣٧٥) ، ومسلم (رقم : ١٥٣) (ص : ١٨٤٠) .

(٣) البخاري (٣٣٨٧) ، ومسلم (١٥١ ، ١٥٣) .

(٤) وإسناده حسن ، وفيه زيادة منكرة ، بينتها في تحقيقي لـ « أحاديث الأنبياء » للمقدسي (رقم ٢٠) .

قال العدوي ـ رحمه الله تعالى ـ في « دعوة الرسل » (ص ٦٩) : والغرض من الحديث رفع شبهة تتعلق بنبي الله لوط ، وهي أنه يتمنى أن يستند إلى ركنٍ شديد ، وأيّ ركن شديد أقوى من ربه وخالقه ؟ فالحديث يرينا أن لوطًا كان يأوي إلى ركن شديد هو ربه وخالقه ، والركن الشديد الذي تمناه مرجع من الخليقة كعصبية ، أو =

● عداءُ قوم لوط لنبيهم لوط عليه السلام ●

وذلك أن لوطًا عليه السلام لما دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ونهاهم عن تعاطى ما ذكر الله عنهم من الفواحش ، لم يستجيبوا له ، ولم يؤمنوا به ، حتى ولا رجل واحد منهم ، ولم يتركوا ما عنه نُهوا ، بل استمروا على حالهم ، ولم يرعووا عن غَيِّهم وضلالهم ، وهموا بإخراج رسولهم من بين ظهرانيهم واستضعفوه (١) . فهددوه بالإخراج من قريتهم .

○ قال الله تعالى : ﴿ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴾ [الشعراء : ١٦٧] .

● أما عن سبب طرده !!●

○ كانت جريمة ! هذا النبي الكريم ـ في نظرهم ـ هو ما حكاه الله عنهم بقوله : ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ (٢) [الأعراف : ٨٢] .

= خرب قوي ، فهو يتمنى أن يكون قويًا بنفسه ، أو قويًا بغيره ليفعل مع أولئك المجرمين ما يستحقونه . ا . هـ .

(١) « البداية والنهاية » (١ / ١٦٧) للحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ .

(٢) قال محمد أحمد العدوي أثابه الله في « دعوة الرسل » (٦٥ ـ ٦٦) : « من العجيب أن تكون الطهارة ذنبًا يعاقب صاحبه عليه ، وينفي من بلده من أجلها ، وأن ترتكس النفوس في المحرمات ، وتنتكس بالجرائم حتى تستقبح الحسن ، وتستحسن القبيح ، وتفسد منها الفطرة إلى ذلك الحد المزري ، وهي سخرية بنبي الله لوط ومن معه ، وتهكم بطهارتهم من الفواحش وافتخار بما كانوا عليه من القذارة ، كما يقول الفسقة =

• استجابةُ الله تعالى

لدعوته عليه السلام على قومه [1] •

○ قال تعالى : مخبرًا عنه : ﴿ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ (١٦٩) فَنَجَّيْنَاهُ

= لبعض الصلحاء إذا وعظهم : أبعدوا عنا هذا التقشف ، وأريحونا من هذا المتزهد . وللنقص والرذائل دركات ، كما أن للكمال والفضائل درجات ، فأولاها أن يلم بالرذيلة ، وهو يشعر بقبحها ، ويلوم نفسه عليها ، ويليها أن يعود إليها المرة بعد المرة مستخفيًا ، ويليها أن يصر عليها حتى يزول شعوره بقبحها ، ويليها أن يجهر بها ويكون قدوة سيئة ، وأحط دركاتها أن يفاخر بها أهلها ، ويحتقر من يتنزهون عنها ، وهذه دركة قوم لوط ، ولا يهبط إليها من يؤمن بالله واليوم الآخر ، وقد وصف الله المؤمنين بأنهم إذا عملوا السيئات يعملونها بجهالة ثم يتوبون من قريب وأنهم لا يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون » انتهى .

بل أشد من ذلك أنهم قابلوا تلك المواعظ اللينة ، وذلك الأسلوب الهادئ من هذا النبي الكريم بقولهم ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴾ [الشعراء : ١٦٧] .

يا سبحان الله ، رسول من الله ، يدعو الناس إلى الطهر ، ويحببهم في النزاهة ، ويحول بينهم وبين فساد الفطر ، يكون جزاؤه من قومه أن يهددوه بالنفي ، ويتوعدوه بالتغريب ، ولا ذنب له في ذلك سوى طهارة غايته ، وسمو مبادئه ، ونيل مقصده ، ذلك هو ذنبه عند قومه !!

وهكذا يُتوعد أرباب المبادئ الصحيحة ، إلى أن ينزلوا عن مبادئهم ويسكتوا عن دعوتهم. ولكن الله تعالى تكفل لهم بالنصر ، ووعدهم ميراث الأرض ، كما توعد أعداء الرسل بالهلاك ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (١٣) وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ [إبراهيم : ١٣ ، ١٤] .

فليمعن المبطل في باطله ، وليزدد الفاجر من فجوره ، ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾ [الرعد : ١٧]. انتهى بتصرف من « دعوة الرسل » (ص٧٠ ، ٧١) لمحمد أحمد العدوي ـ رحمه الله تعالى ـ .

(١) إذ قد طلبوا من نبيهم وقوع ما حذرهم عنه من العذاب الأليم ، وحلول البأس العظيم، فعند ذلك دعا عليهم نبيهم الكريم، فسأل من رب العالمين، وإله المرسلين أن ينصره =

وأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٧٠) إِلاَّ عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (١٧١) ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِينَ (١٧٢) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ (١٧٣) إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٧٤) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء : ١٦٩ ـ ١٧٥] .

○ وقال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ (٣٠) وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ (٣١) قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ (١) [العنكبوت : ٣٠ ، ٣٢] .

● قوةُ الرابطةِ بين خليل الرحمن وبين نبي الله لـوط عـليـه السـلام ●

سبق أن لُوطًا عليه السلام ، كان من أوائل من آمن بدعوة إبراهيم عليه السلام ، وشاركه في محنه ومصائبه ، وخرج معه مهاجراً في أرض الله الواسعة ، وعندما أكرمه الله بالنبوة لم تنقطع صلته بإبراهيم عليه السلام ،

= على القوم المفسدين . فغار الله لغيرته ، وغضب لغضبته ، واستجاب لدعوته، وأجابه إلى طلبته ، وبعث رسله الكرام ، وملائكته العظام ، فمروا على الخليل إبراهيم، وبشروه بالغلام العليم ، وأخبروه بما جاءوا له من الأمر الجسيم ، والخطب العميم : ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ (٣٣) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الذاريات : ٣١ ـ ٣٤] » قاله الحافظ ابن كثير في « البداية والنهاية » . كما في « القصص » (١٩٦ ـ ١٩٧ مطبعة الأنوار المحمدية) .

(١) وذلك لأن الله قال في شأنها : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾ [التحريم : ١٠] .

لقوة الأواصر التي تربط بينهما .

فكلاهما عضوان في حزب الله ، وإن كان بينهما تفاوت في الرتبة ، فإبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء وخليل الرحمن ، ومن أولي العزم ، وهو فوق أقرب الأنبياء والرسل من ربه بعد خاتم الأنبياء والمرسلين عليه أفضل الصلاة والتسليم [(١)] .

فجاءت ملائكة الرحمن عز وجل يخبرون إبراهيم عليه السلام بالأمر الجسيم ، والخطب العميم من إهلاك قوم لوط عليه السلام ، (وقد كان يرجو لقوم لوط غير هذا المصير ، كما كان يخشى على لوط أن يناله نصيب من هذا العذاب ، ولكن الملائكة أخبرته أن هذا أمر الله قد جاء في أهل هذه القرية ، ولا راد لقضائه وقدره) ، فكان كما قال تعالى في كتابه : ﴿ **وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى** [(٢)] **قَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩) فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ (٧٠) وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (٧١) قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (٧٢) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ (٧٣) فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ**

(١) ومن غير الممكن ، أن يعيش جماعة من المسلمين في عصر واحد ، وفي أمكنة متقاربة، ولا تكون بينهم روابط منظمة ، وأواصر قوية . راجع « منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله » (جـ١ ص ١٦٧ تحت هذا المبحث) . د . محمد سرور .
قلت (محمد) : وهذه الروابط ، وتلك الأواصر ينبغي أن تكون على وفق الكتاب والسنة ، وعلى منهج السلف الصالح ، فلا تكون هذه الجماعة في طريق ، وهذه الطائفة في طريق آخر ، فإنه حينئذ لا يحصل شيء من تلك الرابطة ، ولا من هذه الأواصر ألبتة .

(٢) وهي بشرى الولد ـ فيما يظهر ـ والعلم عند الله .

الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ [(١)] ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾ [هود : ٧٤ ـ ٧٦] .

● هلاك قوم لوط ●

فقد استجاب الله دعوة لوط عليه السلام ، ونجَّاه وقومه الذين آمنوا به ، وأهلك المكذبين له ، فأذاقهم العذاب الأليم ، بسبب فسقهم وإجرامهم وإعراضهم عن دعوة نبيهم عليه الصلاة والسلام .

○ قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ [(٢)] وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ [(٣)] وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي [(٤)] هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ [(٥)] آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ

---

(١) وفي الآية الأخرى : ﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ . . . ﴾ [العنكبوت : ٣١] وقوله : ﴿ إِنَّ فِيهَا لُوطًا . . ﴾ دليل على رأفته ورحمته ، ورقة قلبه وهذا ما يجب للمؤمن من التحزن لأخيه ، وهذا هو ما حمله على المجادلة فيهم ، رجاء أن يرفع العذاب عنهم ، ويمهلوا لعلهم يحدثون توبة وإنابة . (« دعوة الرسل » ص ٦٨ و ٧٢) للعدوي ـ رحمه الله تعالى ـ .

(٢) أي ساءه شأنهم ، وضاقت نفسه بسببهم ، وخشي إن لم يضيفهم أن يضيفهم أحد من قومه فينالهم بسوء .

(٣) أي يسرعون ويهرولون من فرحهم بذلك .

(٤) قيل : المقصود به نساؤهم ، فالنبي للأمة بمنزلة الوالد ، فهو أب لهم ، وهم بناته .

(٥) منهم من فسَّر (أو) بـ (بل) .

مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨١) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ (٨٢) مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [هود : ٧٧ ـ ٨٣] .

○ وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ (٦١) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ (٦٢) قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ (٦٣) وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٦٤) فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (٦٥) وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ (٦٦) وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ (٦٧) قَالَ إِنَّ هَؤُلاءِ ضَيْفِي فَلا تَفْضَحُونِ (٦٨) وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ (٦٩) قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ (٧٠) قَالَ هَؤُلاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (٧١) لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٢) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (٧٣) فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ (٧٤) إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ (٧٥) وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ (٧٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر ٦١ ـ ٧٧] .

○ وفي الآية الأخرى : ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الأَلِيمَ ﴾ (١) [الذاريات : ٣٧] .

○ وقال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (٣٣) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلاَّ آلَ

---

(١) قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ: « أي تركناها عبرة وعظة لمن خاف عذاب الآخرة، وخشي الرحمن بالغيب ، وخاف مقام ربه ، ونهى النفس عن الهوى ، فانزجر عن محارم الله وترك معاصيه ، وخاف أن يشابه قوم لوط . ومن تشبه بقوم فهو منهم ، وإن لم يكن من كل وجه ، فمن بعض الوجوه ، كما قال بعضهم :

فإن لم تكونوا قوم لوط بعينهم ... فما قوم لوط منكم ببعيد

فالعاقل اللبيب الفاهم الخائف من ربه ، يمتثل ما أمره الله عز وجل ، ويقبل ما أرشده إليه رسول الله ﷺ ، من إتيان ما خلق الله له من الزوجات الحلال ، والجواري من السراي ذوات الجمال ، وإياه أن يتبع كل شيطان مريد ، فيحق عليه الوعيد ، ويدخل في قوله تعالى : ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [هود : ٨٣] » . انتهى .

لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ (٣٤) نِعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ (٣٥) وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ (٣٦) وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٧) وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ (٣٨) فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٩) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر : ٣٣ ـ ٤٠] .

من فضائل إسماعيل عليه السلام وذكر شيء من أخباره

﴿ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا ﴾

○ قال ابن الملقن في « التوضيح لشرح الجامع الصحيح » (١٣٢ الجزء المخصص في قصص الأنبياء) (ط: المكتبة المكية) : « وإسْماعيلُ[1] رسُول، ابْنُ رَسُولِ ، أَخُو نبيٍّ ، عَمُّ نَبيٍّ ، وكان أكثَرُ الأنْبَياءِ من وِلادَةِ يَعقُوب » .

---

(١) وهو ابن خليل الرحمن صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم وكذلك هو الذبيح على الصحيح، وهو قول الجمهور .

(فصل في ذلك)

قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ في « زاد المعاد » (١ / ٧١ ، ٧٢) : « وإسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم . وأما القول=

= بأنه إسحاق فباطل بأكثر من عشرين وجهًا ، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول : هذا القول إنما هو متلقى عن أهل الكتاب ، مع أنه باطل بنص كتابهم ، فإن فيه : إن الله أمر إبراهيم أن يذبح ابنه بكره ، وفي لفظ : « وحيده » ، ولا يشك أهل الكتاب مع المسلمين أن إسماعيل هو بكر أولاده ، والذي غرَّ أصحاب هذا القول أن في التوراة التي بأيديهم : اذبح ابنك إسحاق ، قال : وهذه الزيادة من تحريفهم وكذبهم ، لأنها تناقض قوله : اذبح بكرك ووحيدك ، ولكن اليهود حسدت بني إسماعيل على هذا الشرف ، وأحبوا أن يكون لهم ، وأن يسوقوه إليهم ، ويحتازوه لأنفسهم دون العرب ، ويأبى الله إلا أن يجعل فضله لأهله ، وكيف يسوغ أن يقال : إن الذبيح إسحاق ، والله تعالى قد بشر أم إسحاق به وبابنه يعقوب ، فقال تعالى عن الملائكة : إنهم قالوا لإبراهيم لما أتوه بالبشرى : ﴿ لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ [هود : ٧٠ ، ٧١] ، فمحال أن يبشرها بأن يكون لها ولد ، ثم يأمر بذبحه ، ولا ريب أن يعقوب عليه السلام داخل في البشاره ، فتناول البشارة لإسحاق ويعقوب في اللفظ واحد ، وهذا ظاهر الكلام وسياقُه ، فإن قيل : لو كان الأمر كما ذكرتموه لكان « يعقوب » مجرورًا عطفًا على إسحاق ، فكانت القراءة ﴿ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ أي : ويعقوب من وراء إسحاق . قيل : لا يمنع الرفع أن يكون يعقوب مبشرًا به ، لأن البشارة قولٌ مخصوص وهي أول خبر سارٍّ صادق ، وقوله تعالى : ﴿ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ جملة متضمنة لهذه القيود، فتكون بشارة، بل حقيقة البشارة هي الجملة الخبرية . ولما كانت البشارة قولاً ، كان موضع هذه الجملة نصبًا على الحكاية بالقول ، كأن المعنى : وقلنا لها : من وراء إسحاق يعقوب ، والقائل إذا قال : بشرت فلانًا بقدوم أخيه وثَقَلِه في أثره ، لم يعقل منه إلا بشارته بالأمرين جميعًا . هذا مما لا يستريب ذو فهم فيه البتة، ثم يضعف الجرَّ أمر آخر ، وهو ضعف قولك : مررتُ بزيد ، ومنْ بعده عمرو ، ولأن العاطف يقوم مقام حرف الجرّ ، فلا يفصل بينه وبين المجرور ، كما لا يفصل بين حرف الجار والمجرور . ويدل عليه أيضًا أن الله سبحانه لما ذكر قصة إبراهيم وابنه الذبيح في سورة الصافات قال : ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ =

. . . .

= وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ (١٠٨) سَلامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصافات : ١٠٣ ـ ١١١] ثم قال تعالى : ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [الصافات : ١١٢] فهذه بشارة من الله تعالى له شكرًا على صبره على ما أمر به ، وهذا ظاهرٌ جدًا في أن المبشَّر به غير الأول ، بل هو كالنص فيه .

فإن قيل : فالبشارة الثانية وقعت على نبوته ، أي : لما صبر الأب على ما أمر به ، وأسلم الولد لأمر الله ، جازاه الله على ذلك بأن أعطاه النبوة .

قيل : البشارة وقعت على المجموع : على ذاته ووجوده ، وأن يكون نبيًا ، ولهذا نصب « نبيًا » على الحال المقدَّر ، أي : مَقدَّرًا نبوته ، فلا يمكن إخراج البشارة أن تقع على الأصل ، ثم تخص بالحال التابعة الجارية مجرى الفضلة ، هذا محال من الكلام ، بل إذا وقعت البشارة على نبوته ، فوقوعها على وجوده أولى وأحرى . وأيضًا فلا ريب أن الذبيح كان بمكة ، ولذلك جعلت القرابين يوم النَّحر بها ، كما جعل السعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار تذكيرًا لشأن إسماعيل وأمه ، وإقامة ذكر الله ، ومعلوم أن إسماعيل وأمه هم اللذان كانا بمكة دون إسحاق وأمه ، ولهذا اتصل مكان الذبح وزمانه بالبيت الحرام الذي اشترك في بنائه إبراهيم وإسماعيل ، وكان النحر بمكة من تمام حج البيت الذي كان على يد إبراهيم وابنه إسماعيل زمانًا ومكانًا ، ولو كان الذبح بالشام كما يزعم أهل الكتاب ومن تلقى عنهم ، لكانت القرابين والنحر بالشام، لا بمكة .

وأيضًا فإن الله سبحانه سمى الذبيح حليمًا ، لأنه لا أحلم ممن أسلم نفسه للذبح طاعة لربه . ولما ذكر إسحاق سَمَّاه عليمًا ، فقال تعالى : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴾ [الذاريات : ٢٤ ، ٢٥] إلى أن قال : ﴿ قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ ﴾[الذاريات : ٢٨] وهذا إسحاق بلا ريب ، لأنه من امرأته ، وهي المبشَّرة به ، وأما إسماعيل ، فمن السُّرِّيَّة . وأيضًا فإنهما بُشِّرا به على الكبر واليأس من الولد ، وهذا بخلاف إسماعيل ، فإنه ولد قبل ذلك . . . إلخ كلامه ـ رحمه الله ـ » . =

. . . .

= كلام نفيس للعلامة الشنقيطي رحمه الله

قال رحمه الله في « أضواء البيان » (٦ / ٦٩١ ـ ٦٩٣) : « اعلم وفقني الله وإياك ، أن القرآن العظيم قد دلَّ في موضعين ، على أن الذبيح هو إسماعيل لا إسحاق ، أحدهما في الصافات . والثاني في هود .

أما دلالة آيات الصافات على ذلك فهي واضحة جدًا من سياق الآيات ، وإيضاح ذلك أنه تعالى قال عن نبيه إبراهيم : ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الصافات ٩٩ ـ ١١٠] .

قال بعد ذلك عاطفًا على البشارة الأولى : ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [الصافات : ١١٢] .

فدلَّ ذلك على أن البشارة الأولى شيء غير المبشر به في الثانية ، لأنه لا يجوز حمل كتاب الله على أن معناه : فبشرناه بإسحاق ، ثم بعد انتهاء قصة ذبحه يقول أيضًا : وبشرناه بإسحاق ، فهو تكرار لافائدة فيه ينزه عنه كلام الله ، وهو واضح في أن الغلام المبشر به أولاً الذي فدي بالذبح العظيم هو إسماعيل وأن البشارة بإسحاق نص الله عليها مستقلة بعد ذلك ـ ثم قال ـ :

ومعلوم في اللغة العربية أن العطف يقتضي المغايرة ، فآية الصافات هذه دليل واضح للمنصف على أن الذبيح إسماعيل لا إسحاق ، ويستأنس لهذا بأن المواضع التي ذكر فيها إسحاق يقينًا عبر عنه في كلها بالعلم لا بالحلم ، وهذا الغلام الذبيح وصفه بالحلم لا العلم .

وأما الموضع الثاني الدال علي ذلك الذي ذكرنا أنه في سورة هود ، فهو قوله تعالى : ﴿ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ [هود : ٧١] ، لأن رسل الله من الملائكة بشرتها بإسحاق ، وأن إسحاق يلد يعقوب ، فكيف يعقل أن يؤمر إبراهيم بذبحه ، وهو صغير ، وهو عنده علم يقين بأنه يعيش حتى يلد يعقوب . فهذه الآية أيضًا دليل واضح على ما ذكرنا ، فلا ينبغي للمنصف الخلاف في ذلك بعد دلالة هذه الأدلة القرآنية على ذلك والعلم عند الله تعالى. ا. هـ .

• من فضائل إسماعيل عليه السلام(١) •

• نبوة إسماعيل عليه السلام ورسالته •

○ قال تعالى لنبيه محمد ﷺ : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا ﴾ (٢) [مريم : ٥٤] .

○ وقال تعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ ... ﴾ [النساء : ١٦٣] .

○ وقال تعالى : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ ... ﴾ [البقرة : ١٣٦]

---

(١) قال ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ (« شرح رياض الصالحين » ٧ / ١٢٣) : (.. إسماعيل أبو العرب ، وليس في ذريته رسول إلا رسول واحد ، ختم جميع الرسالات ، وبعث إلى الناس كافة من بعثته إلى يوم القيامة ، هذا الرسول الذي من بني إسماعيل هو محمد صلوات الله وسلامه عليه) .

(٢) قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ في« التفسير » (٣ / ١٢١) :
« في هذا دلالة على شرف إسماعيل على أخيه إسحاق ، لأنه إنما وصف بالنبوة فقط ، وإسماعيل وصف بالنبوة والرسالة ، وقد ثبت في « صحيح مسلم » : أن رسول الله ﷺ قال : « إن اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل » وذكر تمام الحديث ، فدل على صحة ما قلناه » . انتهى .
قلت : وهذه اللفظة ليست عند مسلم ، فليتنبه !

• ثناء الله عز وجل على نبيه إسماعيل عليه السلام •

○ قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الأَخْيَارِ ﴾ [ص : ٤٨] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ (٨٥) وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٥ ، ٨٦] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام : ٨٦] .

• وفاؤه وحلمه وصبره •

○ قال تعالى مخبراً عن خليله عليه الصلاة والسلام : ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الصافات : ١٠١ ، ١٠٢] . وقد أكرمه الله سبحانه بأنه فداه بالذبح العظيم ، فقال : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ [الصافات : ١٠٧] .

• وصفُه بصدق الوعد •

○ قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ﴾ (١) [مريم : ٥٤] .

---

(١) قال ابن الملقن ـ رحمه الله ـ (التوضيح ١٣١) : « قيل في قوله : ﴿ صَادِقَ الْوَعْدِ ﴾ إنه واعد رجلاً مكانه فأقام به يومه إلى الغد ينتظره » ا . هـ . =

• ثناءات أخرى •

○ قال تعالى : ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ [مريم : ٥٥] .

○ وقال تعالى : ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾ [البقرة : ١٤٠] .

« فذكر الله عنه كل صفة جميلة ، وجعله نبيه ورسوله ، وبرأه من كل ما نسب إليه الجاهلون ، وأمر بأن يؤمن بما أنزل عليه عباده المؤمنون » (١) .

• فضل زمزم سقيا إسماعيل عليه السلام •

○ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال : « **يرحم الله أم إسماعيل لولا أنها عجلت لكانت زمزم عينا معينا** » (٢) .

ولزمزم من الفضائل الكثير والكثير (٣) . فمن ذلك : قول النبي ﷺ : «**إنها طعام طعم ، وشفاء سقم**» وهو حديث صحيح .

= قلت : والآية عامة في كل شيء ، والله أعلم . فيدخل فيها قوله لأبيه : ﴿ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الصافات : ١٠٢] .

(١) « الحافظ ابن كثير » في « البداية » .

(٢) حديث صحيح . أخرجه البخاري (٣٣٦٢) .

(٣) قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ « زاد المعاد » (٤ / ٣٩٢) :
« ماء زمزم سيِّد المياه ، وأشرفها ، وأجلُّها قدرًا ، وأحبُّها إلى النفوس ، وأغلاها ثمنًا، وأنفسها عند الناس ، وهو هَزْمَةُ جبريل ، وسُقيا الله إسماعيل » انتهى .

• تعويذ الخليل ﷺ له ولأخيه •

○ أخرج البخاري [١] وغيره من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: **« كان النبي ﷺ يعوِّذ الحسن والحسين ويقول : إن أباكما كان يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق : أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة »** .

• وكان إسماعيل عليه السلام راميًا •

○ عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال : مر النبي ﷺ على نفر من أسلم ينتضلون فقال رسول الله ﷺ : **« ارموا بني إسماعيل ، فإن أباكم كان راميًا ، ارموا وأنا مع بني فلان »** . قال : فأمسك أحد الفريقين بأيديهم ، فقال رسول الله ﷺ : **«ما لكم لا ترمون ؟ »**. فقالوا يا رسول نرمي وأنت معهم؟ قال : **« ارموا وأنا معكم كلُّكُمْ »** [٢] .

• إسماعيل والخليل إبراهيم عليهما السلام في بناء البيت •

○ عن ابن عباس : **« أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل اتخذت منطقًا لتُعفي أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل ـ**

---

(١) (برقم : ٣٣٧١) ، وأبو داود (٤٧٣٧) ، والترمذي (٢٠٦٠) ، والنسائي (٤ / ٧١١) ، وأحمد (١ / ٢٣٦) . وقد تقدَّم الحديث في فضائل الخليل إبراهيم عليه السلام ، وكذا توضيح فقراته ، فانظرها هناك .

(٢) حديث صحيح . أخرجه البخاري (٣٣٧٣) .

وهي ترضعه - حتى وضعها عند البيت عند دوْحةٍ فوق زمزم في أعلى المسجد. وليس بمكة يومئذٍ أحد ، وليس بها ماء، فوضعها هنالك ، ووضع عندهما جرابًا فيه تمر ، وسقاء فيه ماء ثم قفى إبراهيم منطلقًا ، فتتبعته أم إسماعيل ، فقالت : يا إبراهيم ، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء ، فقالت له ذلك مرارًا ، وجعل لا يلتفت إليها . فقالت له : آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم . قالت : إذن لا يضيعنا . ثم رجعت فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه فقال : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ ﴾ حتى بلغ ﴿ يَشْكُرُونَ ﴾ وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء ، حتى إذا نفذ ما في السِقاء عطشت وعطش ابنها - وجعلت تنظر إليه يتلوى - أو قال - يتلبط - فانطلقت كراهية أن تنظر إليه ، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها ، فقامت عليه ، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدًا ، فلم تر أحدًا ، فهبطت من الصفا ، حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف ذراعها ، ثم سعتْ سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي ، ثم أتت المروة ،فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدًا ، ففعلت ذلك سبع مرات . قال ابن عباس قال النبي ﷺ : « **فذلك سعي الناس بينهما** » فلما أشرفت على المروة سمعت صوتًا، فقالت : صه - تريد نفسها - ثم تسمعت أيضًا ، فقالت : قد أسمعت إن كان عندك غَوَاث ، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم ، فبحث بعقبه ، أو قال بجناحه - حتى ظهر الماء ، فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا ، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرفُ . قال ابن عباس قال النبي ﷺ : « **يرحم الله أم**

إسماعيل لو تركت زمزم » ـ أو قال : « لو لم تغرف من الماء ـ لكانت زمزم ماءً معينًا » ، قال : فشربت وأرضعت ولدها ، فقال لها الملك : لا تخافوا الضيعة ، فإن هاهنا بيت الله يبني هذا الغلام وأبوه ، وإن الله لا يضيع أهله. وكان البيت مرتفعًا من الأرض كالرابية ، تأتيه السيول ، فتأخذ عن يمينه وشماله ، فكانت كذلك حتى مَرَّت بهم رُفقة من جُرْهم ـ أو أهل بيت من جُرْهم ـ مقبلين من طريق كداء، فنزلوا في أسفل مكة ، فرأوا طائرًا عائفًا ، فقالوا : إن هذا الطائر ليدور على ماء، لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء ، فأرسلوا جريًا أو جريين، فإذا هم بالماء ، فرجعوا فأخبروهم بالماء ، فأقبلوا ـ قال : وأمُّ إسماعيل عند الماء ، فقالوا : أتأذنين لنا أن ننزل عندك ؟ فقالت: « نعم » ولكن لا حق لكم في الماء ، قالوا : « نعم » قال ابن عباس : قال النبي ﷺ : « فألفى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأنس » ، فنزلوا ، وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم ، حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم ، وشَبَّ الغلام وتعلم العربية منهم ، وأنفسهم وأعجبهم حين شب ، فلما أدرك زوجوه امرأة منهم وماتت أم إسماعيل ، فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل يُطالع تركته ، فلم يجد إسماعيل ، فسأل امرأته عنه فقالت : خرج يبتغي لنا ، ثم سألها عن عيشهم ، وهيئتهم فقالت : نحن بِشَرٍّ ، نحن في ضيق وشدة ، فشكت إليه ، قال : فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ، وقولي له يُغيِّر عتبة بابه . فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئًا فقال : هل جاءكم من أحد ؟ قالت : نعم، جاءنا شيخ كذا وكذا ، فسألنا عنك فأخبرته ، وسألني كيف عيشنا ، فأخبرته أنّا في جهد وشدة . قال : فهل أوصاك بشيء ؟ قالت : نعم ، أمرني أن اقرأ عليك السلام ، ويقول غيِّر

عتبة بابك . قال : ذاك أبي ، وقد أمرني أن أفارقك ، الحقي بأهلك ، فطلقها ، وتزوّج منهم أخرى ، فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله ، ثم أتاهم بعد فلم يجده ، فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت : خرج يبتغي لنا . فقال : كيف أنتم ؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم ، فقالت : نحن بخير وسعة ، وأَثْنَتْ على الله ، فقال : ما طعامكم ؟ قالت : اللحم ، قال : ما شرابكم ؟ قالت : الماء، قال : اللهم بارك لهم في اللحم والماء ، قال النبي ﷺ : « **ولم يكن لهم يومئذٍ حب ، ولو كان لهم دعا لهم فيه** » ، قال : فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة ، إلا لم يُوافقاه . قال : فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ، ومريه يُثَبِّتْ عتبة بابه ، فلما جاء إسماعيل، قال : هل أتاكم من أحد ؟ قالت : نعم ، أتانا شيخ حسن الهيئة - وأثنت عليه - فسألني عنك فأخبرته ، فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنَّا بخير . قال : فأوصاك بشيء ؟ قالت : نعم ، هو يقرأ عليك السلام ، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك . قال : ذاك أبي ، وأنت العتبة ، أمرني أن أمسكك . ثم لبث عنهم ما شاء الله ، ثم جاء بعد ذلك ، وإسماعيل يبْري نبْلاً له تحت دوْحةٍ قريبة من زمزم ، فلما رآه قام إليه ، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد . ثم قال : يا إسماعيل ، إن الله أمرني بأمر ، قال : فاصنع ما أمرك ربك . قال : وتعينني ؟ قال : وأعينك . قال : فإن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتا - وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها - قال : فعند ذلك رفعا القواعد من البيت ، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة ، وإبراهيم يبني . حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له ، فقام عليه وهو يبني ، وإسماعيل يناوله الحجارة . وهما يقولان : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ

الْعَلِيمُ ﴾ قال : فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت ، وهما يقولان : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ » (١) .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٦٤) و (٢٣٦٨ ، ...) والنسائي في « الكبرى » (٥ / ١٠٠) ، وأحمد (١ / ٢٥٣ ، ..) .

قلت : وهذا الحديث قد سبق في فضائل الخليل والد إسماعيل عليهما السلام ، وإنما أعدته هنا لما فيه من تعلق واضح بشأن إسماعيل عليه السلام .

من فضائل إسحاق عليه السلام [1]

أبـوه نبي وابنه نبـي وأخـوه نبي

(١) وهو ابن إبراهيم النبي ﷺ ، وأخوه إسماعيل عليه السلام الذي سبق شيء من فضائله، وهو والد النبي يعقوب عليه السلام ، الذي سنورد شيئًا من فضائله في الباب الذي يتلو هذا الباب إن شاء الله تعالى .
قال الحافظ ابن كثير في « البداية » (١ / ١٦٤) : « ذِكْرُ أولاد إبراهيم الخليل : أول من وُلد له : إسماعيل من هاجر القبطية المصرية ، ثم ولد له إسحاق من سارة . . . »
ثم عزاه لأبي القاسم السهيلي في « التعريف والإعلام » .

• من فضائل إسحاق بن إبراهيم الكريم ابن الكريم عليهما الصلاة والسلام •

• تعويذ إبراهيم الخليل عليه السلام له ولأخيه إسماعيل عليهما السلام •

○ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : كان النبي ﷺ يعوِّذ الحسن والحسين ويقول : « **إن أباكما كان يعوِّذ بهما إسماعيل وإسحاق : أعوذ بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عينٍ لامة** » (١) .

○ قال الخطابي : « كان أحمد يستدل بهذا الحديث على أن كلام الله غير مخلوق ، ويحتج بأن النبي ﷺ لا يستعيذ بمخلوق » (٢) .

• إسحاق كان غلامًا عليمًا •

○ قال تعالى : ﴿ **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ**

---

(١) حديث صحيح ، وقد سبق .

(٢) « الفتح » (٦ / ٤٧٢) . وقال الحافظ :

قوله « وهامة » : بالتشديد واحدة الهوام ذوات السموم ، وقيل كل ما له سم يقتل يقتل، فأما ما لا يقتل سمه فيقال له السوام ، وقيل المراد كل نسمة تهم بسوء .

قوله « ومن كل عين لامة » قال الخطابي :

المراد به كل داء وآفة تلم بالإنسان من جنون وخبل ، وقال ابن الأنباري : يعني أنها تأتي في وقت بعد وقت ، وقال لامة ليؤاخي لفظ هامة لكونه أخف على اللسان .

إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ (١) بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾ [الذاريات : ٢٤ ـ ٢٨] .

• نبوة إسحاق عليه السلام •

○ قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ ... ﴾ الآية [النساء : ١٦٣] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [الصافات : ١١٢] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾ [مريم : ٤٩] .

○ وقال يعقوب لابنه يوسف : ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ (٢) وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [يوسف : ٦] .

---

(١) فكان إسحاق هو المبشر به بتلك البشارة حينما جاءت رسل الله إلى أبيه إبراهيم الخليل ليخبروه خبر لوطا ، كما قال تعالى في الآية الأخرى حاكيًا عن الملائكة قولهم : ﴿ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ (٧٠) وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ... ﴾ [هود : ٧٠ ـ ٧١] .

(٢) قال الحافظ ابن كثير في « التفسير » (٢ / ٤٥٣) : « ﴿ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ﴾ أي بإرسالك والإيحاء إليك . ولهذا قال ﴿ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ وهو الخليل ﴿وَإِسْحَاقَ ﴾ ولده ـ وهو الذبيح في قول وليس بالرجيح ـ ﴿ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ أي هو أعلم حيث يجعل رسالته كما قال في الآية الأخرى » ا . هـ .

قلت : فأحد الأقوال أن النعمة على إسحاق إنما هي بالنبوة ، وعليه ؛ فإن ما ذكره ابن الجوزي في « زاد المسير » (٤ / ١٤٠) بأن نعمته على إسحاق هي أنه سبحانه نجاه من الذبح ، قول غير صحيح ، يخالف ما عليه من مذهب السلف من أن الذبيح إنما هو إسماعيل ، وقد سبق بيان ذلك في بابه ، ولله الحمد والمنة .

○ وفي الصحيحين [١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قيل للنبي ﷺ : من أكرم الناس ؟ قال : « **أكرمهم أتقاهم** » قالوا : يا نبي الله ليس عن هذا نسألك . قال : « **فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله** » . . . الحديث .

● وصْفُ النبي ﷺ له ولأبيه بالكرم ●

○ عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « **الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم : يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام** » [٢] .

● ثناءات أخر على إسحاق عليه السلام ●

○ وصفه الله بالصلاح ، وبارك عليه وعلى أبيه إبراهيم عليهما السلام ، فقال تعالى : ﴿ **وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ** ﴾ [الصافات : ١١٢ ، ١١٣] .

وفي الآية نفسها أن إبراهيم عليه السلام بُشِّر بابنه إسحاق وأنه سيكون نبيًا قبل أن يولد . وقد سمي بهذا الاسم قبل ولادته . على لسان رسل الله من الملائكة ـ فهي بشرى مباركة ـ قال تعالى : ﴿ **وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ**

---

(١) البخاري (٣٣٧٤) وفي مواضع أخرى ، ومسلم (٢٣٧٨) ، والنسائي في « الكبرى » (١١٢٤٩ و ١١٢٥٠) ، وأحمد (٢ / ٤٣١) .

(٢) حديث صحيح . رواه البخاري في مواضع من صحيحه (٣٣٨٢ ، ٣٣٩٠ ، ٤٦٨٨) وأحمد (٢ / ٩٦) .

فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ [1] [هود : ٧١] .

○ ووصفه الله سبحانه وتعالى بأنه قدوة يقتدى به في الأعمال الصالحة ، ويقيم الصلاة ، ويؤتي الزكاة ، وكان عبدًا لله ، وهذا هو معين التوحيد الصافي ، أن يكون الإنسان عبدًا لله ، فقال تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلاًّ جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧٢ ـ ٧٣] .

○ وبرأه الله سبحانه مما وصفه به الواصفون بأنه كان يهوديًا أو نصرانيًا بل كان نبيًا مسلمًا ، فقال تعالى : ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾ [البقرة : ١٤٠] .

○ وأثنى الله عليه ثناء حسنًا في ثلاث آيات متتابعات هو وأبوه إبراهيم الخليل وولده يعقوب عليهم الصلاة والسلام فقال تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ : ﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ ﴾ [ص : ٤٥ ـ ٤٧] .

---

(١) قال الحافظ ابن كثير في « القصص : ١٩٨ ط : دار بغداد » : « فقوله تعالى : ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ [هود : ٧١] دليل على أنها تستمع بوجود ولدها إسحاق ، ثم من بعده يولد ولده يعقوب ، أي يولد في حياتهما لتقر أعينهما به كما قرت بولده ، ولو لم يرد هذا لم يكن لذكر يعقوب وتخصيص التنصيص عليه من دون سائر نسل إسحاق فائدة ، ولما عين بالذكر دل على أنهما يتمتعان به ويسران بولده كما سرا بمولد أبيه من قبله » . انتهى.

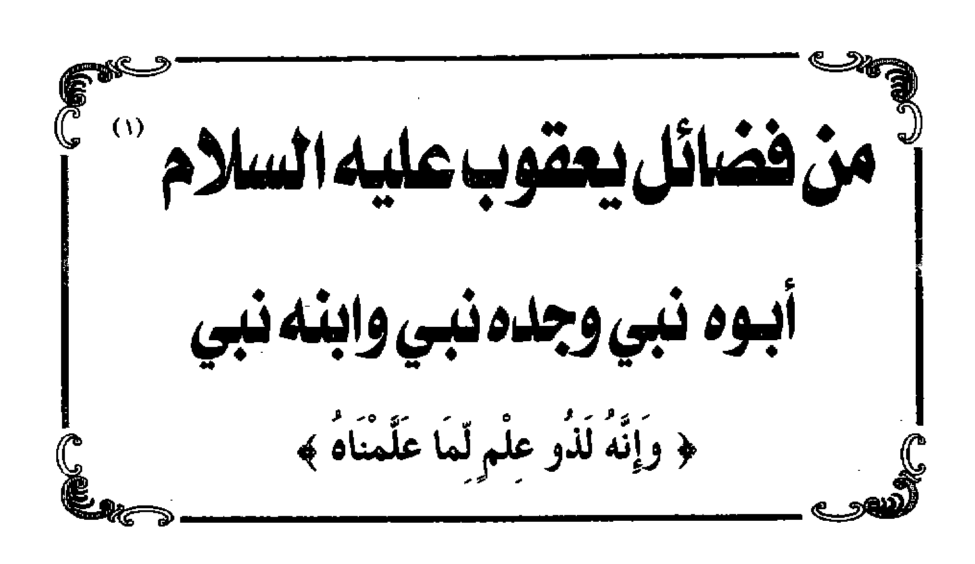
قلت : وكلام الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ فيه إشارة إلى أن إسحاق ليس هو الذبيح ، بل الذبيح إسماعيل عليهما السلام ، فتنبه ولا تكن من الغافلين !! .

○ وأمر الله بالإيمان به كما أمر بالإيمان بسائر رسله عليهم جميعًا الصلاة والسلام ، فقال تعالى : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٦] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا ﴾ [الأنعام : ٨٤] .

ثم قال بعدها : ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (٨٩) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام : ٨٩ ـ ٩٠] .

○ وقد كان الخليل إبراهيم عليه السلام يدعو لولديه إسماعيل وإسحاق بعد ما كان يحمد الله عز وجل فيقول : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٩) رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾ [إبراهيم : ٣٩ ، ٤٠] .



من فضائل يعقوب عليه السلام [1]

أبوه نبي وجده نبي وابنه نبي

﴿ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ ﴾

---

(١) وهو ابن نبى الله إسحاق عليه وعلى نبينا وجميع أنبيائه الصلاة والسلام . وهو والد الكريم الصديق يوسف ﷺ ، وهو إسرائيل كذلك كما ورد ذلك في كتاب الله عز وجل، وقد ولد في زمن إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .
قال ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في (« شرح رياض الصالحين » ٧ / ١٢٣) :
« ويعقوب هو إسرائيل الذي من ذريته موسى وعيسى عليهما السلام ، وأكثر الأنبياء المذكورين في القرآن كلهم من ذرية إسرائيل » .

• البشارة بيعقوب بعد أبيه إسحاق قبل وجودهما •

فقد جاءت البشرى للخليل إبراهيم عليه السلام هو وزوجه بأنها ستلد نبيًا صالحًا يسمى (إسحاق) ثم ضوعفت هذه البشرى بأن سيكون لإسحاق عقبٌ من بعده [١] ، وهو يعقوب عليهم جميعًا صلوات الله وسلامه .

○ قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ [هود : ٦٩ ، ٧١] .

• وتلك كرامة أخرى •

لقد كان إبراهيم ﷺ شيخًا ، وامرأته كانت عجوزًا حينما تلقيا البشارة بميلاد إسحاق ، ولذلك كانا مستغربين لهذه البشارة ، ولعل ذلك مرجعه إلى أن المعتاد في أحوال البشر أن امرأة في هذه السن لا تلد ، لأنها تكون قد بلغت سن اليأس ، أو يائسة من المحيض ، ومن هنا كان استغرابها : ﴿ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ﴾ [هود : ٧٢] . ولكن الله سبحانه وتعالى هو الخالق ، وهو الذى ينشئ الأسباب ، وينشئ النتائج ، وليس بالضرورة أن تسبق النتائج أسبابًا معينة ، وليس بالضرورة أن تأتى النتائج بعد أسباب

---

(١) « أخطاء يجب أن تُصَّحح في التاريخ ـ ذرية إبراهيم عليه السلام وبيت المقدس ـ » (٨٠ط. دار طيبة) .

معينة، فلله الأمر من قبل ومن بعد .

ومن هنا كان الرد . رد الملائكة : ﴿ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ [الذاريات : ٣٠] . إن هذه البشارة قد جاءت إلى إبراهيم وزوجه سارة [١] ، في وقت كانا قد أسقطا من اعتبارهما إنجاب أى ولد ، ولذلك قال إبراهيم عليه السلام للملائكة : ﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ (٥٤) قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴾ [الحجر : ٥٤ ـ ٥٥] [٢] .

● نبوته ﷺ ●

○ قال تعالى : في شأن خليله إبراهيم عليه السلام : ﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾ [مريم : ٤٩] .

○ وذكره الله في عددٍ من الأنبياء ثم قال : ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ﴾ [الأنعام : ٨٩] .

○ وقد تقدَّم حديث أبي هريرة : « أكرم الناس يوسف نبى الله ابن نبى الله ابن نبى الله ابن خليل الله . . . الحديث » . وهو في الصحيحين .

○ وهو من المنصوص على الإيحاء إليهم ، فقال تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ ﴾ [النساء : ١٦٣] .

○ وهو من الأنبياء الذين أمرنا الله سبحانه بالإيمان بهم في قوله : ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا

---

(١) والقول بأنها سارة قول كثير من العلماء إن لم يكن جميعهم .

(٢) « أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ ـ ذرية إبراهيم عليه السلام ـ » (٨٢ ـ ٨٣) .

أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة : ١٣٦] .

○ هذا وقد كان يعقوب « إسرائيل »[1] على دين أبيه إسحاق ، وجده إبراهيم عليهم السلام ، وهو « الإسلام » ، فلم يكن يهوديًا ولا نصرانيًا .

○ قال تعالى : ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٠ ـ ١٣٣] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٣٥) قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٥ ـ ١٣٦] .

○ وها هو عليه السلام وصى بنيه حين حضرته الوفاة بما قد ذكره الله في كتابه حيث قال سبحانه : ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا

---

(١) وتسميته بـ « إسرائيل » واردة في كتاب الله عز وجل ، فقد قال تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ ﴾ [آل عمران : ٩٣] . وقد وردت جملة أحاديث عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه في بيان ذلك الشئ الذى حرَّمه إسرائيل على نفسه ، وأسانيدها فيها مقال ، لكن أمثل الأقوال في ذلك قول من قال إن الذى حرمه إسرائيل على نفسه إنما هو اللحم (بما فيه من عروق) ، وانظر تفصيل ذلك في كتاب شيخنا أبي عبد الله مصطفى العدوى ـ حفظه الله ـ وهو «التسهيل لسورة آل عمران : ٢١٧ و ٢١٩ » فراجعه فإنه مهم .

ونحن له مسلمون ﴾ [البقرة : ١٣٣] .

○ وبرأه الله سبحانه مما نسبه إليه اليهود والنصارى بأنه كان على ملتهم ، فردَّ الله عليهم قولهم وكذبهم فقال تعالى : ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾ [البقرة : ١٤٠] .

● وصَفَهُ رسولُ الله ﷺ بالكريم ●

○ أخرج البخاري [1] من حديث ابن عمر رضى الله عنهما ، أن النبي ﷺ قال : « الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام » .

● وصفُه بالصلاح ●

○ قال تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلاً جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧٢] .

● وكان ﷺ مهديـًّا ●

○ قال تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا ﴾ [الأنعام : ٨٤] .

○ وأثنى الله سبحانه وتعالى عليه هو وأبوه وجده في قوله : ﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ ﴾ [ص : ٤٥ ـ ٤٧] .

---

(١) (برقم : ٣٣٩٠) و (٣٣٨٢ و ٤٦٨٨) وأحمد (٢ / ٩٦) .

○ وقد كانت له ﷺ عدة فراسات وتوسمات ، وصدق الله إذ يقول : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [الحجر : ٧٥] .

ومن تلك التوسمات التى تدل على فطنته ، وفرط عقله وذكائه فيها :

○ قوله لولده يوسف ـ عليهما السلام ـ : ﴿ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [يوسف : ٥ و ٦] .

○ ومن ذلك قوله لبنيه ـ حينما جاؤا ليلاً وقد جاؤوه بقميص يوسف ملطخًا بالدم الكذب ـ قال لهم : ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ (١) ﴾ [يوسف : ١٨] .

ولما أخذ يوسفُ أخاه حينما جاؤا للميرة ، جاء إخوته إلى أبيهم معتذرين ، فقال لهم مقالة الواثق بموعود الله وفضله ورحمته : ﴿ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [يوسف : ٨٣] .

○ ثم قال : ﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ ﴾ [يوسف : ٨٧] .

ولما أرسل يوسفُ قميصَهُ ، قال يعقوب : ﴿ إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلا أَن تُفَنِّدُونِ ﴾ [يوسف : ٩٦] .

---

(١) قال السعدى ـ رحمه الله ـ : « أى زينت لكم أنفسكم أمرًا قبيحًا في التفريق بينى وبينه، لأنه رأى من القرائن والأحوال ومن رؤيا يوسف ، التى قصها عليه ، ما دله على ما قال» .

ثم قال يعقوب لأولاده : ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (١)﴾ [يوسف : ٩٦] .

وهكذا كل الأنبياء أعطاهم الله من الفراسة ، وكمال العقل ورجاحته ، وفرط الذكاء وقوته ، ما لم يعطاه أحد ، عليهم جميعًا من الله الصلاة وأتم التسليم.

● صبره وثقته في الله ●

○ شاء الله وقدَّر أن يبتلى عباده المؤمنين ، كل بحسب إيمانه وقربه من ربه سبحانه ، وليس ذلك انتقامًا من الله لهم ، بل هو رفعة لدرجاتهم ، وحطًّا لخطاياهم ، أما الكافرين فهى انتقامًا من العزيز الجبار لهم . فشاء الله سبحانه ، ومشيئته نافذة أن يبتلى عبده ونبيه يعقوب ﷺ بشتى الابتلاءات ، «فذهب بصره ، واشتد روعه ، وألقى ولده في الجب ، ولا يدرى عنه شيئًا، وأخرج ولده ـ يوسف ـ من الجب ، ودخل قصر العزيز إلى أن شب وترعرع، ثم راودته المرأة عن نفسها فأبي وعصمه الله ، ثم دخل السجن فلبث فيه بضع سنين ، ثم أخرج من السجن وكان على خزائن الأرض ،

(١) قال الجُليِّل حفظه الله (*) : « وقوله تعالى عن قول يعقوب عليه الصلاة والسلام لبنيه: ﴿... قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف : ٩٦] . وذلك بعد أن جاء البشير بقميص يوسف عليه السلام ، فارتد البصر إلى يعقوب عليه السلام ، وأخبرهم أنه يعلم من لطف الله سبحانه ورحمته ما يدفع عنه اليأس ويثمر الرجاء . وهذا الأثر العظيم من آثار علم يعقوب عليه السلام بأسماء الله عزوجل ، وصفاته ، مما لم يصل إليه أبناؤه الذين استنكروا عليه أمله في رجوع يوسف عليه السلام » .

(*) « رسالة : فبهداهم اقتده » (ص ٥٠) .

ومع طول هذا الوقت كله قلب يعقوب متعلق به ، ويتقطع حزنًا وشفقة عليه، ويقول لبنيه : ﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ ﴾ [يوسف: ٨٧] »[1] . فصبر واحتسب ، وكان قوى الثقة في الله ، شديد الصلة به ، عظيم الأمل فيه ، يعلم أن مع العسر يسرًا ، وبعد الضيق الفرج والمخرج ، والنصر لمن تمسك بالصبر ، فبعد تلك السنين الطويلة والأعمار المديدة رجع إليه ولده ، وأنعم الله عليه وأكرم ، وخروا له سجداً، وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين .

(١) (« فقه الدعاء » لشيخنا مصطفى العدوى) (ص ٣٥ ـ ٣٦ بتصرف يسير) .

من فضائل يوسف عليه السلام (1)

الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم

كما قال الرسول ﷺ

وعرض سريع لسيرته المباركة

(1) وهو ابن نبى الله يعقوب ابن نبى الله إسحاق ابن نبى الله إبراهيم عليهم جميعًا صلوات الله وسلامه، فهو نبى وأبوه نبى وجده نبى وجد أبيه نبى وهو الخليل ﷺ، وقد سميت سورة بأكملها في الكتاب العزيز باسمه الكريم . حتى خُصَّت تلك السورة بأنها أحسن القصص في القرآن من بين سائر الأقاصيص ، وذلك لأنَّه لا يوجد في القرآن قصة تتضمن من العبر والحكم والمواعظ والآداب ما تتضمن هذه القصة ، وقيل غير ذلك .

قلت : وقد ذكر اسم يوسف في ثلاث سور من القرآن ، مرة في « الأنعام » (٨٤) ، ومرة في سورة « غافر » (٣٤) ، وجاءت سورة يوسف ، وأكثرت من ذكره وبيان قصته وسيرته ما لم تحمله أى سورة أخرى لنبيٍّ آخر.

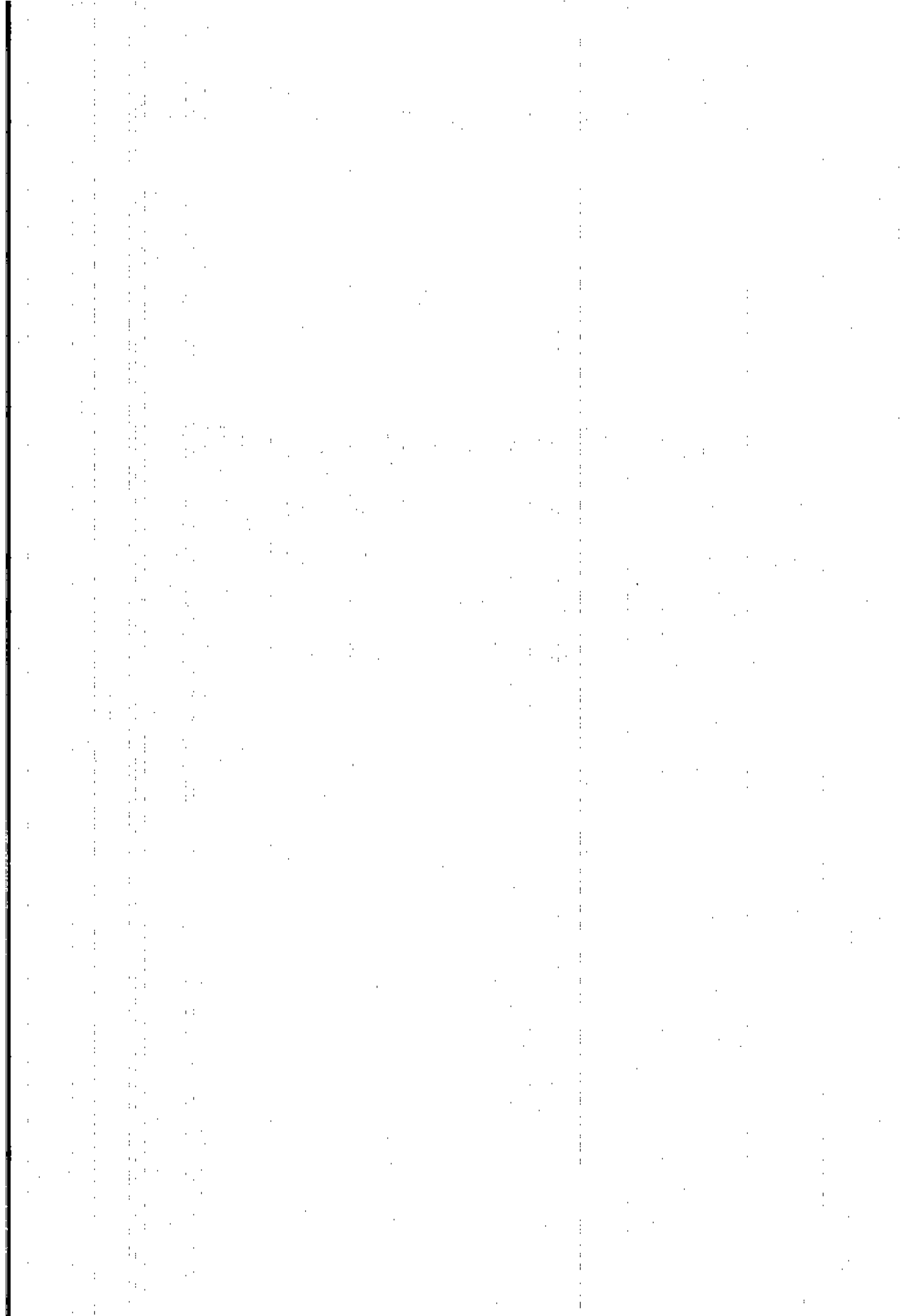
قال الشيخ ربيع بن هادى المدخلى في « منهج الأنبياء » (*) : « أنزل الله في شأنه سورة طويلة تقص لنا حياته الكريمة ، ومراحلها من طفولته إلى موته ، وكيف تقلبت به الأحوال ، وما واجه من صعاب ، فتلقاها بقوة النبوة ، وصبرها ، وحكمتها، وحلمها » .

(*) (ص ٦٢ ، ٦٣) .

● قال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى [١] ـ ●

« وقد جمع يوسف ﷺ مكارم الأخلاق ، مع شرف النبوة ، مع شرف النسب ، وكونه نبيًا ابن ثلاثة أنبياء متناسلين ، أحدهم خليل الله ﷺ وانضم إليه شرف علم الرؤيا ، وتمكنه فيه ، ورياسة الدنيا وملكها بالسيرة الجميلة ، وحياطته للرعية ، وعموم نفعه إياهم ، وشفقته عليهم ، وإنقاذه إياهم من تلك السنين ، والله أعلم » انتهى .

(١) (« شرح صحيح مسلم » ١٥ / ١٣٤) .



• من فضائل يوسف عليه السلام •

• نبوته •

○ ذكرهُ الله مع عدد من أنبيائه ورسله مثنيًا عليهم فقال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (٨٩) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام : ٨٣ ـ ٨٤ ، ٨٩ ـ ٩٠] .

قال صاحب المنار رحمه الله [1] : « فمعنى الجملة على هذا : أولئك الأنبياء الثمانية عشر الذين ذكرت أسماؤهم في الآيات المتلوة آنفًا ، والموصوفون في الآية الأخيرة بإيتاء الله إياهم الكتاب والحكم والنبوة ، هم الذين هداهم الله تعالى الهداية الكاملة ، فبهداهم ـ دون ما يغايره ويخالفه من أعمال غيرهم ، وهفوات بعضهم ـ اقتد أيها الرسول فيما يتناوله كسبك وعملك ، مما بعثت به من تبليغ الدعوة ، وإقامة الحجة ، والصبر على التكذيب والجحود ، وإيذاء أهل العناد والجمود ، ومقلدة الآباء والجدود ، وإعطاء كل حال حقها من مكارم الأخلاق ، وأحاسن الأعمال ، كالصبر والشكر ، والشجاعة والحلم ، والإيثار والزهد ، والسخاء والبذل ، والحكم بالعدل، إلخ » .

---

(١) « تفسير المنار » (آية : ٩١ من سورة الأنعام) (٧ / ٥٩٧ دار المعرفة) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ [١] بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴾ [غافر : ٣٤] .

○ قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : وقوله تبارك وتعالى : ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ يعنى : أهل مصر . قد بَعث الله فيهم رسولاً من قبل موسى عليه الصلاة والسلام ، وهو يوسف ﷺ ، كان عزيز أهل مصر ، وكان رسولاً يدعو إلى الله تعالى أمته بالقسط ، فما أطاعوه تلك الطاعة ، إلا بمجرد الوزارة والجاه الدنيوى ، ولهذا قال تعالى : ﴿ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولاً ﴾ أى يئستم فقلتم طامعين ﴿ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً ﴾ وذلك لكفرهم وتكذيبهم ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴾ أى : كحالكم هذا يكون حال من يضله الله لإسرافه في أفعاله ، ، وارتياب قلبه » . ا . هـ .

« وهذا هو وصفهم الحقيقى ، الذى وصفوا به موسى ، ظلما وعلوًا فهم المسرفون ، بتجاوزهم الحق ، وعدولهم عنه إلى الضلال ، وهم الكذبة، حيث نسبوا ذلك إلى الله وكذبوا رسله » [٢] .

---

(١) وهذا يدل على أن يوسف كان قبل موسى عليهما السلام ، لسياق الآيات الكريمات .
(٢) من كلام الشيخ السعدى ـ رحمه الله تعالى ـ في « تفسيره » .

● كرمه ●

فقد كان يوسف عليه السلام من أكرم الناس بشهاده خاتم الأنبياء نبينا محمد ﷺ .

وهذه منقبة عظمى لنبى الله يوسف ﷺ .

○ ففي « الصحيحين » [(١)] من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال : قيل للنبى ﷺ : من أكرم الناس ؟ قال : « **أكرمهم أتقاهم** » . قالوا : يا نبى الله ، ليس عن هذا نسألك ، قال : « **فأكرم الناس يوسف نبى الله ابن نبى الله ابن نبى الله ابن خليل الله** » . قالوا : ليس عن هذا نسألك . قال : «**أفعن معادن العرب** [(٢)] **تسألوننى** » ؟ قالوا : نعم . قال : « **فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا** » .

● حسْنُه ●

○ قال تعالى ـ حاكيًا عن النسوة وحالهم حين رأوا نبي الله يوسف ﷺ ـ : ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [يوسف : ٣١] .

○ وأخرج مسلم في « صحيحه » [(٣)] في حديث الإسراء من حديث

---

(١) خ (٣٣٧٤) وفي مواضع أخرى ، ومسلم (٢٣٧٨) ، وأحمد (٢ / ٤٣١) . والنسائي في « الكبرى » (١١٢٤٩ ـ ١١٢٥٠) .

(٢) معادن العرب : أى أصولُهم التى يُنسبُون إليها ، ويتفاخرون بها . « الفتح » (٦ / ٤٧٧) .

(٣) (برقم : ١٦٢) (ص ١٤٥ محمد فؤاد) .

أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا وفيه : « . . . ففتح لنا فإذا أنا بيوسف إذا هو قد أُعطي شطر الحسن ، فرحَّب ودعا لي بخير » .

وفي رواية لأحمد [1] وغيره : « **أعطي يوسف ﷺ شطر الحسن** » ـ زاد بعضهم ـ : « **وأمه** » . وأخرجه أبو يعلى في « مسنده » (٣٣٧٣) .

---

(١) أخرجه أحمد (٣ / ٢٨٦) ، والحاكم في « المستدرك » (٢ / ٥٧٠) وابن جرير في « تفسيره » (٧ / ٥ ٢٠٥) (١٩٢٣٦) ، وابن أبي شيبة في « مصنفه » (١١ / ٥٦٥) وابن عدى في الكامل (٥ / ٣٨٥) من طرق عن :
حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك مرفوعًا به . وإسناده صحيح.
قال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي .
قلت : وراجع « الميزان » (٣ / ٨١) للإمام الذهبي ـ رحمه الله ـ ففيه إشارة إلى إعلاله ، من ناحية أن بعض الرواة أوقفوه ، وانظر كلام ابن عدى ، وراجع «الصحيحة» (٣ / ٤٧٠) (١٤٨١) .
قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ كما في « القصص ص ٧٣ ط دار بغداد » : قال بعض العلماء في قوله ﷺ : « فمررت بيوسف ، وإذا هو قد أعطي شطر الحسن » قالوا : معناه أنه كان على النصف من حسن آدم عليه السلام ، وهذا مناسب ، فإن الله خلق آدم وصوره بيده الكريمه ، ونفخ فيه من روحه ، فما كان ليخلق إلا أحسن الأشياء» . انتهى .
قال السهيلي وغيره من الأئمة [1] : « معناه أنه كان على النصف من حسن آدم عليه السلام ، لأن الله تعالى خلق آدم بيده ، ونفخ فيه من روحه ، فكان في غاية نهايات الحسن البشرى ، ولهذا يدخل أهل الجنة الجنَّة ، على طول آدم وحسنه ، ويوسف كان على النصف من حسن آدم ، ولم يكن بينهما أحسن منهما ، كما أنه لم تكن أنثى بعد حواء أشبه بها من سارة امرأة الخليل عليه السلام » . انتهى .
قلت : ومجرد الحسن لا يعني به تفضيله بالكلية على غيره من إخوانه من النبيين ، ولكنها منَّة ، وزيادة فضل من الرحمن لعبده المطيع أو سواه . **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** ـ رحمه الله تعالى [2] ـ : « وليس في دين الله محبة أحدٍ لحسنه قط ، فإن مجرد =

---

(١) « القصص للحافظ ابن كثير ص ٢٨٠ » .
(٢) « الاستقامة » (١ / ٣٤٩) .

• صبره •

فثمة أمور صبر فيها نبى الله يوسف عليه السلام ، وابتلاءات وفَّقه الله للثبات عندها ، وللخلاص منها ، إذ هى عاقبة الصدق والإخلاص .

وكان من تلك الأمور :

(١)

• التدبيرُ في قتله (١)

ثم العزم على إلقائه في غيابات الجب •

○ قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ (٧) إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٨) اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (٩) قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (١٠) قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (١١) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (١٢) قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (١٣) قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ (١٤) فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [يوسف : ٧ ـ ١٥] .

= الحسن لا يثيب الله عليه ولا يعاقب ، ولو كان كذلك كان يوسف عليه السلام لمجرد حسنه ، أفضل من غيره من الأنبياء لحسنه ، وإذا استوى شخصان في الأعمال الصالحة ، وكان أحدهما أحسن صورة ، وأحسن صوتًا ، كانا عند الله سواء ، فإن أكرم الخلق عند الله أتقاهم . . . إلخ » .

(١) وكان الداعى على ارتكاب ذلك المحظور ، وتلك الكبيرة ، إنما هو الحسد من الإخوان ، ذلك الداء العضال ، الذى يذهب بالحسنات ، ويكثّر الخطيئات والسيئات ، ويحمل الشخص على عدم الإيمان والرضا بالأقدار ، وعلى الاعتراض لها .

(٢)

● مراودة امرأة العزيز له ، والتهديد له بالسجن ●

○ قال تعالى : ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤) وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [يوسف : ٢٣ ـ ٢٥] .

○ يقول العلامة ابن القيم ـ رحمه الله تعالى[١] ـ : (. . البلاء بمخالفة دواعى النفس والطبع من أشد البلاء ، فإنه لا يصبر عليه إلا الصديقون ، وأما البلاء الذى يجري على العبد بغير اختياره كالمرض والجوع والعطش ونحوها ، فالصبر عليه لا يتوقف على الإيمان ، بل يصبر عليه البر والفاجر ، ولا سيما إذا علم أنه لا معول له إلا الصبر ، فإنه لم يصبر اختيارًا . صبرًا اضطرارًا ، ولهذا كان بين ابتلاء يوسف الصديق بما فعل به إخوته من الأذى والإلقاء في الجب ، وبيعه العبيد ، والتفريق بينه وبين أبيه ، وابتلاؤه بمراودة المرأة وهو شاب عزب غريب ، بمنزلة العبد لها ، وهى الداعية إلى ذلك ، فرق عظيم لا يعرفه إلا من عرف مراتب البلاء .

فإن الشباب داع إلى الشهوة ، والشاب قد يستحى من أهله ، ومعارفه ، من قضاء وطره ، فإذا صار في دار الغربة زال ذلك الاستحياء والاحتشام ، وإذا كان عزبًا كان أشد لشهوته ، وإذا كانت المرأة هى الطالبة كان أشد ،

(١) في « طريق الهجرتين » (ص ٣٤٩) .

وإن كانت جميلة كان أعظم ، فإن كانت ذات منصب كان أقوى في الشهوة، فإن كان ذلك في دارها وتحت حكمها بحيث لا يخاف الفضيحة ولا الشهرة كان أبلغ ، فإن استوثقت بتغليق الأبواب والاحتفاظ من الداخل كان أقوى أيضًا للطلب ، فإن كان الرجل كمملوكها وهى الحاكمة عليه الآمرة الناهية كان أبلغ في الداعى ، فإذا كانت المرأة شديدة العشق والمحبة للرجل قد امتلأ قلبها من حبه فهذا الابتلاء الذى صبر معه مثلُ الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم صلوات الله عليهم أجمعين . ولا ريب أن هذا الابتلاء أعظم من الابتلاء الأول ، بل هو من جنس ابتلاء الخليل بذبح ولده . إذ كلاهما ابتلاء بمخالفة الطبع ودواعى النفس والشهوة ومفارقة حكم طبعه ، وهذا بخلاف البلوى التى أصابت ذا النون والتى أصابت أيوب [١]) .

(٣)

● صبره على طول مدته في السجن ●

○ قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف : ٥٠] .

○ وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « **يرحم الله لوطا لقد كان يأوى إلى ركن شديد ، ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف ، ثم أتاني الداعى لأجبته** » [٢] .

---

(١) ونحو ذلك نقله عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ كما في « مدارج السالكين » (٢ / ١٥٦) (مستفاد من رسالة د. عبد العزيز الجليل بعنوان « فبهداهم اقتده ») (ص ١٠٥ ، ١٠٦) .

(٢) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٣٣٨٧) وأيضًا (٣٣٧٥) . ورواه مسلم مختصراً على الفقرة الأولى (رقم : ١٥٣) . =

وتأمل ذلك الصبر البالغ ، وهذه الإرادة الحديدية التى تجلت في يوسف، يطلبه الملك من السجن لحاجته إليه ، ومعنى ذلك أن مدة المحنة قد انتهت ، وآذنت بالخروج ،وكان المنتظر أن يتلقى يوسف ذلك الأمر بفارغ الصبر ، فيهرول إلى الخروج ، ولكن يوسف الصديق ، يوسف المُعَدُّ لأن يكون رسولاً ، يوسف الذى امتحن بامرأة العزيز ، وراودته عن نفسه ، فقال لها : ﴿ **مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [يوسف : ٢٣]. ، فحفظ لرب البيت إحسانه ، ولمولاه وخالقه فضله عليه ، يوسف صاحب هذا الخلق المتين لم يكن همه أن يخرج من السجن فحسب ،وإنما همه أن يخرج ظافرًا منتصرًا ، همه أن يخرج من هذه الفتنة كالإبريز الخالص، وأن يظهر للجماهير أنه قدوة حسنة ، ومثال صالح في الخلق وحسن السيرة .

لو تصور الإنسان ذلك كله لعلم مقدار التضحية التى ضحى بها يوسف الصديق في رده رسول الملك ، وقوله له : ﴿ **ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ** ﴾ [يوسف : ٥٠] . ومعنى ذلك أنه لا يريد أن يخرج من السجن إلا حيث ثبتت براءته ، وعلم الناس جميعًا أن صحيفته

= قال النووى رحمه الله : هذا ثناء على يوسف ﷺ ، وبيان لصبره وتأنيه ، والمراد بالداعي رسول الملك الذى أخبر الله سبحانه وتعالى أنه قال ﴿ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ [يوسف: ٥٠]. فلم يخرج يوسف ﷺ مبادرًا إلى الراحة ، ومفارقة السجن الطويل بل تثبت وتوقر وراسل الملك في كشف أمره الذى سجن بسببه ولتظهر براءته عند الملك وغيره ، ويلقاه مع اعتقاد براءته مما نسب إليه ، ولا خجل منه يوسف ولا غيره ، فبيَّن نبينا ﷺ فضيلة يوسف في هذا ، وقوة نفسه ، وكمال صبره ، وحسن نظره ، وقال النبي ﷺ عن نفسه ما قاله تواضعًا وإيثارًا للإبلاغ في بيان كمال فضيلة يوسف ﷺ ، والله أعلم .

بيضاء نقية ، لم تتدنس بشئ من الغبار ، وذلك حزم وعزم من يوسف يحفظه له التاريخ . وحسْبهُ أنَّ رسُولَ الله ﷺ يقُولُ فيه : « **لو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعى** » . وهى شهادة لها قيمتها ، ومنقبة ما أعظمها من منقبة . . . (١) .

● عرض سريع لسيرة هذا النبى الكريم عليه وعلى جميع أنبياء الله ورسله الصلاة والسلام (٢) ●

○ سيرته من أحسن السير ، بل هى أحسنها على الإطلاق (٣) ، كما قال تعالى لنبيه محمد ﷺ : ﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا**

(١) قاله الشيخ محمد أحمد العدوى ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه « دعوة الرسل إلي الله تعالى » (ص ١٢٣) .

(٢) استخلصنا أغلب ما ورد في سيرته ، وما جرى له مع إخوته إلى غير ذلك ، من الكتاب العزيز ، مسترشدين في الحديث بكلام الحافظ ابن كثير في « بدايته » و «تفسيره » ومن كلام غيره من المفسرين رحمهم الله تعالى ، مع ذكر يسير من الفقه الوارد في تلكم السيرة المباركة . والله المستعان .

(٣) فليس هناك أحسن منها في القرآن . قال السعدى رحمه الله تعالى (١) : « واعلم أن الله ذكر أنه يقص على رسوله أحسن القصص في هذا الكتاب ، ثم ذكر هذه القصة ، وبسطها ، وذكر ما جرى فيها ، فعلم بذلك أنها قصة تامة ، كاملة حسنة ، فمن أراد أن يكملها أو يحسنها ، بما يذكر في الإسرائيليات ، التى لا يعرف لها سند ولا ناقل ، بل أغلبها كذب ، وهو مستدرك على الله ، ومكمل لشئ ؛ يزعم أنه ناقص ، وحسبك بأمر ينتهى إلى هذا الحد قبحًا ، فإن تضاعيف هذه السورة ، قد ملئت في كثير من =

(١) « تيسير الكريم الرحمن » (سورة يوسف : ٤) .

الْقُرْآنَ ﴾ [يوسف : ٣] .

○ لما فيها من العبر والمواعظ كما قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ ﴾ [يوسف : ٧] .

○○ وقد ورد في تضاعيفها وثناياها جملة مباركة من المبشرات في رفعة يوسف وإكرامه ، واجتباء الله له واصطفائه ، وإتمام نعمته عليه ، بالعلم ، والعمل ، والتمكين في الأرض ، وأن هذه النعمة ستشمل آل يعقوب ، الذين سجدوا له سجودًا يحمل التعظيم ، والتحية ، والتكريم لهذا النبي الكريم يوسف بن يعقوب صلى الله عليه وعلى أبيه وعلى جميع أنبيائه وسلم.

○ فيرى يوسف ﷺ رؤيا في صغره كانت مقدمة لما وصل إليه يوسف من الارتفاع في الدنيا والآخرة . كما قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا (١) وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ [يوسف : ٤].

○ فحملت هذه الرؤيا معالم عظيمة خشي يعقوب ﷺ أن يقص يوسف رؤياه على إخوته ، خوف الحسد ، والتدبير له ولإهلاكه ، ومن ثمَّ حذره ونهاه عن ذلك ، وأورد له في خضم هذه النصيحة الغالية بشائر ومناقب

= التفاسير ، من الأكاذيب ، والأمور الشنيعة المناقضة ، لما قصه الله تعالي بشئ كثير. فعلى العبد أن يفهم عن الله ما قصه ، ويدع ما سوى ذلك ، مما ليس عن النبى ﷺ ينقل » .

(١) وفي تسمية الأحد عشر كوكبًا لا يثبت الحديث الوارد فيها ، ففيه الحكم بن ظهير الفزارى ضعفه الأئمة ، وتركه الأكثرون، كما قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى.

قلت : وفيه علل أخرى .

وقد أوِّلت هذه الرؤيا بأن الكواكب هم إخوة يوسف والشمس هى أمه والقمر أبوه .

عظيمة فقال يعقوب لولده يوسف عليهما الصلاة والسلام : ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١) [يوسف : ٦] .

○ فنعمة الله على العبد ، تستدر على من حوله من أقاربه ، ويحصل لهم من الخير العظيم بسببه .

○ ولكن قدَّر الله أمرًا وقضاه أن يبتلى عبده وصفيه يوسف عليه السلام ، فدبر له إخوته وحسدوه ، فأرادوا قتله أو إبعاده عن أبيه حتى يتمكنوا من قلب أبيهم ، فيصفو لهم ، يقبل عليهم وحدهم بالشفقة والمحبة ، فعزموا على هذا الذنب الشنيع ، وهذا الأمر الفظيع المرير ، ألا وهو قتل يوسف ﷺ .

ولكن شاء الله وقدَّر أن تُقذف بعض الرحمة إلى قلب أحدهم فنهاهم عن قتله ، وأمرهم بإلقائه في غيابات الجب المظلمة الدامس ظلامها .

قال السعدى ـ رحمه الله تعالى ـ : « وهذا القائل أحسنهم رأيًا في يوسف، وأبرهم ، وأتقاهم في هذه القضية ، فإن بعض الشر أهون من بعض ، والضرر الخفيف يدفع به الضرر الثقيل » . ا . هـ .

---

(١) قال السعدى ـ رحمه الله تعالى ـ : « أى : يصطفيك ويختارك بما من به عليك من الأوصاف الجليلة ، والمناقب الجميلة ، ويعلمك من تأويل الأحاديث أى تعبير الرؤيا ، وبيان ما تؤول له الأحاديث الصادقة فالكتب السماوية ونحوها ، ويتم نعمته عليك في الدنيا والآخرة بأن يؤتيك في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق حيث أنعم الله عليهما بنعم عظيمة واسعة ، دينية ودنيوية إن ربك عليم حكيم » . ا . هـ .

○ قال تعالى : ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ [يوسف : ١٠] .

فذهبوا به منفذين ما تواطؤا عليه بعد ما أذن لهم أبوهم بخروجه معهم، وكان قبل ذلك يشق عليه مفارقته لحظة واحدة ، ولكنهم مهدوا لأبيهم الأسباب الداعية لإرساله معهم ، فلم يجد بدًا من إرساله .

○ قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ ﴾ [يوسف : ١٥] .

○ حينئذٍ تأمل هذه البشارة الربانية ، والرحمة والرأفة من رب البرية سبحانه وتعالى ، فقد أنس وحشته ، وأزال رهبته وروعته .

○ قال تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ [يوسف:١٥] .

أى لطف بعد هذا اللطف ؟! وأى بشارة له أعظم من ذلك ؟!! وأى طمأنة بعد ذلك ؟! .

○ وقد أُجمل الوحى هنا : هل هو وحى بواسطة جبريل أم وحى إلهام؟ كما في قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ [القصص : ٧]؟

ذهب القرطبى ـ رحمه الله ـ إلى أنه وحى حقيقى بواسطة جبريل ، وهذا يدل على نبوة يوسف في ذلك الوقت .

وفي الآية إشارة ليوسف بأنه سينجو مما وقع فيه ، وأن الله سيجمعه

بأهله وإخوته ، وسيخبرهم بأمرهم هذا الذى فعلوه معه [1] .

○ وقد أنجز الله ذلك الوعد في قوله تعالى : ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ [يوسف : ٨٩] .

أما قوله : ﴿وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ ، فذلك في قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾ [يوسف : ٥٨] .

○ فمكث يوسف في الجب فجاءت سيارة ـ قافلة مسافرين ـ فأرسل مُقَدِّمُهم دلْوه ليملأه ، فأخرجه وقد تعلق فيه يوسف عليه السلام ، وخرج معه فلما رآه .

﴿ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَذَا غُلامٌ ﴾ [يوسف : ١٩] .

فاستبشروا به ، ثم باعوه [2] ، فاشتراه عزيز مصر ، وأعجب به ، فقد

---

(١) هذا قول ، وقول آخر أن الضمير يرجع ليعقوب وأن الله أوحى إليه ما فعلوه بيوسف وهم لا يشعرون .

(٢) والذين باعوه على قول الأكثرين هم إخوته ، وقيل : بل السيارة ، والأول أقوى لأن قوله : ﴿ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ [يوسف : ٢٠] ، إنما أراد إخوته ، لأن السيارة استبشروا به ، ولو كانوا فيه من الزاهدين لما اشتروه . ورجح شيخنا مصطفى حفظه الله القول الثاني ، وردَّ على الوجه المذكور بما حاصله أنه قد يقال إن الله هو الذى زهدهم فيه ـ زهدهم في جماله ، وزهدهم في بيعه ـ ، لأن إخوته قد رموه وانصرفوا فرجع الضمير إلى الذين باعوه وهم السيارة .

قال محمد أحمد العدوى ـ رحمه الله ـ في « دعوة الرسل إلى الله تعالى » (ص ٩٨): « ولقد كان زهد السيارة في يوسف على جماله ، وحسن طلعته ، لحكمة عالية ، وهى بيعهم له من عزيز مصر ، وكان من أمره مع ذلك العزيز ما كان ، مما سيشرحه القرآن الكريم في الآيات الآتية ، ورب مزهود فيه عند قوم ، مرغوب فيه عند آخرين ، وقد=

كان يوسف عليه السلام وسيمًا جميلاً ؛ ووصى العزيز امرأته عليه .

○ قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي (١) مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾ [يوسف : ٢١] .

○ وكان هذا الإكرام من عزيز مصر بمثابة التقدمة لتمكينه في الأرض ـ أعني أرض مصر ـ وهذا أمر الله تعالى وقضاؤه .

○ قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف : ٢١] .

○ وهذا ثناء من الله لعبده يوسف عليه السلام بأن جعله نبيًا رسولاً ، وعالمًا ربانيًا ، فقال تعالى : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف : ٢٢] .

○ ثم تأتي بعد ذلك مراودة امرأة العزيز ليوسف عليه السلام ، واتهامه بعد ذلك ؛ فنجاه الله سبحانه وتعالى من هذا كله ونزهه عن الفاحشة ،

= يعثر الطفل أو الجاهل على الدرة فيظنها حجرًا عاديًا ، فيلقيها إلى من يعرف قيمتها ، ويعلم مقدارها » . انتهى .

(١) وقد ورد في هذا الباب أثر عن ابن مسعود رضي الله عنه وفيه أنه قال : « أفرس الناس ثلاثة : عزيز مصر حين قال لامرأته : ﴿ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا ﴾ ، وابنة شعيب حيث قالت لأبيها : ﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ ﴾ [القصص : ٢٦] ، وأبو بكر الصديق حين استخلف عمر » . وفي سنده علل ، وراجع النسخة المحققة لـ « القصص للحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ » للأخ السيد العربي وفقه الله (٢٧٥).

وحماه عنها ، وصانه منها ، كما قال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف : ٢٤] .

○ فصبر عن معصية الله ، وكفَّ عنها ، وقدَّم مراد الله على مراد النفس الأمارة ، ولهذا : ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ [يوسف : ٢٣] .

○ حينئذٍ كانت العاقبة له ، وظهر صدق يوسف ، بعد ما رمته امرأة العزيز في طهره وعفافه وشهد شاهد من أهلها . قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾ [يوسف : ٢٨ ، ٢٩] .

○ قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ [١] : « يذكر تعالى ما كان من مراودة العزيز ليوسف عليه السلام عن نفسه ، وطلبها منه ما لا يليق بحاله ومقامه ، وهى في غاية الجمال والمال ، والمنصب والشباب ، وكيف غلقت الأبواب عليها وعليه . وتهيأت له وتصنعت ، ولبست أحسن ثيابها ، وأفخر لباسها ، وهى مع هذا كله امرأة العزيز . . . وهذا كله مع أن يوسف عليه السلام شاب بديع الجمال والبهاء ، إلا أنه نبى من سلالة الأنبياء ، فعصمه ربه عن الفحشاء ، وحماه من مكر النساء ، فهو سيد السادة النجباء، السبعة الأتقياء ، المذكورين في الصحيحين عن خاتم الأنبياء في قوله عليه الصلاة والسلام من رب الأرض والسماء : « **سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه ،**

---

(١) في « البداية » .

ورجل معلق قلبه بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه ، وشاب نشأ في عباده الله ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله » .

○ ثم تعرَّض لابتلاء آخر متعلق بنسوة في المدينة ، حينئذ دعا ربه قائلاً : ﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [يوسف : ٣٣] .

فاستجاب الله له دعائه ، كما قال : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [يوسف : ٣٤] .

○ ثم تعرض لمحنة السجن ، فقد سجن ظلمًا وعدوانًا ﷺ ، ولكن كما قال الحافظ ابن كثير : « هذا مما قدر الله له ، ومن جملة ما عصمه به ، فإنه أبعد له عن معاشرتهم ومخالطتهم » .

○ فدخل السجن وكان من أمره ما كان . دعا فيه إلى توحيد الله وعبادته، وذم عبادة ما سوى الله عز وجل ، وصغَّر أمر الأوثان وحقرها ، وضعَّف أمرها . وكان ﷺ عالمًا بتأويل الرؤى ، فقد عبَّر للسجينين ما قد طلبا منه تعبيره .

○ أما الرؤيا فكما قال تعالى : ﴿ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف : ٣٦] .

○ وأما تعبيرها ، فقد قال لهما : ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي

رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ [يوسف : ٤١] .

○ كما قد خُصَّ يوسف ﷺ بعلم بعض الأمور الغيبية ، وذلك في قوله: ﴿ لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ﴾ [يوسف : ٣٧] . كما قال عيسى عليه السلام : ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ [آل عمران : ٤٩] .

فالله سبحانه وتعالى يظهر على من يشاء من غيبه ، ويؤيد رسله بذلك كما قال : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾ [الجن : ٢٦ ، ٢٧] .

○ ثم ها هى رؤيا أخرى تُعرض عليه من قبل الملك ، دلَّهم أحد السجينين الذى كان مع يوسف عليه السلام . وكان قد أوصاه بأن يذكر أمره عند الملك، وأنه سجن بغير جرم ، فنسى تلك الوصية [(١)] ، إلى حين جاء

---

(١) أما من رأى أن الضمير في قوله : ﴿ فَأَنسَاهُ ﴾ [يوسف : ٤٢] ، عائد على يوسف ، فقول ضعيف ، والصواب في ذلك أن الضمير يرجع إلى الساقى ، فأنسى الشيطان الساقي أن يذكر يوسف لربه يعنى سيده ، يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ [يوسف : ٤٥] . وهذا ما رجحه شيخ الإسلام في « الفتاوى » (١٥/ ١١٢) حيث قال عن يوسف : « بل كان ذاكرًا لربه » وهو ما رجحه أيضًا تلميذه الحافظ ابن كثير وصوّبه .
أما حديث أبي هريرة مرفوعًا : « رحم الله يوسف لولا الكلمة التى قالها : ﴿ اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾ [يوسف : ٤٢] ، ما لبث في السجن ما لبث ـ أو ـ طول ما لبث » في رواية أخرى ، فلا يصح عن رسول الله ﷺ ، وقد حكم بنكارة ذلك الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالي ـ في « البداية » وقد ورد نحو ذلك عن ابن عباس عند ابن جرير =

الوقت الذي تذكر فيه أمر يوسف ، وما كان أوصاه فيه من التذكار ، فلما سمع رؤيا الملك قال : ﴿ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴾ [يوسف : ٤٥] .

أي فأرسلوني إلى يوسف فجاءه فقال : ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ [يوسف : ٤٦ ـ ٤٩] .

وهكذا عبرَّ يوسف ﷺ لهم الرؤيا ، فكان ذلك سببًا لخروج يوسف ، وارتفاع شأنه وعلو قدره ، وإذا أراد الله شيئًا هيأ له أسبابه . وأحاط الملك علمًا بكمال علم يوسف عليه السلام ، وتمام عقله ، ورأيه السديد وفهمه ، حينئذٍ أمر بإحضاره ، ليكون من جملة خاصته . فلما جاءه الرسول أحب ألا يخرج حتى يتبين لكل أحد أنه حبس ظلمًا وعدوانًا ، وأنه بريء الساحة مما نسبوه إليه بهتانًا .

= وغيره ، وسنده معلٌ . وقال الحافظ ابن كثير في « التفسير » (٢ / ٤٦٣) : «وهذا الحديث ضعيف جدًا » .

قلت : ثم إن قوله ﴿ اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾ [يوسف : ٤٢] ، لا ينافي التوكل ولا يناقضه ، فليس فيه إلا مجرد إخبار الملك به . ليعلم حاله ليتبين الحق ، ويوسف كان من أثبت الناس . قاله ابن تيمية ، وانظر كلامه بعد ذلك . فتاوى (١٥ / ١١٤) .

بل قال تلميذه البار ابن كثير رحمه الله في « البداية » :

« وفي هذا دليل على جواز السعي في الأسباب ، ولا ينافي في ذلك التوكل على رب الأرباب » .

○ قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ [١] وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [يوسف : ٥٠ ـ ٥٣] .

○ فحين ثبت للملك براءة يوسف ، ونزاهته ، وتحقق أمانته ، وفهم أيضًا صبره وجلده ، عظمت منزلته عنده ، وتيقن حُسْن خلاله ، حينئذ جعله من خاصته ، وأهل مشورته ، بل فوَّض إليه أمر مملكته .

○ قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ [يوسف : ٥٤] . أي ذو مكانة ووجاهة .

فلما تمكن طَلَبَ يوسفُ ﷺ الولايةَ وسألها من الملك . قال تعالى : ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف : ٥٥] . وهذا طلبًا للمصلحة العامة التى ستحصل على يديه ، فليس هذا من باب سؤال الإمارة المنهى عنها ، لأنه علم من حال القوم أنه لا أحد يقوم مقامه في الإصلاح ، وضبط الأشياء ، وتوصيل الفقراء حقوقهم مثله [٢] .

---

(١) صوَّب ابن كثير رحمه الله أن القائل هو امرأة العزيز فقط ، وقال : « وانتدب لنصره الإمام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله فأفرده بتصنيف على حدة » . ا . هـ .
قلت : وانظر في ذلك الفتاوى (١٥ / ١٣٩) .

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في « الحسبة » (ص ٧) : « وكذلك يوسف الصديق كان نائبًا لفرعون مصر ـ وهو وقومه مشركون ـ ، وفعل من العدل والخير ما=

وقد رأى القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ أن يوسف عليه السلام رأى ذلك فرضًا متعينًا عليه ، لأنه لم يكن هناك غيره ، قال : « وهو الأظهر والله أعلم » .

○ بهذه الأسباب والمقدمات المذكورة مكن الله ليوسف ﷺ ، كما قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) وَلأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [يوسف : ٥٦ ، ٥٧] .

○ وكما قال بعض الشعراء : عند التناهي يكون الفرج ، فبعد الضيق والحبس والحصر ، بعد صبره على بلاء الله من إلقائه في الجب ، وبيعه عبدًا ورقيقًا ، ومراودة امرأة العزيز له وصبره في ذلك مراقبة الله ، وابتغاء وجهه. آتاه الله مكانة عظيمة ، وجاهًا عريضًا ، ونعمة واسعة .

قال الشاعر :

أما في رسولِ الله يوسف أُسوةٌ ... لمثلكَ محبوسًا عَلى الظلم وَالإفكِ
أقامَ جميلَ الصبرِ في الحبس برهة ... فآل به الصبر الجميلُ إلى الملك

وعند التناهي يكون الفرج ، وإن مع العسر يسرًا ﴿ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف : ٥٦] .

وقد قال بعضهم :

= قدر عليه ، ودعاهم إلى الإيمان بحسب الإمكان » . (مستفاد من « منهج الأنبياء » للشيخ ربيع بن هادى ص ٦٥) .

وراء مضيق الخوف متسعُ الأمنِ وأول مفروح به غاية الحــــزن
فلا تيأس فالله مَلَّك يـوسُــفا خزائنَهُ بعد الخلاص من السجن

○ قال شيخنا مصطفى العدوى ـ حفظه الله تعالى : ـ فلا تخفى سيرة يوسف ﷺ ، لا يخفى ما حلَّ به من البلاء والنكد صلوات الله وسلامه عليه ، ولكن دائمًا كما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : ﴿ **وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ** ﴾ [آل عمران : ١٤٠] . وكما قال سبحانه : ﴿ **إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا** ﴾ [الشرح : ٦] . وكما قال سبحانه : ﴿ **وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ** ﴾ [طه: ١٣٢] .

فآلت مقاليد الأمور إلى يوسف ﷺ ، فالله سبحانه وتعالى يُعز من يشاء، ويذُل من يشاء ، يخفض ويرفع .

○ وكما قال النبى ﷺ : « **إنه حق على الله عزوجل ألا يرتفع شئ من أمر هذه الدنيا إلا وضع** » .

فالدنيا تُقبل وتُدْبر ! والمناصب يتقلدها أقوام ثم تزول عنهم وتذهب ! والأموال يجمعها أناس ثم تذهب عنهم هى الأخرى ! وكان الأمر مع يوسف ﷺ على النحو التالى : قال سبحانه : ﴿ **وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ** ﴾ [يوسف : ٥٨] .

جاءوا ، وأتوا إليه من بلاد كنعان بعد أن أصابتهم المجاعات ، وضرب عليهم الجوع بخيامه ، فانطلقوا وقد حملوا معهم بعض البضاعات ، وانطلقوا راجين الرزق ، طامعين في الخبز ، طامعين في البر .

ولما سمعوا عن يوسف ﷺ ، وسيرته العادلة ، وكرمه الزائد ، حملوا بضاعتهم ، وانطلقوا إلى يوسف ﷺ في سنى المجاعة .

فدخلوا على يوسف ﷺ، وهو في أُبَّهَةِ الملك عليه الصلاة والسلام ، تُحيط به الحاشية، ويقف أمامَهُ الكبراء والعظماء ، كلٌ يرجوا فضله ،بعد فضل الله سبحانه وتعالى .

فجاء إخوة يوسف ، وهم أحد عشر رجلاً ، دخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ، لا يتصورون ، ولا يتوقعون أبدًا أنه يوسف ﷺ ، فقد ألقوه منذ زمان بعيد في غيابات الجب ، ولم يدروا إلى أين ذهب . . ثم استطرد الشيخ متحدثًا في بقية فقه سيرة يوسف ﷺ التى عرضتها الآيات الكريمة .

○ وقال الشيخ العدوى في كتابه « دعوة الرسل إلى الله تعالى » [1] : «بعد أن أن مكن الله ليوسف في الأرض ، وأعطاه سلطة ونفوذًا ، وحلَّ بمصر ما حلَّ من القحط والمجاعة ، جاء إخوته يطلبون طعامًا ، فدخلوا عليه ، فعرفهم هو ، لأنه تركهم ، وهم كبار ، فلم يتغير فيهم شئ ، أما هم ، فأنكروه ولم يعرفوه ، لأنهم فارقوه ، وهو صغير ، ومن شأن الصغير أن يتغير بالكبر ، ولأن لباس الملك وعظمته من شأنها أن تلبس عليهم الأمور، ومن شأنها أن تحول بين طالبى الحاجة كإخوة يوسف ، وبين الوالى كيوسف . . » إلخ ما قال رحمه الله تعالى .

○ ثم حكى الله تعالى ما دار بين نبى الله يوسف الكريم ﷺ ، وبين

---

(١) (١٣٦ دار المعرفة) . وهو صاحب الرسالة المعروفة : « أصول في البدع والسنن » . وقد توفى طيَّب الله ثراه .

إخوته ، وقد طلب منهم أخاهم الذى هو من أبيهم وهو شقيقه ، ثم شدَّد عليهم إن لم يأتوا به فإنه سيحرمهم من الطعام الذى سافروا من أجله ، وحضروا للحصول عليه .

ثم احتال [١] الكريم يوسف ﷺ في أخذه منهم باتهامه بالسرقة [٢]، وفي ذلك يقول سبحانه : ﴿ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ [٣] إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف : ٧٦] .

وفي ذلك تنويه بشأن العلم والذكاء في يوسف ﷺ .

فلما ذهبوا إلى أبيهم وأخبروه بالخبر ، كما قال تعالى حاكيًا عنهم: ﴿ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴾ [يوسف : ٨١] .

ثم قال تعالى : ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٨٤ - ٨٦] .

أى : لست أشكو إليكم ، ولا إلى أحد من الناس ما أنا فيه ، إنما أشكوه إلى الله عز وجل ، وأعلم أن الله سيجعل لى ما أنا فيه فرجًا

---

(١) وهذه من الحيل المشروعة ، والمكائد التى يتوصل بها إلى الحقوق ، أما الحيل التى يتوصل بها إلى إسقاط واجب أو فعل محرم فممنوع .

(٢) قال ابن كثير رحمه الله : « وإنما فعل ما فعل عن أمر الله له في ذلك ، لأنه يترتب على هذا الأمر مصلحة عظيمة بعد ذلك ، من قدوم أبيه وقومه عليه ، ووفودهم إليه » .

(٣) أى في شريعة الملك وحكمه وسلطانه .

ومخرجًا[١] وهذا من كمال حسنه الظن بربه سبحانه .

أعلم من رحمته وإحسانه ما لا تعلمون ، فأرجوا أن يأتينى الفرج من حيث لا أحتسب [٢] . أعلم أنه سيردهم علىَّ ، ويقر عينى بالإجماع بهم . ثم قال لهم محرضًا على تطلب يوسف وأخيه ، وأن يبحثوا عن أمرهما : ﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ ﴾ [يوسف : ٨٧] .

فأخبر الله تعالى أنهم رجعوا إلى يوسف مرة أخرى ، وقدموا عليه ليسألوه الميرة ، والصدقة عليهم برد أخيهم [٣] إليهم .

فلما رأى ذلك منهم عطف عليهم ، وأخذته الشفقة لهم، تعرف إليهم،

(١) ابن كثير رحمه الله .

(٢) « دعوة الرسل » للعدوى أثابه الله ، وقال رحمه الله (ص ١٤٧) : « ولا ضير في أن يتألم نبى الله يعقوب لهذه الشدائد ، ويحزن الحزن العميق لتلك الأحداث ، لأن هذه طبع الإنسان واستعداده ، ويمتاز الصالحون بأنهم لا يغضبون ربهم في حزنهم ، ولا يخرجون به إلى ما لا يحسن ، ولقد بكى رسول الله ﷺ على ولده إبراهيم ، وقال : « إن القلب يحزن ، والعين تدمع ، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا ، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون » . والأنبياء بشر يجرى عليهم ما يجرى على سائر الناس من الحزن والفرح ، والتألم للمصائب ، والاستبشار بالنعمة » .

(٣) قال شيخنا مصطفى العدوى حفظه الله : « ذكر جمهور المفسرين أن اسمه بنيامين ، فالله أعلم بذلك » .

قلت (محمد) : والمراد بقولهم في الآية الكريمة ﴿ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ﴾ [يوسف : ٨٨]، قيل : أى برد أخينا إلينا ، وقيل : تجوَّز عنا ، وقيل : تفضل علينا بما بين سعر الجياد والردئ لقولهم ﴿ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ ﴾ أى قليلة ورديئة ﴿ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ﴾ ، فمعنى هذا الأخير : أغمض الطرف عن رداءة البضاعة أو قلتها ، وأعطنا حقنا ، وزدنا عليه صدقة منك علينا ، فقد مسنا وأهلنا الضر، أى أصابنا الجوع والقحط وقلة الطعام.

وقال لهم بعد ما كشف وحسر لهم عن جبينه الشريف [١] ، وأظهره لهم : ﴿ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ [يوسف : ٨٩] .

فلما خاطبهم بهذا الخطاب ، عرفوه في الحال والمآل ، فقال متعجبين كل العجب ، فقد ترددوا إليه مرارًا عديدة ، ومع ذلك ما عرفوه .

○ قال تعالى : ﴿ قَالُوا أَئِنَّكَ لأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف : ٩٠] .

فصرَّح لهم باسمه تعظيمًا لما جرى عليه من ظلم إخوته كأنه قال : أنا الذى ظلمتمونى على أشنع الوجوه ، والله أوصلنى إلى أعظم المناصب ، أنا الأخ الذى قصدتم قتله ، ثم صرت إلى ما ترون !! أنا يوسف الذى صنعتم معه ما صنعتم ، وسلف من أمركم فيه ما فرطتم .

﴿ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾

ثم علَّل ذلك بقوله : ﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ فيكافئه في الدنيا ، ويثيبه في الآخرة .

قال تعالى : ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾ [يوسف: ٩١] . اعتراف منهم بتفضيله عليهم بالتقوى ، والصبر ، وسيرة المحسنين ، وإن شأننا أن كنا خاطئين ، قال الأموى : المخطئ من أراد الصواب ، فصار إلى غيره ، ومنه قولهم : المجتهد يخطئ ويصيب . والخاطئ من تعمد ما لا ينبغى؛ ويؤيده قول العزيز لامرأته : ﴿ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾

(١) وهذا من المحتمل ،وليس من اليقين والله أعلم .

[يوسف : ٢٩] . أى المتعمدين للإثم [١] .

قال تعالى : ﴿ قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [يوسف : ٩٢] . أى لست أعاتبكم على ما كان منكم بعد يومكم هذا . ثم الله يغفر لكم ، وذلك منتهى الكرم من نبى الله يوسف يعفو عنهم ، ثم يدعو الله لهم ، ولا غرابة فهو الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم .

○ قوله : ﴿ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ فيها قراءتان في الوقف. أما القراءة الأولى فيقرأ : ﴿ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ﴾ ثم يبتدأ بقوله : ﴿الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ . وهذه القراءة ضعفها الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى .

أما الثانية فتقرأ جميعها : ﴿ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ ذلك أن المعنى المتعلق بهذه القراءة يختلف عن المعنى المتعلق بالقراءة الأولى .

فالأولى فيها الجزم بالمغفرة في اليوم ، وهذا لا يكون إلا عن وحى ، والثانية فيها سؤال الله المغفرة .

قلت (محمد) : والآية قد تحتمل هذا ، وقد تحتمل هذا ، والله أعلم.

○ ثم أمرهم يوسف ﷺ بأن يذهبوا بقميصه [٢]، فيضعوه على وجه أبيه، ليرجع إليه بصره ما كان قد ذهب ، بإذن الله ، وهذا من خوارق العادات ، ودلائل النبوات ، وأكبر المعجزات .

---

(١) « دعوة الرسل » (ص ١٤٩) .

(٢) يذكرون في القميص روايات وخصائص ، وكل ما تعطيه الآية أنه قميص كان معروفًا لنبى الله يعقوب فهو أمارة على أن صاحبه حى ، قاله العدوى رحمه الله .

○ ثم أمرهم بأن يحملوا أهلهم أجمعين إلى ديار مصر حيث هناك ﷺ، إلى الخير والدعة ، وجمع الشمل بعد الفرقة على أكمل الوجوه ، وأعلى الأمور .

○ قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾ أى أشم رائحته ، وذلك من خوارق العادات لنبى الله يعقوب أن يدرك بحاسة الشم من مسافات ليس من شأنها أن يبلغ الشم إليها (١) .

قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [يوسف : ٩٦ ـ ٩٨] .

فلما رجع بصره حين ألقى القميص على وجهه ، وبرأ من آثار الحزن ، وابيضت عيناه ، ورجعت إلى ما كانت ، تجهزوا للرحلة من بلادهم ، قاصدين الوصول إلى يوسف في مصر وسكناها .

○ قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ (٢) وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا (٣) وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا

---

(١) وهذا من التوسم والفراسة ، أو نوع من المكاشفة يعطيها الله لمن شاء من عباده ، وقد بلغ النبى ﷺ خبر النجاشى لما مات ، ونعى رسول الله ﷺ ، زيدًا وجعفرًا وابن رواحة لما قُتلوا في غزوة مؤته ، وعمر رضى الله عنه لما رأى جيش المسلمين سيلحقهم العدو قال وهو على المنبر : « يا سارية الجبل » أى : الزم الجبل ، ولا أحد يدرى ما يقول أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه . فهذا كله نوع من المكاشفات والكرامات ، والله تعالى أعلم .

(٢) أى سرير الملك ، ومجلس العز .

(٣) وهو سجود تعظيم وتبجيل وإكرام ليوسف ﷺ ، وكان هذا مشروعًا لهم ، ولم يزل =

تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا (١) وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [يوسف : ٩٩ ـ ١٠٠] .

ولما أتم الله ليوسف ما أتم من التمكين في الأرض والملك ، وأقر عينه بأبويه وإخوته ، وبعد العلم العظيم الذى أعطاه الله إياه ، أقرَّ بتلك النعمة ، وشكرها ، ودعا بالثبات ، والوفاة على الإسلام (٢) .

• وختامًا •

○ انظروا إلى يوسف عليه السلام ، وتمعنوا ما حدث له من صنوف البلايا ، والمحن ، وألوان الشدائد ، والنكبات ، وما له من ضروب المحن:

محنة حسد إخوته ، وكيدهم له .

ومحنة رميه في الجب .

ومحنة تعلق امرأة العزيز به ، وعشقها له ، ثم مراودتها له عن نفسه بشتى طرق الفتنة ، والإغراء .

ثم محنة السجن بعد ذلك العز ورغد العيش .

= حتى حرم ، وقد قال الشيخ العدوى ـ رحمه الله تعالى ـ « ولعلها كانت انحناء ، لأن هذا هو اللائق بمركز نبى الله يعقوب ويوسف عليهما السلام ، ولا يعارض ذلك قوله ﴿ وَخَرُّوا ﴾ لأنه يأتى بمعنى المرور ، كقوله : ﴿ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ [الفرقان: ٧٣] ، أى لم يمروا عليها ﴿ صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ » .

(١) فلم يجعلها أضغاث أحلام . بل جعلها رؤيا صادقة ، فذلك تأويلها وتعبيرها .

(٢) قاله السعدى ـ رحمه الله تعالى .

○ انظروا إليه كيف أنه لما صبر على الأذى في سبيل العقيدة وصبر على الضر ، والبلاء ، نقله الله من السجن إلى القصر ، وجعله عزيزاً في أرض مصر ، وملكه الله خزائنها ، فكان السيد المطاع ، والعزيز المكرم . . . «**وهكذا أفعل بأوليائي ، ومن صبر على بلائي** » ، فلا أن توطدوا النفس على تحمل البلاء اقتداء بمن سبق من المرسلين .

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف : ٣٥] .

﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ [النحل : ١٢٧] .

○ وهكذا جاءت قصة يوسف الصديق التى قيل عنها : « سورة يوسف ومريم مما يتفكّه بهما أهل الجنة في الجنة » ، « لا يسمع سورة يوسف محزون إلا استراح إليها » . تسلية لرسول الله عما يلقاه ، وجاءت تحمل البشْر ، والأنس ، والطمأنينة ، لمن سار على درب الأنبياء ، فلابد من الفرج بعد الضيق ، ومن اليسر بعد العسر ، ويبشر بالنصر لمن تمسك بالصبر، وسار على طريق الأنبياء والمرسلين ، والدعاة المخلصين [1] . وصلى الله وسلم وبارك علي محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

---

(١) « أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ » (١٠٢ ، ١٠٣ دار طيبة) .

• طلبه الوفاة على الإسلام واللحوق بالصالحين •

○ قال تعالى ـ عنه ـ : ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا (١) وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [يوسف : ١٠١] .

قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ (٢) : « جمعت هذه الدعوات الإقرار بالتوحيد ، والاستسلام للرب ، وإظهار الافتقار إليه ، والبراءة من موالاة غيره سبحانه . وكون الوفاة على الإسلام أجل غايات العبد ، وأن ذلك بيد الله ، لا بيد العبد ، والاعتراف بالمعاد ، وطلب مرافقة السعداء » .

---

(١) وهذا طلب لحسن الخاتمة ، والوفاة على الإسلام ، واللحوق بالصالحين من النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . وقيل غير ذلك .
أما طلب الموت لمصيبة حلَّت بالشخص فهذا مما لايجوز ، لقول النبي ﷺ : « لا يتمنين أحدكم الموت من ضرٍّ أصابه . . . الحديث » . وهو في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه .
وأما إذا كان المرء يخشى على نفسه الفتنة في الدين ففى هذه الحالة ، يجوز تمنى الموت وسؤالُه ، كما قالت مريم : ﴿ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾ [مريم : ٢٣] ، وغير ذلك من النصوص .
وقد قال النبى ﷺ : « اللهم ألحقنى بالرفيق الأعلي » وهو في الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها . وهذا قاله عند الاحتضار ﷺ ، وهذا سائغ وجائز بل مشروع ، وعليه فقد حمل البعض دعاء يوسف عليه السلام .
(٢) « الفوائد » (٢٢٣) .

● قبر يوسف ﷺ ●

○ عن يونس بن أبي إسحاق أنه تلا قول الله عزوجل : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾ [الشعراء : ٥٢] . فقال أبو بردة بن أبي موسى الأشعرى عن أبيه قال : نزل رسول الله ﷺ بأعرابى فأكرمه فقال له رسول الله ﷺ : « **تعهدنا ائتنا** » فأتاه الأعرابى ، فقال له رسول الله ﷺ : « **ما حاجتك** » ؟ فقال : ناقة برحلها ، وبحر لبنها أهلى [١] . فقال رسول الله ﷺ : « **عجز هذا أن يكون كعجوز بنى إسرائيل** » ، فقال له صاحبه : ما عجوز بنى إسرائيل يا رسول الله ؟ فقال :

○ « **إن موسى حين أراد أن يسير ببنى إسرائيل ضل عنه الطريق ، فقال لبنى إسرائيل : ما هذا ؟ قال : فقال له علماء بنى إسرائيل :**

○ **إن يوسف عليه السلام حين حضره الموْت أخذ علينا موثقًا من الله أن لا نخرج من مصر حتى تنقل عظامه معنا ، فقال موسى: أيكم يدرى قبر يوسف؟ فقال علماء بنى إسرائيل : ما يعلم أحد مكان قبره إلا عجوز لبني إسرائيل ، فأرسل إليها موسى ، فقا ل : دلُّينا على قبر يوسف ؟ قالت : لا والله حتى تعطينى حكمى ، فقال لها : ماحكمك ؟ قالت : حكمى أن أكون معك في الجنة ، فكأنه كره ذلك ، قال : فقيل له [٢] : أعطها حكمها ، فأعطاها حكمها ، فانطلقت بهم إلى بحيرة مستنقعة ماء ، فقالت لهم : انضبوا هذا الماء، فلما**

---

(١) وفي رواية ابن حبان : (ناقة نركبها ، وأعنز يحلبها أهلى) .

(٢) وفي رواية ابن حبان : (فأوحى الله إليه : أن أعطها حكمها) .

أنضبوا ، قالت لهم : احفروا فحفروا ، فاستخرجوا عظام يوسف (١) ، فلما أن أقلوه من الأرض إذ الطريق مثل ضوء النهار » (٢) .

---

(١) قال الشيخ الألباني عليه رحمة الله في « الصحيحة (٣١٣) :
« (فائدة) كنت استشكلت قديمًا قوله في هذا الحديث « عظام يوسف » لأنه يتعارض بظاهره مع الحديث الصحيح : « إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » حتى وقفت على حديث ابن عمر رضي الله عنهما : أن النبي ﷺ لما بدن ، قال له تميم الداري : ألا أتخذ لك منبرًا يا رسول الله ، يجمع أو يحمل عظامك ؟ قال : بلى، فاتخذ له منبرًا مرقاتين » . أخرجه أبو داود (١٠٨١) بإسناد جيد على شرط مسلم . فعلمت منه أنهم يطلقون « العظام » ويريدون البدن كله ، من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل ، كقوله تعالى ﴿ قُرْآنَ الْفَجْرِ ﴾ [الإسراء : ٧٨] أي صلاة الفجر فزال الإشكال والحمد لله ، فكتبت هذا لبيانه » انتهى .
(٢) والحديث أخرجه الحاكم في « المستدرك » (٢ / ٤٧٦) (٣٥٨٠) وأبو يعلى في مسنده » (١٣ / ٢٣٦) (٧٢٥٤) ، وابن حبان من طريقه كما في «صحيحه » (٧٢٣) ، وابن أبي حاتم كما في « تفسير ابن كثير » (٣ / ٢٨٨ دار القلم) .
وقد قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : « هذا حديث غريب جدًا ، والأقرب أنه موقوف والله أعلم » .
وضعفه أيضًا محققوا « الموارد » (ص ١٠٩٦ ، ١٠٩٧) (حديث ٢٤٣٥)، أما الشيخ ناصر الدين ـ رحمه الله تعالى رحمة واسعة ـ فقد أورده في « صحيحته » (حديث ٣١٣) فلينظر ذلك هناك

من فضائل أيوب عليه السلام (1)

﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّاب ﴾

(1) لُقب بالمبتلى الصابر ، وهو من ذرية إبراهيم عليه السلام لقوله تعالى : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾ [الأنعام : ٨٤] . على أن الصحيح أن الضمير عائد على إبراهيم الخليل دون نوح عليهما السلام . قاله ابن كثير ـ رحمه الله ـ وقد رتبه الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ بعد قصة يوسف عليه السلام ـ وقبل قصة ذى الكفل عليه السلام .

• من فضائل
نبي الله أيوب عليه السلام •

• نبوته •

○ فهو من الأنبياء المنصوص على الإيحاء لهم :

○ قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾ [النساء : ١٦٣] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأنعام : ٨٣ ، ٨٤] .

ثم قال تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (٨٩) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام : ٨٩ ، ٩٠] .

وفي ذكر هؤلاء الرسل وتعدادهم ، من التنويه بهم ، والثناء الصادق عليهم ، وشرح أحوالهم مما يزداد به المؤمن ، إيمانًا بهم ومحبة لهم ، واقتداء بهديهم ، واستنانًا بسنتهم ، ومعرفة بحقوقهم . وقد أثنى عليهم ربنا، فوصفهم بالإحسان ، وإذا كان كل محسن له من الثناء الحسن بين الأنام بحسب إحسانه ، فهؤلاء الرسل ـ خاصة المسمون هنا ـ في المرتبة العليا من الإحسان [١] .

(١) « تيسير الكريم الرحمن بتصرف ص ١٧٧ ط الرسالة » .

● ومن فضل الله على عبده ونبيه أيوب ●

○ أنه قد شفاه بعد ما عجز الأطباء عن علاجه ، ورد عليه عافيته لما اغتسل بالماء البارد وشرب منه ﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ (١) ، وأنزل عليه جرادًا من ذهب ، وجرادًا من فضة ، فأغناه الله عزوجل بعد ذلك كله ، ورد عليه أهله وماله ، ومثلهم معهم .

○ قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ (٢) هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (٣) ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا (٤) فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ (٥) إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص : ٤١ ـ ٤٤] .

○ قال السعدي ـ رحمه الله تعالى ـ (٦) : « أي : واذكر عبدنا ورسولنا

---

(١) (ص : ٤٢) .

(٢) أي : اضرب بها الأرض .

(٣) أي فركض فنبعت عين جارية ، فاغتسل فيها ، فخرج صحيحًا ، ثم نبعت عين أخرى فشرب منها ماءً عذبًا باردًا .

وقيل : اغتسل فذهب الداء من ظاهرهِ ، ثم شرب فذهب الداء من باطنه .

(٤) الضغث : الحزمة الكبيرة من شماريخ النخل وقضبانه .

(٥) أي : اضرب به ، ولا تحنث في يمينك ، وكان أيوب قد حلف أن يضرب امرأته مائة جلدة ، لذنب جنتْهُ ، فجعل الله له هذا مخرجًا له من يمينه . ملخصًا من « زبدة التفسير من فتح القدير » للأشقر سدَّده الله .

(٦) ولست أعنى في تفسير الآية المتقدمة بل التي تليها . « تيسير الكريم الرحمن » : (الأنبياء : ٨٣ ـ ٨٤) . لكن التفسير يشمل الآيتين معًا .

أيوب ، مثنيًا ومعظمًا له ، رافعًا لقدره ، حين ابتلاه ، ببلاء شديد ، فوجده صابرًا راضيًا عنه ، وذلك أن الشيطان سلط على جسده ، ابتلاء من الله ، وامتحانًا ، فنفخ في جسده ، فتقرح قروحًا عظيمة ، ومكث مدة طويلة ، واشتد به البلاء ، ومات أهله ، وذهب ماله ، فنادى ربه قائلاً رب : ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٣] .

فتوسل إلى الله بالإخبار عن حال نفسه ، وأنه بلغ الضر منه كل مبلغ ، وبرحمة ربه الواسعة العامة ، استجاب الله له ، وقال : ﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ [ص : ٤٢] ، فركض برجله ، فخرجت من ركضته عين ماء باردة ، فاغتسل منها وشرب ، فأذهب الله عنه ما به من الأذى . ﴿وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ ﴾ أي : رددنا عليه أهله وماله . ﴿ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ ﴾ بأن منحه الله العافية ، ومن الأهل والمال شيئًا كثيرًا . ﴿ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا ﴾ به ، حيث صبر، ورضى ، فأثابه الله ثوابًا عاجلاً ، قبل ثواب الآخرة . ﴿ وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾ أي : جعلناه عبرة للعابدين ، الذين ينتفعون بالصبر ، فإذا رأوا ما أصاب أيوب عليه السلام من البلاء ، ثم ما أثابه الله بعد زواله ، ونظروا السبب ، وجدوه؛ الصبر ، ولهذا أثنى الله عليه به في قوله : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص : ٤٤] . فجعلوه أسوة وقدوة ، عندما يصيبهم الضر » انتهى .

وقال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ (١) : « وقوله : ﴿ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا ﴾ أي فعلنا به ذلك رحمة من الله به ، ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴾ أي : وجعلناه في ذلك قدوة ، لئلا يظن أهل البلاء أنما فعلنا بهم ذلك لهوانهم

(١) « التفسير » (٣ / ١٨٢ المكتبة القيمة) .

علينا ، وليتأسوا به في الصبر على مقدورات الله ، وابتلائه لعباده بما يشاء ، وله الحكمة البالغة في ذلك » .

○ وقال تعالى : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً (*) مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٣ ـ ٨٤] .

○ قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ [1] :

« فائدة »

○ قوله تعالى : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٣] :

« جمع في هذا الدعاء بين حقيقة التوحيد ، وإظهار الفقر والفاقة إلى ربه ، ووجود طعم المحبة في التملق له والإقرار له بصفة الرحمة ، وأنه أرحم الراحمين ، والتوسل إليه بصفاته سبحانه وشدة حاجته وهو فقره ، ومتى وجد المبتلى هذا كشفت عنه بلواه ، وقد جُرب أنه من قالها سبع مرات[2] ، ولا سيما مع هذه المعرفة كشف الله ضرَّه » .

(*) قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ في « التفسير » (٣ / ١٨١ ، ١٨٢) : «وقد زعم بعضهم أن اسم زوجته رحمة ، فإن كان أخذ ذلك من سياق الآية فقد أبعد النجعة ، وإن كان أخذه من نقل أهل الكتاب ، وصح ذلك عنهم ، فهو مما لا يصدق ولا يكذب » .

(١) « الفوائد » (٢٢٢ و ٢٢٣ دار الكتب) .

(٢) هذا من خلال التجربة ، أما من خلال ورود خبر في ذلك عن رسول الله ﷺ ، فلم يرد والله تعالى أعلم .

○ وأخرج البخارى في « صحيحه »[١] من حديث أبي هريرة رضى الله عنه .

عن النبى ﷺ قال : « بينما أيوب يغتسل عريانًا [٢] خرَّ عليه رجلُ جراد[٣] من ذهب ، فجعل يحثى [٤] في ثوبه ، فنادى ربه [٥] : يا أيوب : ألم أكن أغنيتك عما ترى ؟ قال : بلى يارب ، ولكن لا غنى لى عن بركتك » [٦] .

● صبر أيوب وثناء ربه عليه ●

○ قال تعالى : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ [٧] ﴾ [ص : ٤٤] .

○ وأخرج الحاكم وأبو يعلى وابن حبان [٨] من حديث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال :

---

(١) (برقم : ٣٣٩١) وأحمد (٢ / ٣١٤) والنسائي (١ / ٢٠٠ ، ٢٠١) .

(٢) قال السندى ـ رحمه الله ـ: « العُرى في محلٍّ مأمون عن نظر الغير بمنزلة الستر ، وهذا مبنى على أن شرع من قبلنا شرع لنا » .

(٣) أى جماعة جراد .

(٤) يحثى : اى يأخذ بيديه جميعًا .

(٥) وفي رواية عند البخارى (٧٤٩٣) : « فناداه ربه » .

(٦) وفي رواية : « عن بركاتك » .

قلت : وظاهر الحديث أن الله تعالى كلَّمهُ بلا واسطة ، وعليه : فهذه فضيلة عظيمة من الله لأيوب عليه السلام أن يكون بواسطة الملك . قاله السندى بتصرف .

(٧) أى رجاع تواب كثير التوبة والإنابة .

(٨) حديث صحيح . أخرجه الحاكم (٢ / ٥٨١ ، ٥٨٢) وأبو يعلى (٦ / ٢٩٩) وابن حبان (« موارد » ٢٠٩١) وابن جرير في « تفسيره » (١٠ / ٥٩) والضياء في «الأمراض والكفارات » (رقم : ١٠) . وقد ذهب الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ إلى غرابته فقال : (وهذا غريب رفعه جدًا ، والأشبه أن يكون موقوفًا) . ا . هـ . =

○ « إن أيوب نبي الله ﷺ لبث في بلائه ثماني عشرة سنة ، فرفضه البعيد والقريب ، إلا رجلين من إخوانه كانا يغدوان إليه ويروحان ، فقال أحدهما لصاحبه : تعلم ـ والله ـ لقد أذنب أيوب ذنبًا ما أذنبه أحد من العالمين . فقال له صاحبه : وما ذاك ؟ قال : منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله ، فيكشف ما به .

○ فلما راحا إليه ، لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له ، فقال أيوب : لا أدري ما تقول ، غير أني كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله ، وأرجع إلى بيتي ، فأكفر عنهما ، كراهية أن يذكر الله إلا في حق ، قال : وكان يخرج إلى حاجته ، فإذا قضى حاجته أمسكت امرأته بيده ، فلما كان ذات يوم أبطأ عليهما .

○ فأوحى الله إلى أيوب في مكانه : ﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص : ٤٢] ، فاستبطأته ، فبلغته ، فأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء ، فهو أحسن ما كان ، فلما رأته قالت : أي ! بارك الله فيك ، هل رأيت نبي الله هذا المبتلى ؟ ووالله على ذلك ما رأيت أحدًا كان أشبه به منك إذ كان صحيحًا ، قال : إني أنا هو .

○ وكان له أندران [1] ، أندر القمح ، وأندر الشعير ، فبعث الله سحابتين، فلما كانت إحداهما على أندر القمح ، أفرغت فيه الذهب حتى فاضت ، وأفرغت الأخرى على أندر الشعير الورق حتى فاضت » . والورق : الفضة.

= وسنده ـ عندي الآن ـ صحيح ، والله أعلم .

وقد قال الضياء المقدسي : « هذا حديث غريب مليح ، ورجال إسناده ثقات » .

(١) الأندر : البيدر الذي يداس فيه الطعام .

● رقة قلبه ونقاؤه ●

○ عن المقدام بن معدى كرب أن رسول الله ﷺ قال : « ما من أحد يموت سقطًا ولا هرمًا ـ وإنما الناس فيما بين ذلك ـ إلا بُعث [(١)] ابن ثلاثين سنة، فمن كان من أهل الجنة كان على مسحة آدم ، وصورة يوسف ، وقلب أيوب ، ومن كان من أهل النار عظموا [(٢)] وفخموا كالجبار » . قواه بطرقه وشواهده الشيخ ناصر الدين رحمه الله [(٣)] .

○ هذا ؛ وما ذكر عن أيوب بعد ذلك من أخبار وحكايات تصف لنا درجة بلائه الذى حلَّ بجسده ـ سوى ما ذكرناه ـ فتخاليط واهيات ، وخرافات وترهات ، فلم يثبت منها شيئ ، بل تطفح بالجهل بعباد الله ، فضلاً عن أنبياء الله ورسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين [(٤)] .

---

(١) أى : أحياه الله تعالى

(٢) عظموا : أى كبرت أجسامهم .

(٣) في « صحيحته » (٦ / ١ / ٤٤) (٢٥١٢) .

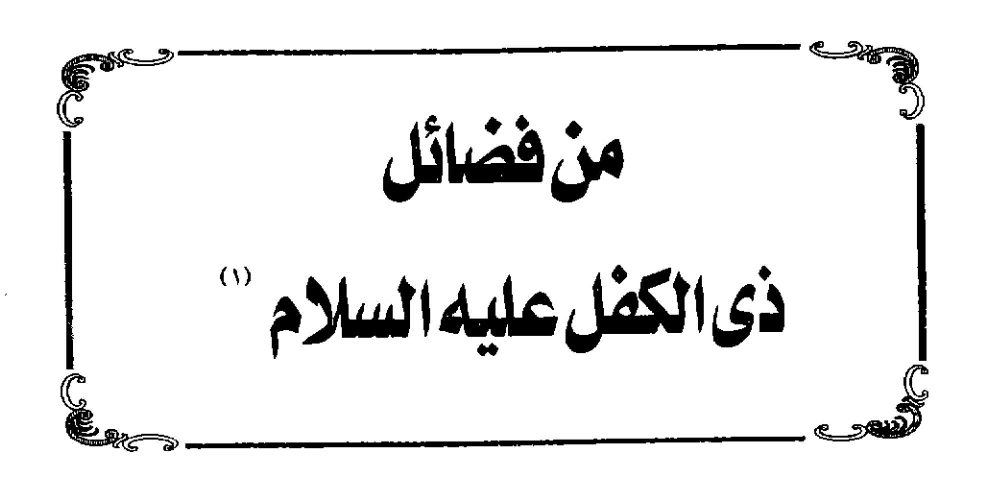
والحديث أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٠ / ٢٧٠) والبيهقى في « البعث » (٤٦٦) وقد قال المنذرى « رواه البيهقى بإسنادٍ حسن » . انتهي . ولعل المراد بشواهده ـ والله أعلم ـ كما قد مضى .

(٤) قال أبو بكر ابن العربي ـ رحمه الله تعالى ـ

« ولم يصح عن أيوب في أمره إلا ما أخبرنا الله عنه في كتابه في آيتين ، الأولى قوله تعالى : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ ﴾ [الأنبياء : ٨٣] ، والثانية في : [ص: ٤١] ، ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ . وأما النبى ﷺ فلم يصح عنه أنه ذكره بحرفٍ واحدٍ إلا قوله « بينما أيوب يغتسل إذ خر عليه رجل من جراد من ذهب » الحديث وإذ لم يصح عنه فيه قرآن ولا سنة إلا ما ذكرناه ـ » قلت محمد . بل ثبت غير ذلك كما في الأصل من حديث المقدام وحديث أنس بن مالك ـ عند ابن =

. . . .

= حبان ـ» . فمن الذى يوصل السامع إلى أيوب خبره ، أم علي أى لسان سمعه ؟ والإسرائيليات مرفوضة عند العلماء على البتات ، فأعرض عن سطورها بصرك ، وأصمم عن سماعها أذنيك ، فإنها لا تعطى فكرك إلا خيالاً ، ولا تزيد فؤادك إلا خبالاً » . ا . هـ . من تفسير القرطبى عند آية ص : ٤١ . وقد أفادنى بهذا الموضع الشيخ الكريم أبو عبد الله مصطفى بن العدوى حفظه الله تعالى .



من فضائل ذى الكفل عليه السلام (١)

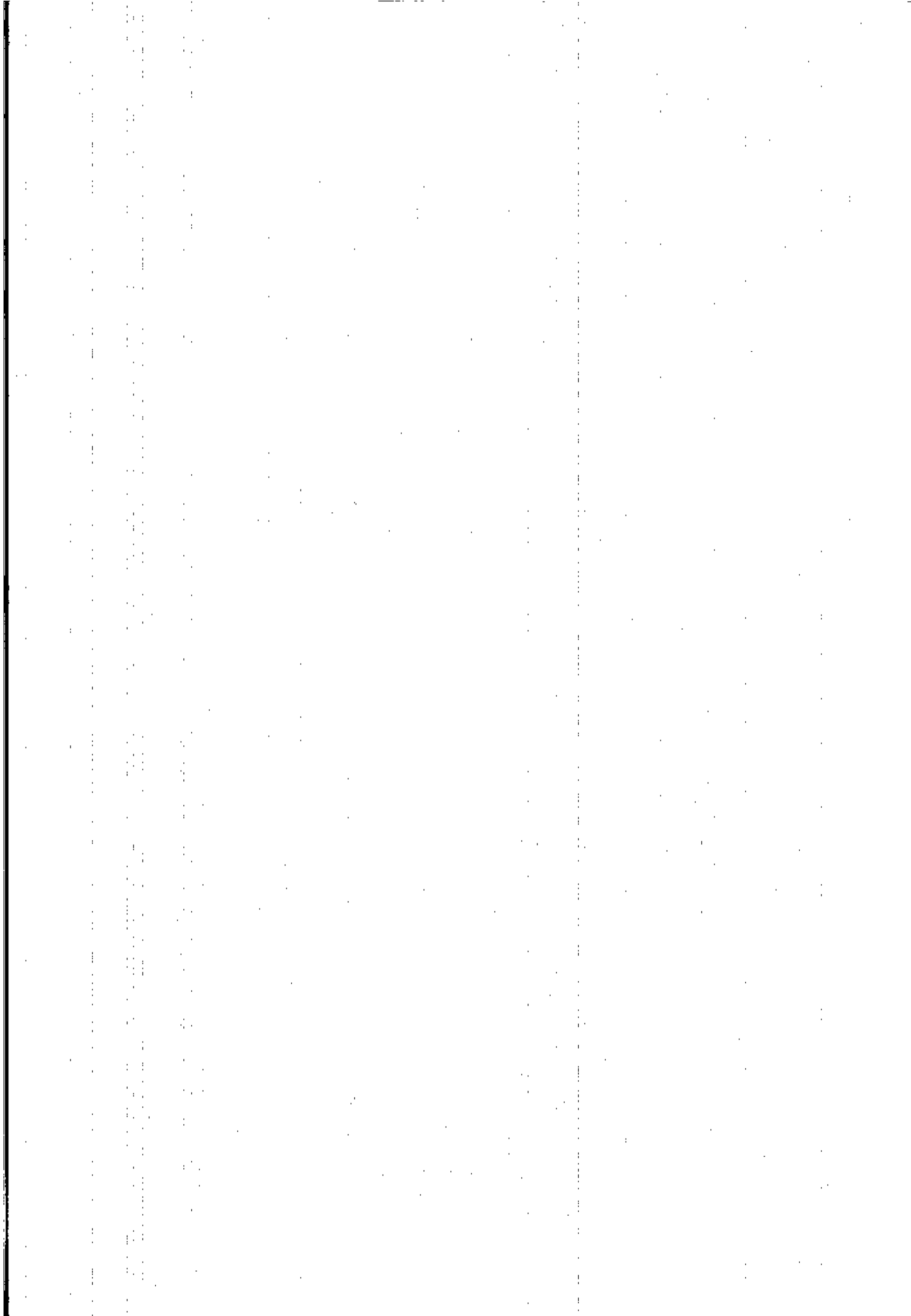
(١) وقد ورد في تسمية بذى الكفل روايات كلها ضعيفة لا تثبت ، حاصلها أن الله سماه بذلك لأنه تكفل بأمر فوفّى به .

* أمَّا هل هو المذكور في حديث : « كان الكفل من بنى إسرائيل لا يتورع من ذنب عمله ، فأتته امرأة فأعطاها ستين ديناراً على أن يطأها ، فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته أرعدت منه وبكت ، فقال لها : ما يبكيك ؟ أأكرهتك ؟ قالت : لا ، ولكن هذا عمل لم أعمله قط ، وإنما حملتْنى إليه الحاجة ، قال : فتفعلين هذا ولم تفعليه قط! ثم نزل ، فقال : اذهبى بالدنانير لك . ثم قال : والله لا يعصى الله الكفل أبداً ، فمات من ليلته فأصبح مكتوبًا على بابه ، قد غفر الله للكفل » .

أخرجه أحمد (٢ / ٢٣) والترمذى (٢٤٩٦) . وانظر « تحقيق المسند » (برقم : ٤٧٤٧) ط الرسالة .

وقد قال الحافظ ابن كثير :

« حديث غريب جداً ، وفي إسناده نظر » « وإن كان محفوظًا ، فليس هو ذا الكفل وإنما لفظ الحديث : « الكفل » من غير إضافة ، فهو رجل غير المذكور في القرآن والله أعلم » . ا . هـ . وانظر نحواً من ذلك في التفسير له [(٣ / ١٨٣) المكتبة القيمة].



• من فضائل ذى الكفل عليه السلام •

• ثناء الله عليه •

○ قال تعالى : ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٥ ـ ٨٦] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الأَخْيَارِ ﴾ [ص:٤٨] .

• نبوته •

○ قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ : « فالظاهر في ذكره في القرآن العظيم بالثناء عليه مقرونًا مع هؤلاء السادة الأنبياء أنه نبى ، عليه من ربه الصلاة والسلام ، وهذا هو المشهور » .

○ وفي تأويل الآية الأولى ، وهى قوله : ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٥] .

يقول العلامة السعدى ـ رحمه الله تعالى ـ :

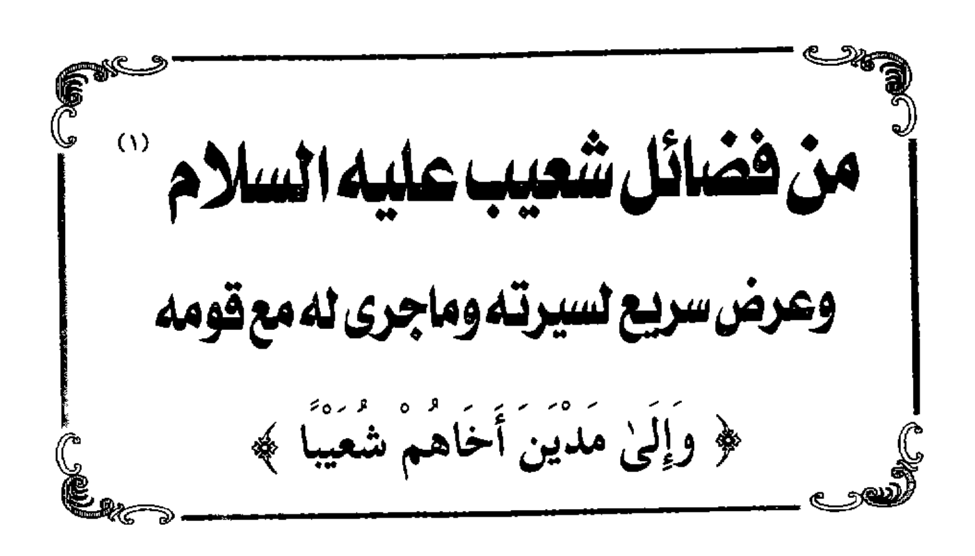
« أى : واذكر عبادنا المصطفين ، وأنبياءنا المرسلين ، بأحسن الذكر ، وأثن عليهم ، أبلغ الثناء ، إسماعيل بن إبراهيم ، وإدريس ، وذا الكفل ، نبيين من أنبياء بنى إسرائيل . كل من هؤلاء المذكورين ، من الصابرين .

ثم قال ـ رحمه الله تعالى بعد ما عرَّف الصبر وبين أنواعه ـ :

« فهؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، قد وصفهم الله بالصبر ، فدلَّ

أنهم وفوها حقها ، وقاموا بها كما ينبغي ، ووصفهم أيضًا بالصلاح ، وهو يشمل صلاح القلب ، بمعرفة الله ومحبته ، والإنابة إليه كل وقت ، وصلاح اللسان بأن يكون رطبًا من ذكر الله ، وصلاح الجوارح ، باشتغالها بطاعة الله وكفها عن المعاصي .

فبصبرهم وصلاحهم ، أدخلهم الله في رحمته ، وجعلهم مع إخوانهم من المرسلين ، وأثابهم الثواب العاجل والآجل . **ولو لم يكن من ثوابهم إلا أن الله تعالى نوَّه بذكرهم في العالمين ، وجعل لهم لسان صدق في الآخرين ، لكفى بذلك شرفًا وفضلاً** » انتهى .



من فضائل شعيب عليه السلام (١)

وعرض سريع لسيرته وماجرى له مع قومه

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾

---

(١) بالنسبة للترتيب الزمنى لنبى الله شعيب ، فمنهم من رأى بأن شعيبًا كان ممن آمن بإبراهيم يوم أحرق بالنار ، وهاجر معه ، ومنهم من قال بأنه صهر موسى يعنون الرجل الصالح الذى زوجه ابنته ، وكل ما ورد في ذلك فضعيف غير ثابت عن النبى ﷺ (١) ، ومنهم من قال : كان شعيب قبل زمان موسى عليه السلام بمدة طويلة ، لأنه قال لقومه : ﴿ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴾ (٢) [هود : ٨٩] ، وقد كان هلاك قوم لوط في زمن الخليل عليه السلام بنص القرآن ، ولكن تعقب هذا القول آخرون فقالوا : إنه قد عاش مدة طويلة حتى أدركه موسى عليه السلام.

ثم قول القائل بأن شعيبًا صهر لموسى ، تُعقب بأنه لو كان كذلك لنص على اسمه في القرآن في المرضع الذى فيه : ﴿ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ [القصص : ٢٣] . =

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : « وما جاء في بعض الأحاديث من التصريح بذكره في قصة موسى لا يصح إسناده » . ا. هـ .

(٢) وقيل : وما قوم لوط منكم ببعيد في المحلة والمكان ، وقيل في الصفات والأفعال المستقبحات من قطع الطريق ونحو ذلك ، وعلى هذا فإن الآية ليست بحجة للقائلين بأنه قبل موسى بزمن طويل !! .

. . . .

= قالوا (١) : فهذا من المقويات لكونه ليس بشعيب ﷺ .

* قال الطبرى ـ رحمه الله تعالى ـ :

«وهذا مما لا يدرك علمه إلا بخبر، ولا خبر بذلك تجب حجته ، فلا قول في ذلك أولى بالصواب مما قاله الله جل ثناؤه » . ا . هـ . يعنى قوله تعالى : ﴿ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ [القصص : ٢٣] .

وهذا وقد رتَّب الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ : في « البداية والنهاية » هذا النبى بعد لوط عليه السلام اقتداء بالقرآن فقال ما نصُّه بعد أن ذكر قوم لوط (٢) ـ : « وأتبعنا ذلك بقصة مدين قوم شعيب عليه السلام ، لأنهما قرينتهما في كتاب الله عز وجل في مو اضع متعددة فذكر تعالى بعد قصة لوط : قصة مدين ، وهم أصحاب الأيكة على الصحيح ، كما قدمنا .

فذكرناها تبعًا لها ، اقتداءً بالقرآن العظيم » . ا . هـ .

(١) وهو الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى .

(٢) عقب باب : « ذكر ذرية إبراهيم عليه الصلاة والسلام » .

○ لم يثبت لدىَّ في شأن نبى الله شعيب ﷺ أى حديث مرفوع إلى رسول الله ﷺ ، وكل ما ورد في شأنه فضعيف [(١)] أو موضوع .

○ وكان بعض السلف يسمى شعيبًا **«خطيب الأنبياء»** ويعنى لفصاحته [(٢)]، وعلوِّ عبارته ، وبلاغته في دعاية قومه إلى الإيمان برسالته ، كما قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى -

○ وقال أبو إسحاق الثعلبى[(٣)] : « وكان يقال له : خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه » .

○ أما حديث : « **ذاك خطيب الأنبياء** » ، فهو مع شهرته ، فهو لا يكاد يصح عن رسول الله ﷺ في شأن شعيب عليه السلام [(٤)] .

---

(١) فمن ذلك ما تداوله كثير من أهل السير والمؤرخين ، وقد عزوْ تصحيحه لابن حبان لكونه أخرجه في صحيحه ، فقد قال الحافظ ابن حجر [(١)] - رحمه الله - : وفي حديث أبي ذر الطويل الذى صححه ابن حبان أنه قال : « أربعة من العرب : هود ، وصالح ، وشعيب ، ونبيك يا أبا ذر » . ا . هـ . وهو حديث ضعيف جدًا . وقد أخرجه ابن حبان في « صحيحه » (٩٤ - موارد) ، وفي « المجروحين » (٣ / ١٣٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١ / ١٦٦) والآجرى في « الأربعين » (١٠٩) من حديث أبي ذر رضى الله عنه ، وقد توسعت في تخريجه في « تحقيق رسالة ابن طولون : إن إبراهيم كان أمه رقم ١٥ » .

(٢) وفي الإشارة إلى فصاحته وبلاغته عليه السلام ، تراجع الآيات من سورة (هود: ٨٤ - ٩٥) فهي واضحة في هذا الصدد .

(٣) « عرائس المجالس » (ص ١٨٧) ، وذُكر هذا القول عن سفيان .

(٤) وراجع النسخة المحققة لـ « قصص الأنبياء للحافظ ابن كثير » (١٩٣ بتحقيق الأخ السيد العربى وفقه الله) .

---

(١) فيما انتخبه من الجزء الخاص بقصص الأنبياء من « البداية والنهاية » (ص ٢٤٦) . بتحقيق الأخ غنيم بن عباس جزاه الله خيرًا .

● بعثه ورسالته ●

○ بعث الله عز وجل عبده ونبيه شعيبًا عليه السلام إلى أهل مدين وهم أصحاب الأيكة (١) ، كما هو رأي جمهور أهل العلم (٢) ، والأيكة الشجر الملتف .

وكان قوم شعيب أهل كفر، وبخس للناس، يطففون المكاييل والموازين، وكان الله قد وسَّع عليهم في الرزق ، وبسط لهم في العيش استدراجًا منه لهم .

فبعث الله فيهم رجلاً منهم ، وهو رسول الله شعيب عليه السلام ، فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، ونهاهم عن تعاطى هذه الأفاعيل

---

(١) قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالي ـ : « ومن زعم من المفسرين كقتادة وغيره : أن أصحاب الأيكة أمة أخرى غير أهل مدين ، فقوله ضعيف . وإنما عمدتهم شيئان :
أحدهما : أنه قال ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ ﴾ [الشعراء : ١٧٦ ـ ١٧٧] .
ولم يقل أخوهم ، كما قال : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ [الأعراف : ٨٥ وهود: ٨٤].
والثانى : أنه ذكر عذابهم بيوم الظلة وذكر في أولئك الرجفة أو الصيحة .
والجواب عن الأول : أنّه لم يذكر الأخوة بعد قوله : ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء : ١٧٦] ، لأنه وصفهم بعبادة الأيكة ، فلا يناسب ذكر الأخوة هاهنا . ولما نسبهم إلى القبيلة ساغ ذكر شعيب بأنه أخوهم . وهذا الفرق من النفائس اللطيفة العزيزة الشريفة .
وأما احتجاجهم بيوم الظلة ، فإن كان دليلاً بمجرده على أن هؤلاء أمة أخرى ، فليكن تعداد الانتقام بالرجفة والصيحة دليلاً على أنهما أمتان أخريان ، وهذا لا يقوله أحد يفهم شيئًا من هذا الشأن » .
(٢) « الفتح » (٦ / ٥١٨) . وراجع كلام الحافظ هناك .

القبيحة ، من بخس الناس أشياءهم ، ومن فسادٍ في الأرض ، وقطعٍ للطريق وللمارة ، فآمن به بعضهم، وكفر أكثرهم ، حتى أحل الله بهم البأس الشديد، وهو الولي الحميد .

○ قال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف : ٨٥] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴾ [هود : ٨٤] .

○ ولما قابلوا دعوته بالتكذيب والاستخفاف والسخرية ، كان عليه السلام يخوفهم من بأس الله وعقابه ، ويأمرهم بطاعته وتقواه [(١)] :

قال تعالى : ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [الشعراء : ١٧٦ ـ ١٧٩] .

وقال : ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ [هود : ٩٠] .

وقال : ﴿ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ ﴾ [الشعراء : ١٨٤] .

وقال : ﴿ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الشعراء : ١٨٨] .

○ وقد كان شعيب عليه السلام قدوة حسنة في سمو خلقه ، ورجاحة

---

(١) « منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله لمحمد سرور » (الجزء الثاني ص ٥٤) بتصرف . وما بعدها أيضًا من كلامه .

عقله ، وعفة نفسه ، وعلو همته ، وصفاء سريرته ، ورباطة جأشه ، فبعد أن دعا قومه إلى وحدانية الله تعالى ، وإلى العدل والمساواة والرحمة ، قال بكل صدق وثقة : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود : ٨٨] .

○ **قال العدوى أثابه الله في** « دعوة الرسل » (ص ١٧٠) :

« يطالب قومه أن يخبروه إن كان على بينة من ربه بالعلم والهداية ، والدين والنبوة ، ورزقه رزقًا حسنًا استغنى به عن أن يسأل الناس أجرًا على هدايتهم وتبليغهم الدين ، ولا يريد أن يخلف قومه إلى ما ينهاهم عنه فيستأثر به دونهم ، وإنما يريد أن يصلح ما استطاع إصلاحه ، ولا يعتمد في إصلاحه إلا على ربه، فهو الذي يوفقه ، ويزيل من بين يديه عقبات الإصلاح ، وهو الذى يَرْجِع إليه . ويَعْتَمِدُ عليه .

يطالب قومه أن يخبروه إن كان على هذه الصفات أيليق بهم أن يقولوا في شأنه ما قالوا ، وأن يتهكموا به ذلك التهكم الشائن ؟ وقد خاطبهم بأسلوب غير القاطع فأتى بـ (إن) ترفقًا بهم ، وكأنه يريد أن أولئك الصفات لا تتفق مع السفه بحال من الأحوال ، فإن الرجل الذى آتاه الله علمًا وهداية ، فكان على بينة من ربه ، ورزقه الرزق الحسن ، فكان يعيش من كسبه وكده ، ولم يطلب من قومه أجرًا على دعوته ، ولا يريد أن يسبقهم إلى شهواتهم التى نهاهم عنها ، من تطفيف الكيل وإخسار الميزان ، وما إلى ذلك، وإنما هو مؤمن بما يدعو إليه ، قدوة صالحة في تمسكه بالفضيلة ، وبعده عن الرذيلة ، وهذه الصفة من أخص صفات الدعاة الصادقين ، . . إلخ

ما قال رحمه الله تعالى » .

○ وهكذا كان نبى الله شعيب ﷺ متحليًا بالصدق والأمانة في جميع أقواله وأفعاله كسائر أنبياء الله ورسله .

○ فأنبياء الله كلهم أمناء صادقين .

○ قال شعيب ﷺ : ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٧٩) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء : ١٧٨ ـ ١٨٠] .

وكذلك أنبياء الله جميعًا ، كما حكاه الله عنهم في كتابه العزيز في سوره. فشعيب ﷺ كان أمينًا صادقًا ، ورغم ذلك فقد أيده الله بمعجزة تدلُّ على صدق نبوته ورسالته كما قال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف : ٨٥] .

ولم يبين لنا جلَّ وعلا نوع هذه المعجزة ، وحسبنا أنها معجزة .

○ قال العدوى أثابَـهُ الله [١] :

« ومن المفسرين من يرى أن هذه المعجزة لشعيب عليه السلام لم تذكر في القرآن كما ذكرت معجزة صالح وهى الناقة . ومعجزة موسى عليهم السلام، والأصل أن كل رسول يؤتيه الله من الآيات ما من شأنه أن يؤمن بمثله البشر .

---

(١) « دعوة الرسل » (ص ١٥٢ ، ١٥٣) ط : دار المعرفة .

روى الشيخان من حديث أبي هريرة أن النبى ﷺ قال : « **ما من الأنبياء نبى إلا وقد أعطى ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذى أوتيت وحيًا أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة** » .

ومنهم من قال : إن البينة كل ما تبيَّن به الحق ، فهى تشمل المعجزات الكونية والبراهين العقلية .

○ ويرجح الأول قوله : ﴿ **فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ** ﴾ إلخ ، فإن عطف الأمر بالفاء لا يصح إلا إذا كان مبنيًا على ما هو سبب له ، وهو البينة على صدقه، ووجوب طاعته ، ولو كان معطوفًا على قوله ﴿ **اعْبُدُوا اللَّهَ** ﴾ لعطف بالواو » . ا . هـ .

○ ومع هذه الآيات والحجج والبراهين ، صمموا على ما هم عليه مشتملون ، وبه متلبسون : ﴿ **وَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ** ﴾ [الأعراف : ٩٠] .

وقال تعالى : ﴿ **قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ** ﴾ [هود : ٩١] .

وقال تعالى : ﴿ **قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ** ﴾ [الأعراف : ٨٨] .

وكانوا قد اتهموه بأبشع التهم : فـ ﴿ **قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ** ﴾ [الشعراء : ١٨٥] .

﴿ وَمَا أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا (١) وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [الشعراء:١٨٦] .

وقالوا : ﴿ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ [هود : ٨٧] .

○ فهكذا كان موقف القوم مع نبى الله شعيب موقف الجاحدين لدعوته، المكذبين لرسالته ، فما كان منهم إلا أن طلبوا منه العذاب ، كما هو حال أهل الكفر في كل زمان ومكان ، فقالوا : ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [الشعراء : ١٨٧] . وهو نظير قول عاد لهود : ﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [الأعراف : ٧٠] ، وقول ثمود لنبى الله صالح : ﴿ يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف :٧٧] .

ويشبه قول كفار قريش لمحمد ﷺ : ﴿ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأنفال : ٣٢] .

حينئذٍ جاء أمر الله بالهلاك والعذاب ، وقد جمع الله عليهم أنواعًا من العقوبات ، وصنوفًا من المثلات ، وأشكالاً من البليات ، وذلك لما اتصفوا به من قبيح الصفات ، سلَّط الله عليهم رجفة شديدة أسكتت الحركات ، وصيحة عظيمة أخمدت الأصوات ، وظلة أرسل عليهم منها شرر النار من سائر أرجائها والجهات .

○ فيتلخص هذا الهلاك في مرات :

○ فمرة كان هذا الهلاك بالرجفة .

○ ومرة كان بالصيحة .

(١) عجبًا لأهل الضلال !! لم يرضوا للرسالة ببشر ، ورضوا للألوهية بحجر .

○ ومرة أخذهم عذاب يوم الظلة .

ولكن الله تعالى أخبر عنهم في كل سورة بما يناسب سياقها ، ويوافق طبقها كما قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ وقال مُضيفًا :

○ ففى سياق قصة الأعراف أرجفوا نبى الله وأصحابه ، وتوعدوهم بالإخراج من قريتهم ، أو ليعودون في ملتهم راجعين . فقال تعالى : ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ [الأعراف : ٩١] .

فقابل الإرجاف بالرجفة ، والإخافة بالخيفة ، وهذا مناسب لهذا السياق ومتعلق بما تقدّمه من السياق .

○ وأما في سورة هود : فذكر أنهم أخذتهم الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين ، وذلك لأنهم قالوا لنبى الله على سبيل التهكم والاستهزاء والتنقص : ﴿ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيد ﴾ [هود : ٨٧] .

فناسب أن يذكر الصيحة التى هى كالزجر عن تعاطى هذا الكلام القبيح، الذى واجهوا به هذا الرسول الكريم الأمين الفصيح فجاءتهم صيحة أسكتتهم مع رجفة أسكنتهم .

○ وأما في سورة الشعراء : فذكر أنه أخذهم عذاب يوم الظلة ، وكان ذلك إجابة لما طلبوا ، وتقريبًا إلى ما إليه رغبوا ، فإنهم : ﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٨٥) وَمَا أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (١٨٦) فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٨٧) قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[الشعراء : ١٨٥ ـ ١٨٨] .

قال الله تعالى ـ وهو السميع العليم ـ : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّة

إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء : ١٨٩] .

○ نجى الله شعيبًا ومن معه من المؤمنين ، كما قال تعالى وهو أصدق القائلين : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾ [هود : ٩٤ ـ ٩٥] .

○ ثم ذكر تعالى أنه أعرض عنهم موليًا عن محلتهم التى يسكنون ، وبلادهم التى يقطنون بعد هلكتهم ، وإنزال العذاب بهم ، ونعاهم إلى أنفسهم موبخًا ومؤنبًا ومقرعًا ، فقال تعالى : ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ [الأعراف : ٩٣] .

أى قد أديت ما كان واجبًا علىَّ من البلاغ التام ، والنصح الكامل ، وحرصت على هدايتكم بكل ما أقدر عليه وأتوصل إليه ، فلم ينفعكم ذلك ، لأن الله لا يهدى من يضل ، وما لهم من ناصرين (١) .

فكيف أحزن على قوم جحدوا وحدانية الله وكذبوا رسوله ، وأتوجع لهلاكهم (٢) .

﴿ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ .

○ وهكذا استفرغ نبى الله شعيب عليه السلام وسعه ، وبذل أقصى ما وهبه الله جل وعلا من جهد وطاقة ، ولم يستجب له إلا نفر قليل من قومه ، ومن سنن الله في خلقه هلاك الكافرين الظالمين إذا كذبوا أنبيائهم ، وأعرضوا

---

(١) « البداية والنهاية » (١ / ١٩٦ دار الحديث) للحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ .

(٢) « تفسير الطبرى عند آية الأعراف : ٩٣ » .

عنهم ، وسخروا منهم .

قال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾ [الكهف : ٥٨] . أي : وقتًا محددًا مقدرًا .

○ وقال تعالى ـ قبلها ـ: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴾ [الكهف : ٥٥] (١) .

(١) « منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله لمحمد سرور بن نايف ص ١١٣ » .

من فضائل موسى عليه السلام [1]

﴿ وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾

﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾

---

(١) وهو ابن عمران . كليم الله عز وجل ، أخوه هارون النبي ، الذي كان وزيرًا له ﷺ ، وسيرة هذا النبي الكريم موسى عليه السلام ، لا تخفى على أحد ، وهي مبسوطة في كتاب الله عز وجل ، كررها الله في كتابه بسياقات مختلفة ، وبأساليب متنوعة ، قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ : « وقد ذكره الله تعالى في مواضع كثيرة متفرقة من القرآن . وذكر قصّتَهُ في مواضع متعددة مبسوطة ، وغير مطولة » .
لذا ؛ فإنا أحيل القارئ الكريم إلى الكتاب العزيز في شرح سيرة نبي الله موسى الكليم صلوات الله وسلامه عليه . وأخص حديثي بما يتعلق بمنن الله عز وجل عليه ، وفضائله، ومعجزاته . فهذا هو أصل تصنيفي لهذا الكتاب الذي هو : « روضة المشتاقين في فضائل ! الأنبياء والمرسلين » . والله الموفق .

• من فضائل موسى عليه السلام •

• بشارة أم موسى
بحفظ الله له من كيد فرعون
وأنه تعالى سيجعله نبيًا رسولاً عليه السلام •

○ قال تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧) فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (٨) وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (٩) وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠) وَقَالَتْ لأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (١١) وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (١٢) فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص : ٧ ـ ١٣] .

• امتنان الله عزوجل
على موسى عليه السلام بهذه المنة •

○ قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ (٣٧) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ (٣٨) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾ [طه : ٣٧ ـ ٣٩] .

● آتاه الله حكمًا

وعلمًا حين بلغ أشده ●

○ قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [القصص : ١٤] .

● من أولى العزم من الرسل●

○ قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ [الأحزاب : ٧] .

● جمع الله له بين الرسالة والنبوة ●

○ قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾ [مريم : ٥١] .

● وجاهته عند ربه عزوجل●

○ قال تعالى : ﴿ وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [الأحزاب : ٦٩] .

● محبة الخلق له عليه السلام ●

○ قال تعالى : ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾ [طه ٣٩] .

● وفاء موسى عليه السلام ●

○ قال الرجل الصالح لموسى ﷺ : ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧) قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٢٨) فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ [القصص : ٢٧ ـ ٢٩] .

○ وعن سعيد بن جبير قال : « سألنى يهودى من أهل الحيرة أى الأجلين قضى موسى ؟ قلت : لا أدرى ، حتى أقدم على حبر العرب فأسأله ، فقدمت فسألت ابن عباس فقال : قضى أكثرهما وأطيبهما ، إن رسول الله ﷺ إذا قال فعل »[1] .

● حياء موسى عليه السلام وتبرئة الله له ●

○ قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [الأحزاب : ٦٩] .

○ وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن

(١) حديث صحيح . أخرجه البخارى في « صحيحه » (٢٦٨٤) وابن أبي شيبة (١١ / ٥٣٣) والطبرى في « تفسيره » (١٠ / ٦٥) عن ابن عباس موقوفًا به .
قال الحافظ : قوله : « إن رسول الله ﷺ إذا قال فعل » المراد برسول الله ﷺ : « من اتصف بذلك ، ولم يرد شخصًا بعينه » .

موسى كان رجلاً حييًا ستيراً ، لا يرى من جلده شيئ استحياء منه [١] ، فآذاه من آذاه من بنى إسرائيل ، فقالوا : ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده ، إما برص ، وإما أدرة [٢] ، وإما آفة ، وإن الله أراد أن يبرأه مما قالوا لموسى ، فخلا يومًا وحده ، فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل ، فلما فرغ أقبل على ثيابه ليأخذها ، وإن الحجر عدا بثوبه [٣] ، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر ، فجعل يقول : ثوبى حجر ، حتى انتهى إلى ملأ من بنى إسرائيل ، فرأوه عريانًا أحسن ما خلق الله ، وبرأه الله مما يقولون ، وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه ، وطفق بالحجر ضربًا بعصاه ، فو الله إن بالحجر لندبًا [٤] من أثر ضربه ثلاثًا أو أربعًا أو خمسًا [٥] . فذلك قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [٦] [الأحزاب : ٦٩] » .

○ وفي « الصحيحين » [٧] من حديث أبي هريرة عن النبى ﷺ قال : «كانت بنوا إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى بعض ، وكان موسى يغتسل وحده ، فقالوا : والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر ، فذهب

---

(١) قال الحافظ ـ رحمه الله ـ : « هذا يشعر بأن اغتسال بنى إسرائيل عراة ، بمحضرٍ منهم، كان جائزًا في شرعهم ، وإنما اغتسل موسى وحده استحياء » .

(٢) أى : انتفاخ الخصية .

(٣) أى : مضى مسرعًا ، وجرى به .

(٤) الندب : هو الأثر .

(٥) قوله : « فو الله إن الحجر لندبًا » إلخ الحديث ، من قول أبى هريرة ، وذلك بيِّن في رواية أخرى في « الصحيح » (٢٧٨) .

(٦) أخرجه البخارى (٣٤٠٤ ، ٤٧٩٩) والترمذى (٣٢٢١) .

(٧) خ (٢٧٨) وم (٣٣٩) (ص ١٨٤١) (٣٣٩) .

مرة يغتسل ، فوضع ثوبه على حجر ، ففر الحجر بثوبه ، فخرج موسى في إثره، يقول : ثوبي يا حجر ، ثوبي يا حجر [١] ، حتى نظرت [٢] بنوا إسرائيل إلى موسى، فقالوا : والله ما بموسى من بأس ، وأخذ ثوبه فطفق بالحجر ، فقال أبو هريرة : والله إنه لندبٌ بالحجرِ ستة أو سبعة ضربًا بالحجر » .

○ وفي « صحيح مسلم » [٣] من حديث أبي هريرة قال : « كان موسى عليه السلام رجلاً حييًا ، قال : فكان لا يرى متجرداً . قال : فقال بنوا إسرائيل: إنه آدر . قال : فاغتسل عند مُوَيّه . فوضع ثوبه على حجر ، فانطلق الحجر يسعى ، واتبعه بعصاه يضربه ، ثوبي حجر ، ثوبي حجر ، حتى وقف على ملأ من بني إسرائيل ، ونزلت : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [الأحزاب : ٦٩] » .

● صبرُه ●

○ أخرج البخاري في « صحيحه » [٤] من حديث عبد الله بن مسعود

---

(١) أي : أعطني ثوبي أو رد ثوبي .
قال الحافظ : « وإنما خاطبهُ لأنه أجراه مجرى من يعقل ، لكونه فرَّ بثوبه فانتقل عنده من حكم الجماد ، إلى حكم الحيوان فناداه ، فلما لم يعطه ضربه .
وقيل : يحتمل أن يكون موسى أراد بضربه إظهار المعجزة بتأثير ضربه فيه ، ويحتمل أن يكون عن وحي » .

(٢) قال الحافظ : « ظاهره أنهم رأوا جسده ، وبه يتم الاستدلال على جواز النظر عند الضرورة لمداواة وشبهها » .

(٣) (ص : ١٨٤٢) .

(٤) (٣٤٠٥) ومسلم (١٠٦٢) وأحمد (١ / ١٨٠ ، ٣٩٥ ، ٤٣٥) وأبو داود (٤٨٦٠ و ٣٨٩٦) ، والترمذي (٣٨٩٧) .

رضى الله عنه قال : « قسم النبى ﷺ قسمًا ، فقال رجل : إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله . فأتيت النبى في وجهه ، ثم قال : يرحم الله موسى ، قد أوذى أكثر من ذلك فصبر » (١) .

• كرمه ﷺ وأمانته •

○ قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ (١٧) أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ [الدخان : ١٧ ـ ١٨] .

• تواضعه •

• صور من تواضعه : رعى الأغنام •

○ عن عبدة بن حزن قال : تفاخر أهل الإبل ، وأهل الشاء ، فقال النبى ﷺ : « بعث موسى وهو راعى الغنم ، وبعث داود وهو راعى الغنم ،

---

(١) قال الشيخ ربيع بن هادي المدخلي في « الحد الفاصل » (١٢٦) :
« لقد اعتبر رسول الله ﷺ نبي الله موسى قمة وقدوة في الصبر ، روى الإمام البخاري رحمه الله ـ ثم أورد حديث الباب ثم قال : « فهذا رسولنا الكريم ﷺ وصف موسى بأنه كان صبورًا حليمًا ، يصبر على الأذى الكثير ويجعل منه أسوة وقدوة في الصبر ، وسيد قطب ! يرميه بأنه عصبي المزاج ، متوتر الأعصاب ، بل النموذج للزعيم المندفع العصبي المزاج ، والله يحكى وصفه بالقوي الأمين ، فغضبه لله ، وأخذه برأس أخيه يجره إليه ، وقوله للسامري : ﴿ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴾ [طه : ٩٧] ، دليل على قوته في دين الله ، لا على عصبية ، وكل ما وصفه الله به أدلة على كرامته ومنزلته عند الله ؛ لا على ما وصفه به سيد قطب ، والله يقول له : ﴿ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي ﴾ [الأعراف : ١٤٤] . . . الخ ما ذكره الشيخ في ذلك » .

وبعثت أنا وأنا أرعى غنمًا لأهلي بأجياد » (١) .

قال الحافظ في « الفتح » (٤ / ٥١٦) :

قال العلماء : « الحكمة في إلهام الأنبياء من رعى الغنم قبل النبوة ، أن يحصل لهم التمرن برعيها على ما يكفلونه من القيام بأمر أمتهم ، ولأن في مخالطتها ما يحصل لهم الحلم والشفقة ، لأنهم إذا صبروا على رعيها وجمعها بعد تفرقها في المرعى ، ونقلها من مسرح إلى مسرح ، ودفع عدوها من سبع وغيره ، كالسارق ، وعلموا اختلاف طباعها ، وشدة تفرقها مع ضعفها . . . فيكون تحملهم لمشقة ذلك أسهل مما لو كلفوا القيام بذلك من أول وهلة لما يحصل لهم من التدريج على ذلك برعى الغنم ، ثم قال :

وفي ذكر النبى ﷺ بذلك بعد أن علم كونه أكرم على الله ما كان عليه من عظيم التواضع لربه ، والتصريح بمنته عليه ، وعلى إخوانه من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى سائر الأنبياء » ا.هـ .

○ وها هو ﷺ لما ورد ماء مدين وجد عليه امرأتين تذودان (٢) ـ أى : تمنعان وتحبسان غنمهما لئلا تختلط بغنم الناس ، فلما رأى موسى ذلك منهما : ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَىٰ

---

(١) رجاله ثقات . أخرجه البخارى في « الأدب المفرد » (٥٨٩) والنسائي في « الكبرى » (٦ / ٣٩٦) والطيالسى في « مسنده » (١٣١١) قال الحافظ في « الفتح » (٦ / ٥٠٦) : « ورجاله إسناده ثقات » .

قلت : ويشهد له ما في « الصحيح » (البخاري : ٢٢٦٢) من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « ما بعث الله نبيًا إلا رعي الغنم . . . » .

(٢) أى : تكفكفان عنهما غنمهما أن تختلط بغنم الناس .

لَهُمَا ﴾ [القصص : ٢٣ ، ٢٤] .

وهذا فيه من التواضع ما فيه .

○ ومن تواضعه ﷺ قوله : ﴿ وَأَخِي هَرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ﴾ [القصص : ٣٤] .

إلى غير ذلك ، فصلوات الله وسلامه عليه من نبى كريم متواضع .

● موسى والخضر عليهما السلام (١) ●

○ أخرج الشيخان من حديث سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس : إن نوفًا البكالى يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى بنى

(١) قال شيخنا أبو عبد الله مصطفى بن العدوى :

اختلف أهل العلم في الخضر هل هو حى إلى الآن أم أنه مات ؟ فذهب النووى وابن الصلاح - ونقلا عن جمهور العلماء - إلى أنه حى وذهب البخارى وإبراهيم الحربى وغيرهم إلى أنه مات .

أما من ذهبوا إلى أنه حى فلم يذكروا شيئًا صحيحًا ثابتًا عن رسول الله ﷺ ، وكل ما ذكروه حكايات مأثورة عن بعض السلف أو أحاديث واهية لا تقوم بها حجة ذكر بعضها الحافظ ابن حجر رحمه الله (فتح البارى ٦ / ٤٣٥) ، وتركز اهتمام من قالوا بحياته على تفنيد أدلة من قال إنه مات .

أما الذين ذهبوا إلى أنه مات فقد استدلوا بجملة أدلة ذكر بعضها الحافظ ابن حجر في فتح البارى (٦ / ٤٣٤) بقوله : وعمدتهم الحديث المشهور (قلت وهو في الصحيح) عن ابن عمر وجابر وغيرهما أن النبى ﷺ قال في آخر حياته : « **لا يبقى على وجه الأرض بعد مائة سنة ممن هو عليها اليوم أحد** » قال ابن عمر أراد بذلك انخرام قرنه .

وأجاب من أثبت حياته بأنه كان حينئذٍ على وجه البحر ، أو هو مخصوص من الحديث كما خص منه إبليس بالاتفاق . =

إسرائيل، إنما هو موسى آخر ، فقال : كذب عدو الله [١] .

حدثنا أُبيٌّ بن كعب عن النبى ﷺ : « أن موسى قام خطيبًا في بني إسرائيل فَسُئلَ أيُّ الناسِ أعلمُ ؟ فقال : أنا فعتب الله عليه إذ لَم يَرُدَّ العلمَ إليه فقال له : بلى عبدٌ بِمجْمع البحرين هوَ أعلمُ منك ، قال : أى رب ومن لي به؟ وربما قال سفيان أيْ ربّ وكيف لي به قال : تأخذ حوتًا [٢] فتجعَلهُ في مكتَل[٣] حيثما فَقدْتَ الحوت فهو ثَمّ [٤] " ـ وربما قال : فهو ثَمَّهْ ، وأخذَ حوتًا فجعلهُ في مِكتَل ثم انطلق هو وفتاه يوشَعْ بن نون حتي إذا أتيا الصخرَةَ وضعا

= ومن حجج من أنكر ذلك قوله تعالى : ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ﴾ وحديث ابن عباس « ما بعث الله نبيا إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه » أخرجه البخارى .

ولم يرد في خبر صحيح أنه جاء إلى النبى ﷺ ولا قاتل معه ، وقد قال ﷺ يوم بدر: « اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض » فلو كان الخضر موجودًا لم يصح هذا النفى ، وقال ﷺ : « رحم الله موسى لوددنا لو كان صبر حتى يقص علينا من خبرها » فلو كان الخضر موجودًا لما حسن هذا التمنى ولا حضره بين يديه وأراه العجائب ، وكان أدعى لإيمان الكفرة ولا سيما أهل الكتاب .

ثم طفق الحافظ يبين ما ورد في وجوده من أحاديث ضعيفة ، ضعفها يغنى عن ذكرها.

« راجع الصحيح المسند من الأحاديث القدسية لشيخنا حفظه الله ص ٢٠٤» .

(١) قال النووى (٥/ ٢٣١) : قوله (كذب عدو الله) قال العلماء : هو على وجه الإغلاظ والزجر عن مثل قوله لا أنه يعتقد أنه عدو الله حقيقة إنما قاله مبالغة في إنكاره قوله لمخالفته قول رسول الله ﷺ ، وكان ذلك في حال غضب ابن عباس لشدة إنكاره وحال الغضب تطلق الألفاظ ، ولا تراد بها حقائقها والله أعلم . وبنحوه قال الحافظ في الفتح (٨ / ٤١٢) .

(٢) في رواية لمسلم : « فقيل له تزود حوتًا مالحًا » قال الحافظ ابن حجر (٨ / ٤١٤) : « ويستفاد من هذه الرواية أن الحوت كان ميتًا لأنه لايملح وهو حى » .

(٣) المكتل : القفة والزنبيل .

(٤) ثم : أى هناك .

رُءوسهما فرقد موسى واضطرب الحوتُ فخرج فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سَرَبا فأمسك الله عن الحوت جريةَ الماء فصار مثل الطاق ـ فقال هكذا مثل الطاق [١] ـ فانطلقا يَمشيان بقيَةَ ليلتهما ويومَهما حتى إذا كان من الغد قال لفتاه : ﴿ آتنا غداءَنا لقدْ لقينا من سفَرِنا هذَا نصبًا ﴾ ولم يجد موسى النَّصب حتى جاوزَ حيث أمرَهُ الله قال له فتاه : أرأيت إذ أوينا إلى الصخرةِ فإني نسيتُ الحوتَ ، وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكرَهُ واتخذ سبيلهُ في البحر عجبًا فكان للحوت سربًا ولهما عجبًا ، فال له موسى : ﴿ ذَلكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فارْتَدَّا علَىٰ آثارِهما قَصصًا ﴾ رجعا يَقُصَّانِ آثارهما ـ حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجل مُسَجًّى [٢] بثوبٍ فسلم موسى فرَّد عليه فقال : « وأنَّى بأرضِكَ السلام[٣]» قال : « أنا موسى » قال : « موسى بنى إسرائيل ؟ » قال : « نعم أتيتُك لتُعَلِّمنى مما عُلِّمتَ رُشدا » . قال : « يا موسى إنى على علمٍ علمنيه الله لا تعلمه ، وأنت على علمٍ من علم الله علَّمكَهَ الله لا أعلمَه » قال : «هل أتَّبعك ؟ » قال : ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ معِي صبْرًا (٦٧) وكَيْفَ تَصْبرُ علَىٰ ما لَمْ تُحطْ بِهِ خُبْرًا ﴾ ، إلى قوله ﴿ إمْرًا ﴾ ، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت بهما سفينة كلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخِضرَ فحملوهم بغير نَولٍ[٤] فلما ركبا في السفينة جاء عُصفور فوقع على حرفِ السفينة فنقر في البحر نقرة أو نقرتين قال لـه الخضر : « يا موسى ما نقص علمى وعلمك من علم الله

(١) الطاق : عقد البناء ، وجمعه : طيقان ، وأطواق ، وهو الأزج ، وما عقد أعلاه من البناء ، وبقي ما تحته خاليًا .
(٢) أى : مغطى .
(٣) أى : من أين السلام في هذه الأرض التى لا يعرف فيها السلام.
(٤) أى بغير أجرة . والنول والنوال : العطاء .

إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر » إذ أخذ الفأسَ فنزع لوحًا قال : فلم يفجأ موسى إلا وقد قلع لوحًا بالقَدُّوم فقال له موسى : « ما صنعت قومٌ حملونا بغير نَول عمدتَ إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئًا إمرا » قال: ﴿ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ [الكهف : ٧٢ ـ ٧٣] ، فكانت الأولى من موسى نِسيانا فلما خرجا من البحر مرُّوا بغلامٍ يلعبُ مع الصبيان فأخذ الخضر برأسه فقلعه هكذا ، ـ وأومأ سفيان بأطراف أصابعه كأنه يقطف شيئًا ـ فقال له موسى : ﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴾ قال : ﴿ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ قال : ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴾ . فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يُضيفوهما فوجدوا فيها جداراً يُريد أن ينقض مائلاً ـ أومأ بيده هكذا وأشار سفيان كأنه يمسح شيئًا إلى فوق فلم أسمع سفيان يذكر « مائلاً » إلا مرة ـ قال : « قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا عمدت إلى حائطهم لو شئت لاتخذت عليه أجرا » .

قال : ﴿ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف : ٧٨] . قال النبي ﷺ : « وددنا أن موسى كان صَبَرَ فقصَّ الله علينا من خبرهما » (١) . قال سفيان قال النبيُّ ﷺ : « يرحم الله موسى لو كان

---

(١) قال النووي ـ رحمه الله تعالى : « وفي هذه القصة أنواع من القواعد ، والأصول ، والفروع ، والآداب ، والنفائس المهمة ، سبق التنبيه على معظمها ، سوى ما هو ظاهر منها ، ومما لم يسبق أنه لا بأس على العالم والفاضل أن يخدمه المفضول ، ويقضى له حاجة ، ولا يكون هذا من أخذ العوض على تعليم العلم والآداب ، بل من مروءات الأصحاب ، وحسن العشرة ، ودليله من هذه القصة : حمل فتاه غداءهما ، وحمل =

صبر يقص الله علينا من أمرهما » وقرأ ابن عباس : وكان أمامهم ملك يأخذ كلَّ سفينةٍ صالحةٍ غَصْبًا . وأما الغلام فكان كافرًا وكان أبواه مؤمنين . ثم قال لي سفيان : سمعته منه مرتين وحفظته منه . قيل لسفيان : حفظته قبل أن تسمعه من عمرو أو تحفظته من إنسان ؟ فقال : ممن أتحفظه ، ورواه أحدٌ عن عمرو وغيرى ؟ سمعته منه مرتين أو ثلاثًا وحفظته منه » (١) .

● تكليم الله

عزوجل لنبيه موسى عليه السلام (٢) ●

○ قال تعالى : ﴿ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي (٣) فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٤] .

= أصحاب السفينة موسى والخضر بغير أجرة لمعرفتهم الخضر بالصلاح . والله أعلم . ومنها الحث على التواضع في علمه وغيره ، وأنه لا يدعى أنه أعلم الناس ، وأنه إذا سئل عن أعلم الناس يقول : الله أعلم ، ومنها بيان أصل عظيم من أصول الإسلام، وهو وجوب التسليم لكل ما جاء به الشرع ، وإن كان بعضه لا تظهر حكمته للعقول ، ولا يفهمه أكثر الناس ، وقد لا يفهمونه كلهم كالقدر ، وموضع الدلالة : قتل الغلام، وخرق السفينة فإن صورتها صورة المنكر ، وكان صحيحًا في نفس الأمر له حكم بينة ، ولكنها لا تظهر للخلق ، فإذا أعلمهم الله تعالى بها علموها ولهذا قال : ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴾ [الكهف : ٨٢] . يعنى : بل بأمر الله تعالى » .

(١) حديث صحيح . أخرجه البخاري (٣٤٠١) ومسلم (رقم : ٢٣٨٠) (٤ / ١٨٤٧) وأبو داود (٤٧٠٧) والترمذى (٣١٤٩) والنسائي في « الكبرى » (٦ / ٣٨٦) وأحمد (١١٨/٥ ، ١١٩ ، . .) وعبد بن حميد (المنتخب ١٩٩) .

(٢) وقد كلَّم الله غيره من الأنبياء كنبينا محمد ﷺ ، لكن موسى عليه السلام نال مزيدًا من ذلك .

(٣) وعليه : فإننا نثبت لله صفة من صفاته العليا ، ألا وهى : « صفة الكلام » فالله يتكلم بكلام يُسمع له صوت وبحرف كما هو مذهب السلف الصالح ـ رحمهم الله ـ.

○ وقال تعالى : ﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾ [مريم: ٥٢].

○ وقال تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء : ١٦٤] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] .

○ أخرج الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ في « صحيحه »(١) من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما فحج آدم وموسى . قال : أنت آدم الذى خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، وأسكنك في جنته ، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلي الأرض ؟ فقال آدم : أنت موسى الذى اصطفاك الله برسالته وبكلامه ، وأعطاك من الألواح فيها تبيان كل شيئ وقربك نجيًا ، فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق ؟ قال موسى : بأربعين عامًا ، قال آدم : فهل وجدت فيها : وعصى آدم ربه فغوى ؟** (٢٠ / ط : ١٢١) **قال : نعم ، قال : أفتلومنى على أن عملت ما كتبه الله علىّ أن أعمله قبل أن يخلقنى بأربعين سنة؟ قال رسول الله ﷺ : « فحج آدم موسى »** .

○ وفي « الصحيحين »(٢) من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ: « **احتج آدم وموسى فقال موسى : أنت آدم الذى أخرجتك خطيئتك من الجنة ، فقال له آدم : أنت موسى الذي اضطفاك الله برسالته ، وبكلامه ، ثم تلومنى على أمر قدِّر علىَّ قبل أن أخلق ؟ فقال رسول الله ﷺ : فحج آدم**

(١) (٢٦٥٢) .
(٢) خ (٣٤٠٩) وم (٢٦٥٢) .

موسى » مرتين .

○ وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « **يجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون : لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا ، فيأتون آدم** ... (وفيه : ائتوا إبراهيم ، فيقول إبراهيم) : **ائتونى موسى الذى كلمه الله** . . . الحديث »(١) .

● سؤالات موسى

عليه السلام لربه عزوجل●

○ عن المغيرة بن شعبة يحدث عن المنبر عن رسول الله ﷺ قال : « **سأل موسى ربه ، ما أدنى أهل النار منزلة ؟ قال : هو رجلٌ يجيء بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة . فيقال له : ادخل الجنة ، فيقول : أى رب ! كيف ؟ وقد نزل الناس منازلهم ، وأخذوا أخذاتهم ؟ فيقال له : أترضى أن يكون لك مثل مُلك ملك من ملوك الدنيا ؟ فيقول : رضيت رب ! فيقول : لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله ، فقال في الخامسة : رضيت رب ! فيقول : هذا لك وعشرة أمثاله . ولك ما اشتهت نفسك . ولذَّتْ عينك ، فيقول : رضيت رب ! قال : رب ، فأعلاهم منزلة ؟ قال : أولئك الذين أردت ، غرست كرامتهم بيدى ، وختمت عليها ، فلم تر عين ، ولم تسمع أذن ، ولم يخطر على قلب بشر ، قال : ومصداقه في كتاب الله عزوجل : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾** »(٢) [٣٢ / السجدة الآية ١٧] .

---

(١) أخرجه البخارى (٦٥٦٥) ومسلم (١٩٣) .

(٢) حديث صحيح . أخرجه مسلم (١٨٩) .

● وحْيُ الله عزَّوجل لنبيه موسى عليه السلام في رجلين قد انتسبا في زمنه ●

أحدهما انتسب إلى أبيه وعشيرته ، والآخر انتسب إلى الإسلام ، فأوحَى الله إلى عبده ونبيه موسى عليه السلام بما ورد في هذا الحديث الآتي .

○ عن أبي كعب قال : انتسب رجلان على عهد رسول الله ﷺ ، فقال أحدهما : أنا فلان ابن فلان ، فمن أنت لا أم لك ؟ فقال رسول الله ﷺ : **انتسب رجلان على عهد موسى عليه السلام ، فقال أحدهما : أنا فلان ابن فلان حتى عدَّ تسعة ، فمن أنت لا أم لك ؟ قال : أنا فلان ابن فلان ابن الإسلام ، قال : فأوحى الله إلى موسى عليه السلام ، إن هذين المنتسبين ، أما أنت أيها المنتمى أو المنتسب إلى تسعة في النار فأنت عاشرهم [١] ، وأما أنت يا هذا المنتسب إلى اثنين في الجنة ، فأنت ثالثهما في الجنة [٢]** » .

---

(١) قوله : « أما أنت أيها المنتمى أو المنتسب إلى تسعة في النار فأنت عاشرهم » .
قال شيخنا أبو عبد الله مصطفي بن العدوى في « الصحيح المسند من الأحاديث القدسية » [١] :
« وهذا منزلق خطير زلَّت فيه أقدام كثير من المسلمين فتسربت إلى قلوبهم أنواع من العصبيات الجاهلية : فمنهم من تعصب لشعبه وبنى جنسه .
ومنهم من تعصب لقبيلته وعشيرته .
ومنهم من تعصب لحزبه وجماعته .
ومنهم من تعصب لأصحاب مهنته وحرفته .
إلى غير ذلك من سائر العصبيات الجاهلية النتنة التى ما أنزل الله بها من سلطان التى فرقت شعوب المسلمين ، وصفوف المسلمين ، وقلوب المسلمين ، وفرقت وحدتهم =

---

(١) (ص ٢١٧ دار الصحابة) .

. . . .

= وجماعتهم ، وشتت شملهم ، وتسببت في قتل سراتهم ، وإشعال الفتن ، وإثارة القلاقل بينهم ، فإلى الله المشتكى ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ، وقد تحققت أحاديث رسول الله ﷺ الواردة في ذلك . ا.هـ المراد .

(٢) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٥ / ١٢٨) وعزاه المزى في « تحفة الأشراف » للنسائى في عمل اليوم والليلة . وعبد بن حميد في (المنتخب ١٧٩) وانظر «الصحيحة» (٣ / ٢٦٥) للشيخ الألباني عليه رحمة الله وله طريق آخر عند أبي داود (٤٧٨٠) وغيره لكنه منقطع ، ففي إسناده ابن أبي ليلى وهو لم يسمع من معاذ .

• معجزات موسى ﷺ •

فقد أظهر الله سبحانه على يديه من الآيات ما يعجز أقوى القوى على ظهر الأرض ، عن الإتيان بمثلها ، فأيده الله من الآيات والمعجزات ما قد تحدى بها قومه ، وأظهره بها عليهم .

قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ (1) [الإسراء : ١٠١] .

وهي العصا ، واليد ، وغيرهما مما هو مذكور في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٣٠) فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣١) وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ(١٣٢) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف : ١٣٠ ـ ١٣٣] .

• تلبية موسى ﷺ •

○ أخرج مسلم في « صحيحه » (2) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن ر سول الله ﷺ مرَّ بوادى الأزرق فقال : «**أى واد هذا ؟ فقالوا : هذا وادى الأزرق ، قال : كأنى أنظر إلى موسى عليه السلام هَابطًا من الثنية ، وله جؤار** (3) **إلي الله بالتلبية** » .

وفي رواية : « **كأني أنظر إلى موسى ﷺ فنعت من طوله وشعره ولونه**

(١) وقد كانت معجزة كل نبي تناسب حال القوم الذين أرسل إليهم ، فلما كان السحر متفشيًا في قوم فرعون ، جاءهم موسى ﷺ بالعصا التى تلقف ما يأفكون ، وغير ذلك مما هو مذكور في الأصل .

(٢) (برقم ١٦٦) وسيأتي في فضائل نبى الله يونس ﷺ .

(٣) الجؤار : الابتهال ورفع الصوت .

واضعًا إصبعين في أذنيه له جؤار إلى الله مارًا بهذا الوادى . . . الحديث » .

● قول النبي ﷺ :

« أنا أولى بموسى منهم » ●

ويعني بذلك صيام يوم عاشوراء حين صامه اليهود ، فصامه وأمر بصيامه :

○ أخرج الشيخان [1] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبى ﷺ : « **لما قدم إلى المدينة وجدهم يصومون يومًا ـ يعنى يوم عاشوراء ، فقالوا : هذا يوم عظيم ، وهو يومٌ نجى الله فيه موسى ، وأغرق آل فرعون ، فصام موسى شكرًا لله ، فقال : أنا أولى بموسى منهم ، فصامه وأمر بصيامه** » .

○ وعن أبي هريرة قال : « مر النبى ﷺ بأناسٍ من اليهود قد صاموا يوم عاشوراء ، فقال : **ما هذا من الصوم** ؟ قالوا : هذا اليوم الذى نجى الله موسى وبنى إسرائيل من الغرق ، وغرق فيه فرعون ، وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجودى ، فصامه نوح وموسى شكرًا لله تعالي ، فقال النبى ﷺ : **أنا أحق بموسى ، وأحق بصوم هذا اليوم ، فأمر أصحابه بالصوم** » [2] .

---

(١) البخاري (٣٣٩٧) وفي مواضع أخرى ، ومسلم (١١٣٠) وأحمد (١/ ٢٩١و٣١٠).

(٢) أخرجه أحمد (٢ / ٣٥٩) . وإسناده ضعيف ، وتشهد له رواية الصحيحين التي مضت ـ دون قصة نوح عليه السلام ـ ففيها غرابة ، والله أعلم .

• تعلُّق موسى عليه السلام بقائمة من قوائم العرش يوم القيامة •

○ عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إنى أول من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة ، فإذا موسى متعلق بالعرش ، فلا أدرى أكذلك كان ، أم بعد النفخة** » (١) .

○ وأخرج البخاري ومسلم (٢) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال: « **استب رجل من المسلمين ، ورجل من اليهود ، فقال المسلم : والذى اصطفي محمداً ﷺ على العالمين ـ في قسم يقسم به ـ فقال اليهودى : والذى اصطفي موسى على العالمين . فرفع المسلم عند ذلك يده فلطم اليهودى ، فذهب اليهودى إلى النبى ﷺ ، فأخبره الذى كان من أمره ، وأمر المسلم ، فقال : « لا تخيرونى على موسى ، فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق ، فإذا موسى باطش (٣) بجانب العرش ، فلا أدرى أكان فيمن صعق (٤) ، فأفاق قبلي ، أو كان ممن استثنى الله** » (٥) .

---

(١) أخرجه البخارى (٤٨١٣) .

(٢) خ (٣٤٠٨) و (م رقم : ١٦٠) (ص : ١٨٤٤) .

(٣) البطش : الأخذ بقوة ، وآخذ بجانب من العرش أى بشئ من العرش بقوة .

(٤) قال النووى ـ رحمه الله (شرح مسلم ١٥ / ١٣٠) : « الصعق والصعقة : الهلاك والموت ، ويقال منه : صعق الإنسان ، وصُعِق بفتح الصاد وضمها ، وأنكر بعضهم الضم . . » .

(٥) قال الطحاوى في « المشكل » (٣ / ٥٤) : يعنى بذلك استثنى الله عزوجل بقوله : ﴿ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ﴾ [الزمر : ٦٨] .

○ وفي رواية أبي سعيد الخدرى عند الشيخين (١) أيضًا : « **لا تخيرونى من بين الأنبياء ، فإن الناس يصعقون يوم القيامة ، فأكون أول من يفيق ، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش ، فلا أدرى ، أفاق قبلى ، أم جوزى بصعقة الطور** » .

● وفاة موسى ●

وقد طلب من ربه سبحانه أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر ، ليدفن فيها .

○ ففي الصحيحين (٢) (البخارى ومسلم واللفظ له) من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « **جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام ، فقال له : أجب ربك ، قال : فلطم موسي عليه السلام عين ملك الموْت ففقأها، قال : فرجع الملك إلى الله تعالي ، فقال : أرسلتنى إلى عبد لك لا يريد الموت ، وقد فقأ عينى ، قال : فردَّ الله إليه عينه ، وقال : ارجع إليَّ عبدى فقل : ألحياة تريد؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن (٣) ثور فما توارت يدك (٤) من شعره ، فإنك تعيش بها سنة ، قال : ثم مَهْ ؟ قال : ثم تموت ، قال : فالآن من قريب ربِّ أمتنى من الأرض المقدسة رمية بحجر** (٥) ، **قال رسول الله ﷺ : والله**

(١) (خ ٤٦٣٨) و (م ٢٣٧٤) .
(٢) البخارى (٣٤٠٧) ، (١٣٣٩) ومسلم (٢٣٧٢) (ص ١٨٤٣) والنسائي (٤ / ١١٨) وأحمد (٢ / ٢٦٩) وابن حبان كما في « الإحسان » (٦٢٢٣) .
(٣) متن ثور أى جلد ثور .
(٤) فما توارت يدك أى ما غطت يدك .
(٥) قال الحافظ في (الفتح ٣ / ٢٠٧) أى : قدر رمية حجر أى ادننى من مكان إلى الأرض المقدسة هذا القدر أو ادننى إليها حتى يكون بينى وبينها هذا القدر ، وهذا الثانى أظهر وعليه شرح ابن بطال وغيره .

لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر »[1] .

● فصل في حديث موسى مع ملك الموت ●

○ قال أبو القاسم الأصبهانى في « الحجة في بيان المحجة » (٢ / ٤٠٨):
« وهذا حديث أهل الحفظ بصحته ، وحمله أهل السنة على ظاهره ، وأن ذلك الفعل كان من موسى عليه السلام على الحقيقة » .

○ وقال أبو حاتم ابن حبان ـ رحمه الله ـ كما في « الإحسان » (١٤ / ١١٤ـ ١١٦) : إن الله عز وعلا بعث رسول الله ﷺ معلما لخلقه ، فأنزله موضع الإبانة عن مراده ، فبلغ ﷺ رسالته ، وبين عن آياته بألفاظ مجملة ومفسرة ، عقلها عنه أصحابه أو بعضهم ، وهذا الخبر من الأخبار التى يدرك معناه من لم يحرم التوفيق لإصابة الحق .

وذاك أن الله جل وعلا أرسل ملك الموت إلى موسى رسالة ابتلاء واختبار ، وأمره أن يقول له : أجب ربك ، أمر باختبار وابتلاء ، لا أمرًا يريد الله جل وعلا إمضاءه كما أمر خليله صلى الله على نبينا وعليه بذبح ابنه أمر اختبار وابتلاء دون الأمر الذى أراد الله جل وعلا إمضاءه ، فلما عزم على ذبح ابنه ، وتله للجبين ، فداه بالذبح العظيم .

وقد بعث الله جل وعلا الملائكة إلى رسله في صور لا يعرفونها كدخول

---

(١) قال في « اللسان » (٣٨٢٦) : « والكثيب من الرمل : القطعة تنقاد مُحْدَوْدَبة ، وقيل: هو ما اجتمع واحدْودَب ، والجمع أكثبة ، وكثب وكثبان ، مشتق من ذلك ، وهى تلال الرمل ، وفي التنزيل العزيز : ﴿ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً ﴾ [المزمل : ١٤]. قال الفراء: الكثيب الرمل ، والمهيل: الذى تحركً أسفله ، فينهال عليك من أعلاه » .

الملائكة على رسوله إبراهيم ولم يعرفهم ، حتى أوجس منهم خيفة ، وكمجئ جبريل إلى رسول الله ﷺ وسؤاله إياه عن الإيمان والإسلام فلم يعرفه المصطفي ﷺ حتى ولى .

فكان مجئ ملك الموت إلى موسى على غير الصورة التي كان يعرفه موسى عليه السلام عليها ، وكان موسى غيوراً فرأى في داره رجلاً لم يعرفه، فشال يده فلطمه فأتت لطمته على فقء عينه في الصورة التى يتصور بها ، لا الصورة التى خلقه الله عليها ، ولما كان المصرح عن نبينا ﷺ في خبر ابن عباس ، حيث قال : « أمنى جبريل عند البيت مرتين » فذكر الخبر، وقال في آخره : « هذا وقتك ووقت الأنبياء قبلك[1] كذا في هذا الخبر البين الواضح أن بعض شرائعنا قد تتفق ببعض شرائع من قبلنا من الأمم .

ولما كان من شريعتنا أن من فقأ عين الداخل داره بغير إذنه ، أو الناظر إلى بيته بغير أمره من غير جناح على فاعله ، ولا حرج على مرتكبه ، للأخبار الجمة الواردة فيه التي أمليناها في غير موضع من كتبنا [2] ـ كان جائزًا اتفاق هذه الشريعة بشريعة موسى بإسقاط الحرج عمن فقأ عين الداخل داره بغير إذنه ، فكان استعمال موسى ها الفعل مباحًا له ، ولا حرج عليه في فعله .

فلما رجع ملك الموت إلى ربه ، وأخبره بما كان من موسى فيه ، أمره ثانيًا بأمر آخر ، أمر اختبار وابتلاء كما ذكرنا قبل ، إذ قال الله له : قل له :

(١) انظر : « يواقيت الفلاة في مواقيت الصلاة » (٣٠) فقد حسنه شيخنا هناك بمجموع طرقه .

(٢) انظر : (صحيح البخارى ٦٩٠٠ ـ ٦٩٠٢) ، ومسلم (٢١٥٨) .

إن شئت ، فضع يدك علي متن ثور ، فلك بكل ما غطت يدك بكل شعرة سنة فلما علم موسى ـ كليم الله ـ صلى الله على نبينا وعليه أنه ملك الموت ، وأنه جاءه بالرسالة من عند الله ، طابت نفسه بالموت ، ولم يستمهل ، وقال: فالآن .

فلو كانت المرة الأولى عرفه موسى أنه ملك الموت ، لاستعمل ما استعمل في المرة الأخرى عند تيقنه وعلمه به ، ضد قول من زعم أن أصحاب الحديث حمالة الحطب ، ورعاة الليل ، يجمعون ما لا ينتفعون به ، ويروون ما لا يؤجرون عليه ، ويقولون بما يبطله الإسلام ، جهلاً منه لمعاني الأخبار ، وترك التفقه في الآثار ، معتمداً منه على رأيه المنكوس ، وقياسه المعكوس [(١)] .

---

(١) انظر في ذلك جملة أبحاث : في « الفتح » (٦ / ٥١٠) ، « وشرح مسلم للنووى » (١٥ / ١٢٨) ، و« شرح السنة للبغوى » (٥ / ٢٦٦) .

وقد قال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على « المسند » (عقب حديث رقم ٨٦٠١):

«ولا يعترض على هذا الحديث ، بما أورده البعض من شبه ، فإن الإجابة عليها واضحة:

أولاً : لو قيل إن فقأ العين ظلم ، فكيف يقع من نبى ؟

نجيب : بأن موسى ما كان ليعلم أنه ملك الموت ، وأن الله بعثه إليه ، بل حسب أنه إنس ، كما حسب إبراهيم ولوط الملائكة الذين جاؤهما أناس ، فكان دفاعه عن نفسه أمرًا واجبًا ، وربما حسب أن الملك ليس ملزمًا بقبض روحه فطلب الإمهال ، ولعله لا يقصد فقأ العين ، كما حدث مع القبطى الذى قتله عندما أراد تخليص الإسرائيلى منه ، فكانت الضربة القاضية عليه .

ثم لا مانع أن يكون إرسال الملك ليتوفاه ، ليس على الإلزام ، فقد ورد في الصحيح أن الأنبياء لا يموتون حتى يخيروا بين الموت والحياه ، فإن الملك كان على أن الموت في تلك الساعة غير واجب ، ولذا لم يسارع بتوفيه » . ا . هـ .

• رؤيةُ النبي ﷺ له وهو يصلي في قبره عند الكثيب الأحمر•

○ عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « **مررت على موسى ليلة أسرى بي عند الكثيب الأحمر ، وهو قائم يصلي في قبره** »(1) .

• صفته ﷺ •

○ أخرج البخاري ومسلم (2) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « **رأيت ليلة أسري بي موسى رجلاً آدم طوالاً كأنه من رجال شنوءة ...** » الحديث .

○ وأخرج مسلم (3) من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ ، وفيه : « **وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء ، فإذا موسى قائم يصلي ، فإذا رجل ضرب (*) جعد (**) كأنه من رجال شنوءة ... الحديث** » . . شنوءة حي

---

(1) أخرجه مسلم (٢٣٧٥) ، وأحمد (٣ / ١٢٠ ، ١٤٨) ، والنسائي (٣ / ٢١٥ ، ٢١٦) وفي « الكبرى » (١٢٣٧ ، ١٢٣٨) وأبو يعلى (٢٣٢٥) وابن حبان كما في « الموارد » (١ / ٢٤٢) .

(2) (برقم : ٣٢٣٩) ومسلم (١٦٥) (ص ١٥١) وسيأتي في صفة عيسى ﷺ .

(3) (١٧٢) وهو في الصحيحين بسياقٍ آخر . (البخاري ٣٣٩٤ ومسلم ١٦٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

(*) أي : نحيف . وتؤيدها رواية : « كأنه من رجال الزط » .

(**) وفي رواية في « الصحيح » (٣٤٣٨) : « وأما موسى فآدم جسم سبط » . قال الحافظ : « أي ليس بجعد ، وهذا نعت لشعر رأسه » . وقوله : « جسيم » كيف يجمع بينه وبين قوله : « ضرب من الرجال » يعني : خفيف اللحم ؟ وأجاب الحافظ بأنه لا مانع أن يكون مع كونه خفيف اللحم . جسيمًا بالنسبه لطوله . «فتح٦/ ٥٥٩».

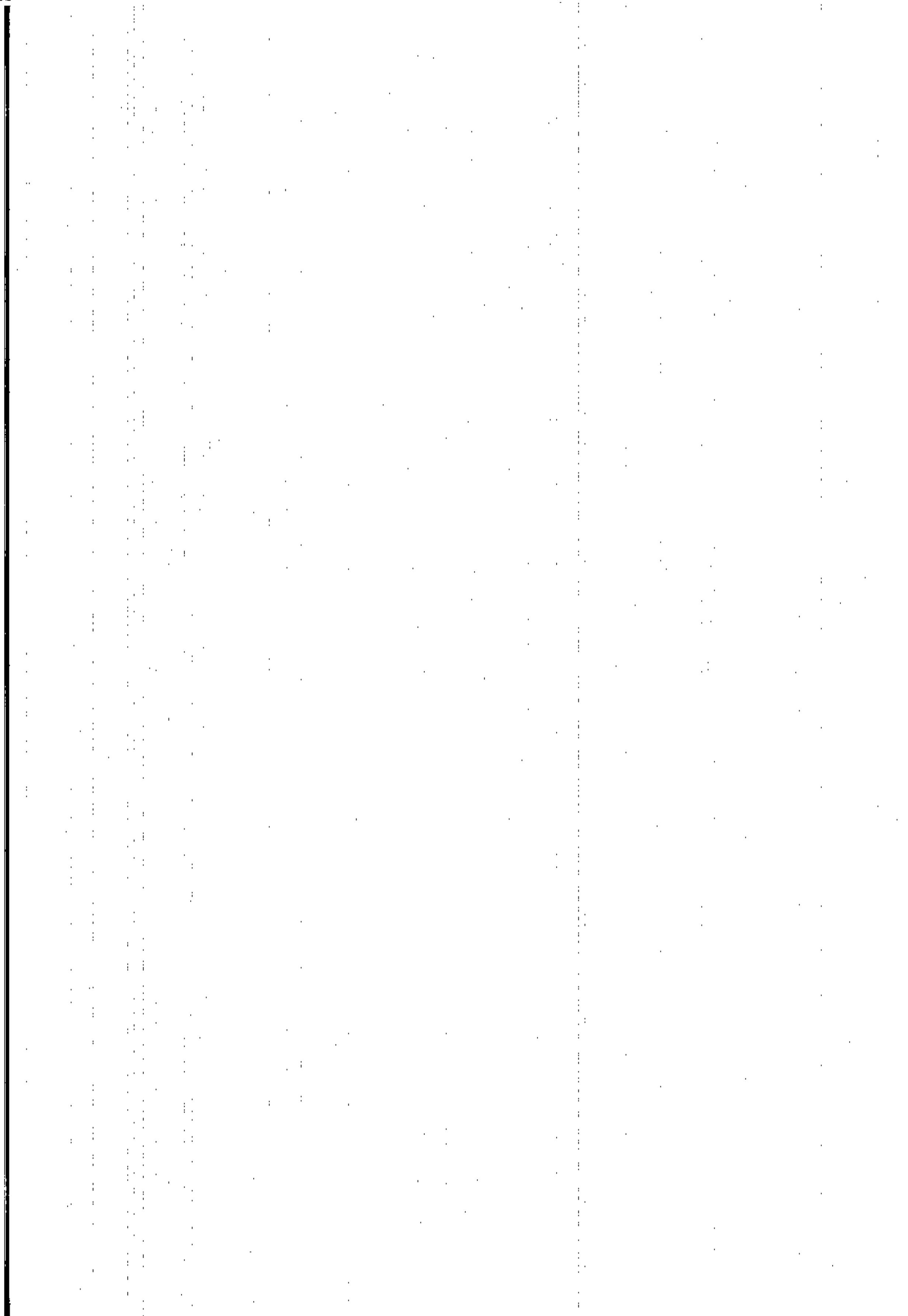
من اليمن ، قاله الحافظ .

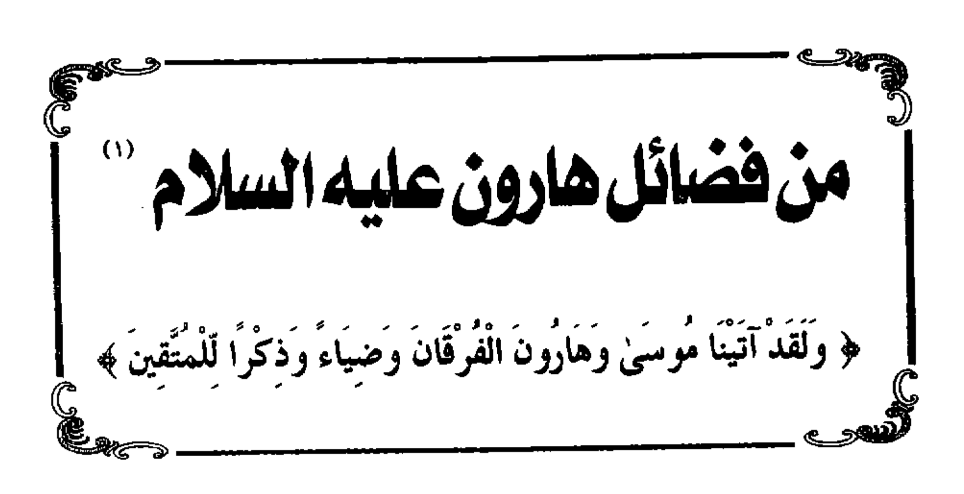
وفي الصحيحين [١] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « ... **وأما موسى فجعد آدم على جمل أحمر مخطوم بخلبة ، كأني أنظر إليه انحدر في الوادي** » .

○ وأخرج أحمد [٢] بإسنادٍ صحيح من حديث ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ (فذكر الحديث وفيه) : « **ورأيت موسى أسحم** [٣] **آدم كثير الشعر . شديد الخلْق** » .

○ **وأما جسده عليه السلام ، فهو أحسن ما خلق الله عز وجل** [٤] كما ورد في سياق حديث : « **إن موسى كان رجلاً حيياً ستيراً ... وكانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة** .. الحديث بطوله وفيه : **فرأوه عريانًا أحسن ما خلق الله** » . وقد سبق في باب حياء موسى ﷺ .

(١) سبق في باب صفة إبراهيم ﷺ .
(٢) سبق في باب صفة إبراهيم ﷺ .
(٣) أسحم : أي أسود .
(٤) كما ورد في روايةٍ بلفظ : « كأحسن الرجال خلقًا » .





(١) وهارون هو نبى وأخوه نبى وهو الكليم موسى ـ ابنا عمران عليهما الصلاة والسلام ـ ، أثنى الله سبحانه وتعالى عليه في كتابه ، وذكره في جملة من ذكره من الأنبياء ، وأنه كان نبيًا مرسلاً مع أخيه موسى عليهما السلام ، وكيف كان بينهما من ترابط وقوة مؤازرة وصلة في مجال الدعوة إلى الله ، فبين الله كيف كان الجهد الذى بذلاه في مواجهة أعدى الأعداء وهو فرعون الطاغية ، وقومه المسرفين ، فكانت النصرة والغلبة لهما والهلكة لأعدائه تعالى ؛ والعاقبة للتقوى فصلوات الله عليه وعلى أخيه الكليم موسى وعلي جميع أنبيائه وسلم .

تنبيه : نقل غير واحد من المؤرخين أن هارون توفي قبل أخيه موسى ، ومنهم الحافظ ابن كثير رحمه الله قال: «فالذى عليه الجمهور أن هارون توفى بالتيه قبل موسى أخيه بنحو من سنتين ، وبعده موسى في التيه أيضًا كما قدمنا ، وأنه سأل ربه أن يقربه إلى بيت المقدس فأجيب إلى ذلك » . ا . هـ .

قلت : وليس معنا دليل من كتاب أو سنة صحيحة عن رسول الله ﷺ يفيد ما ذكر ، فنتوقف إلي حين يأتينا الدليل ، وإن كان الحافظ ابن كثير قد نقل ذلك عن الجمهور والله أعلم .

● بعثته ﷺ ●

فقد كان هارون مبعوثًا من قبل الله عزوجل كأخيه موسى ﷺ ، وهو من الأنبياء المنصوص على نبوتهم ، وعلى الإيحاء إليهم ، وأنه كان نبيًا مرسلاً ﷺ (١) .

○ قال تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴾ [مريم : ٥٣] .

وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴾ [المؤمنون : ٤٥ ـ ٤٦] .

○ وقال الله تعالى لموسى وهارون : ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ [طه : ٤٣ ، ٤٧ ـ ٤٨] .

وقال تعالى : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس : ٨٧] .

وقد أثنى عليه ربه سبحانه ، وذكره مع عدد من أنبيائه ، فقال تعالى ـ حاكيًا عن إبراهيم ـ : ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن

(١) وهذا من فضل الله عز وجل ، ثم من فضل أخيه موسى عليه السلام عليه ، إذ قد دعا له عليه السلام أن يكون مساعدًا له ، ووزيرًا كذلك ، كما حكى الله ذلك في كتابه .
وكما قال بعض العلماء : إن هذه أفضل دعوة دعاها أخ لأخيه .

يَكفُرْ بها هؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بكَافِرِين (٨٩) أُولَئِكَ الَّذِينَ هدى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام : ٨٤ ، ٨٩ ـ ٩٠] .

● رسالته إلى فرعون مع أخيه موسى عليهما السلام ●

فقد أرسلا إلى فرعون وقومه بالحجة والبرهان ، ودعوته إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، إذ هي دعوة المرسلين أجمعين .

○ قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٤٥) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ (٤٦) فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ (٤٧) فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴾ [المؤمنون : ٤٥ ـ ٤٨] .

وقال الله لنبيه موسى ﷺ : ﴿ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلا تَنِيَا [1] فِي ذِكْرِي (٤٢) اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (٤٤) قَالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ (٤٥) قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ (٤٦) فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ (٤٧) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ [طه : ٤٢ ـ ٤٨] .

---

(١) أي لا تفترا في ذكرى إذا قدمتما عليه ، ووفدتما عليه ، فإن ذلك عون لكما على مخاطبته ومحاربته ، وأداء النصيحة إليه ، وإقامة الحجة عليه . قاله الحافظ ابن كثير .

● مؤازرة هارون لأخيه موسى في مجال الدعوة ●

فلم يكن ثمَّ شقاق ، ولا اختلاف بينهما ، بل كان كلٌّ منهما معينًا للآخر ومساعدًا له في أداء الرسالة ، وقد جعله الله تعالى وزيرًا لموسى عليهما الصلاة والسلام .

○ قال موسى ﷺ : ﴿ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا (٣٥) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴾ [طه : ٢٩ ـ ٣٦] .

○ وقال أيضًا ﷺ : ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ (٣٤) قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾ [القصص : ٣٣ ـ ٣٥] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴾ [الفرقان : ٣٥] .

○ وفي « الصحيحين » (١) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لعلي : « **أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي** » .

---

(١) البخاري (حديث ٤٤١٦) ومسلم (٢٤٠٤) وهذا لفظه .

● شهادة الله لهارون بالبلاغ (١) ●

○ قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴾ [طه : ٩٠] .

أى : إنما فتنتم بالعجل ، وقد جعل لكم فتنة واختباراً .

● دعاء موسى وتأمين هارون (٢) ●

○ قال تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ (٨٨) قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [يونس : ٨٨ ، ٨٩] .

---

(١) وذلك لما نهاهم وزجرهم وحذرهم من عبادة العجل ، فلم يطيعوه ولم يتبعوه ، فأقبل موسى على أخيه هارون عليهما السلام قائلاً له : ﴿ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٢) أَلاَّ تَتَّبِعَنِ ﴾ [طه : ٩٢ ـ ٩٣] . أى هلا لما رأيت ما صنعوا اتبعتنى فأعلمتني بما فعلوا . ﴿ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴾ [طه : ٩٣] . وأقبل يجره من رأسه ولحيته .
كما قال تعالى : ﴿ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ﴾ [الأعراف : ١٥٠] .
وكما قال تعالى : ﴿ قَالَ يَا بْنَؤُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي ﴾ [طه : ٩٤] . فأبان هارون عذره في ذلك بعد إبلاغه وتحذيره إياهم حيث قال : ﴿ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأعراف : ١٥٠] ، وقال : ﴿ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ [طه : ٩٤] ، فنهاهم هارون عليه السلام عن هذا الصنيع وزجرهم عنه أيما زجر ، ولكن كان حال القوم الإباء والرفض والعناد ، حينئذ قال موسى عليه السلام : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [الأعراف : ١٥١] .

(٢) قال الترمذى الحكيم في (نوادر الأصول) :
حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا رزين مؤذن مسجد =

. . . .

= هشام بن حسان ، قال : حدثنا أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله أعطى أمتى ثلاثًا لم تُعط أحدًا قبلهم السلام ، وهو تحية أهل الجنة ، وصفوف الملائكة، وآمين ، إلا ما كان من موسى وهارون » . رزين الصواب زربى كما في رواية ابن خزيمة .

نقلنا هذا السند والمتن من القرطبى في تفسير سورة الفاتحة الباب الثالث .

وأخرجه ابن خزيمة في « صحيحه ١٥٨٦ » : قال حدثنا محمد بن معمر القيسى ، قال حدثنا أبو عامر . ح ، وحدثنا محمد بن معمر أيضًا قال : حدثنا حرمى بن عمارة عن زربى ، مولى لآل المهلب ، قال سمعت أنس بن مالك يقول : « كنا عند النبى ﷺ جلوسًا ، فقال : إن الله أعطانى خصالاً ثلاثًا . . . . وأعطانى التأمين ، ولم يعطه أحدًا من النبيين قبل، إلا أن يكون الله أعطى هارون ، يدعو موسى ، ويؤمن هارون».

والحديث ضعيف ، ففى سنده زربى ، وهو ابن عبد الله الأزدى إمام مسجد هشام بن حسان قال فيه البخارى : فيه نظر ، وقال ابن عدى : أحاديثه بعض متونها منكرة ، وقال الحافظ : ضعيف .

قلت (محمد) : وقد توبع من أوفى كما عند الترمذى الحكيم في المنهيات (صـ ٢٣١) باب الانحناء أو السجود لغير الله ، وهذا هو السند : حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد حدثنا أبي حدثنا أوفى عن أنس قال قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى أعطانى ثلاث خصال . . . . وذكره » . واظن أن (أوفي) صحفت والصحيح (زربى) والله أعلم .

قال القرطبى في « تفسير سورة الفاتحة ـ الباب الثالث » (١ / ٩١ ، ٩٢ دار الكتب العلمية) : كلمة آمين لم تكن قبلنا إلا لموسى وهارون عليهما السلام . ذكر الترمذى الحكيم ثم ذكره وقال : قال أبو عبد الله : معناه أن موسى دعا على فرعون ، وأمن هارون ، فقال الله تبارك اسمه عندما ذكر دعاء موسى في تنزيله : ﴿ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ [يونس: ٨٩] . ولم يذكر مقالة هارون ، وقال موسى : ربنا ، فكان من هارون التأمين فسماه داعيًا في تنزيله ، إذ صير ذلك منه دعوة ، وقد قيل : إن آمين خاص لهذه الأمة ، لما روى عن النبى ﷺ أنه قال : « **ما حسدتكم اليهود على شئ ، ما حسدتكم علي السلام والتأمين** » أخرجه ابن ماجه من حديث حماد بن سلمة عن سهيل ابن أبى صالح عن أبيه عن عائشة أن النبى ﷺ قال . . . . ؛ الحديث . =

● ومن فضائله

بقاؤه في إحدى السموات ●

فقد رآه رسولنا محمد ﷺ في ليلة الإسراء في السماء الخامسة .

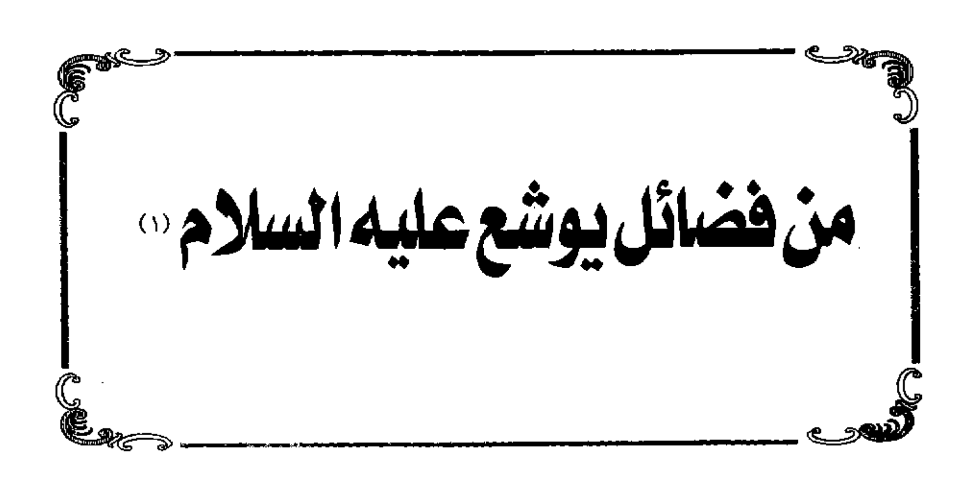
○ ففي صحيح البخارى (١) من حديث أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة : أن رسول الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسرى به : « **حتى أتى السماء الخامسة ، فإذا هارون ، قال : هذا هارون فسلِّم عليه ، فسلمت عليه ، فردّ ، ثم قال : مرحبًا بالأخ الصالح ، والنبى الصالح** » .

= وأخرج أيضًا من حديث ابن عباس عن النبى ﷺ قال : « **ما حسدتكم اليهود على شئ ما حسدتكم على آمين ، فأكثروا من قول آمين** » .

قال علماؤنا ـ رحمة الله عليهم : إنما حسدنا أهل الكتاب لأن أولّها حمد الله ، وثناءٌ عليه ، ثم خضوع له واستكانة ، ثم دعاء لنا بالهداية إلى الصراط المستقيم ، ثم الدعاء عليهم مع قولنا آمين . ا . هـ .

قلت ـ (محمد) ـ : قوله تعالى : ﴿ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا ﴾ [يونس : ٨٩] ، من خطاب الواحد بلفظ الاثنين ، فالخطاب من الله لموسى وحده ، لأنه الداعى ، كقوله تعالى : ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ ﴾ [ق : ٢٤] ، والخطاب لمالك خازن النار ، وقيل : لخزنة النار والزبانية ، فيكون من خطاب الجميع بلفظ الاثنين ، وقيل : للملكين الموكلين في قوله: ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ [ق : ٢١] فيكون على الأصل. فقوله ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا ﴾ خطاب لموسى وحده ، وقيل : لهما ، لأن هارون أمَّن على دعائه والمؤمن أحد الداعيْين » [الإتقان ٣/ ٩٠ للسيوطي ـ رحمه الله ـ دار الفكر] .

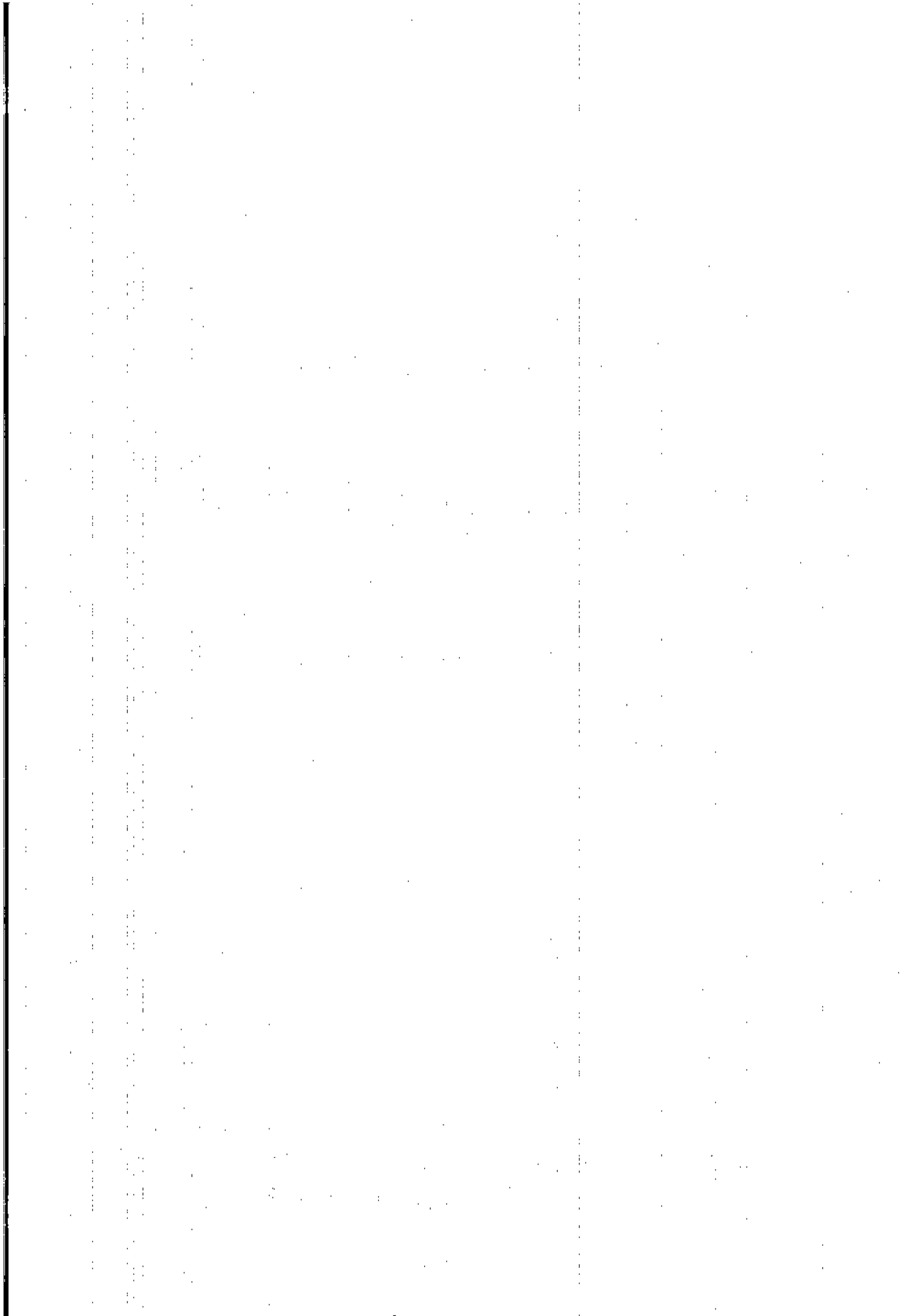
(١) (حديث : ٣٣٩٣) .



من فضائل يوشع عليه السلام (١)

---

(١) وهو من الأنبياء الذين لم يُنص عليهم في الكتاب العزيز باسمه ، ولكنه مذكور مُصرَّح باسمه في السنة الصحيحة .كما سيأتي إن شاء الله .



● من فضائل

نبى الله يوشع عليه السلام[1] ●

وهو يوشع بن نون[2] ، وهو المذكور في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف : ٦٠ ـ ٦٥] .

وهذه الآيات فيها منقبة عظمى لنبى الله يوشع عليه السلام ، إذ كان مصاحبًا لنبى الله موسى ﷺ ـ وهو من أولى العزم من الرسل ـ ، فكان معاونًا ومرافقًا له في أسفاره ، فصلوات الله عليهما وعلى جميع رسله وعلى نبينا وسلم .

وقد ورد في السنة شيء من معجزات هذا النبى الكريم ، فمن ذلك :

---

(١) وقد كان مصاحبًا لنبى الله موسى عليه السلام في رحلته للخضر .

(٢) كما صرَّحت بذلك رواية الصحيحين في قصة موسى مع الخضر ، وقد سبق ذكرها بطولها . وانظر : (« صحيح البخاري » حديث ٣٤٠١) .

● تأخر الشمس عن وقت الغروب إجابة من الله له بعد أن قام بدعائه ●

○ ففي « مسند أحمد » و « الطحاوى في المشكل » وغيرهما [(١)] من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الشمس لم تحبس على بشر إلا ليوشع ليالى سار إلى بيت المقدس** » .

وقد ورد هذا الحديث في سياق أتم من هذا ، فقد أخرج البخارى ومسلم في « صحيحيهما » [(٢)] من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ : « **غزا نبى من الأنبياء ، فقال لقومه : لا يتبعنى رجل ملَكَ بضع امرأة ، وهو يريد أن يبنى بها ، ولما يبن بها ، ولا أحد بنى بيوتًا ، ولم يرفع سقوفها ، ولا أحد اشترى غنمًا أو خلفات ، وهو ينتظر ولادها ، فغزا ، فدنا من القرية صلاة العصر أو قريبًا من ذلك ، فقال للشمس : إنك مأمورة وأنا مأمور ، اللهم احبسها علينا ، فحبست حتى فتح الله عليه** [(٣)] ، **فجمع الغنائم**

---

(١) حديث حسن . وأخرجه أحمد (٢ / ٣٢٥) والطحاوى في « المشكل » (٢ / ١٠) ويعقوب بن سفيان في « المعرفة والتاريخ » (٢ / ١٧٢) من طريق : أبي بكر - وهو ابن عياش - عن هشام بن حسان عن ابن سيرين به .
قلت : إسناده حسن ، من أجل أبي بكر ابن عياش ، وفيه كلام لا ينزل عن رتبة الحسن ، وقد قال الحافظ في « الفتح » (٦ / ٢٥٥) : « رجال إسناده محتج بهم في الصحيح » .

(٢) خ (٣١٢٤) وم (١٧٤٧) .

(٣) قال الحافظ في « الفتح » (٦ / ٢٥٥) : « وقد اشتهر حبس الشمس ليوشع حتى قال أبو تمام في قصيدة :

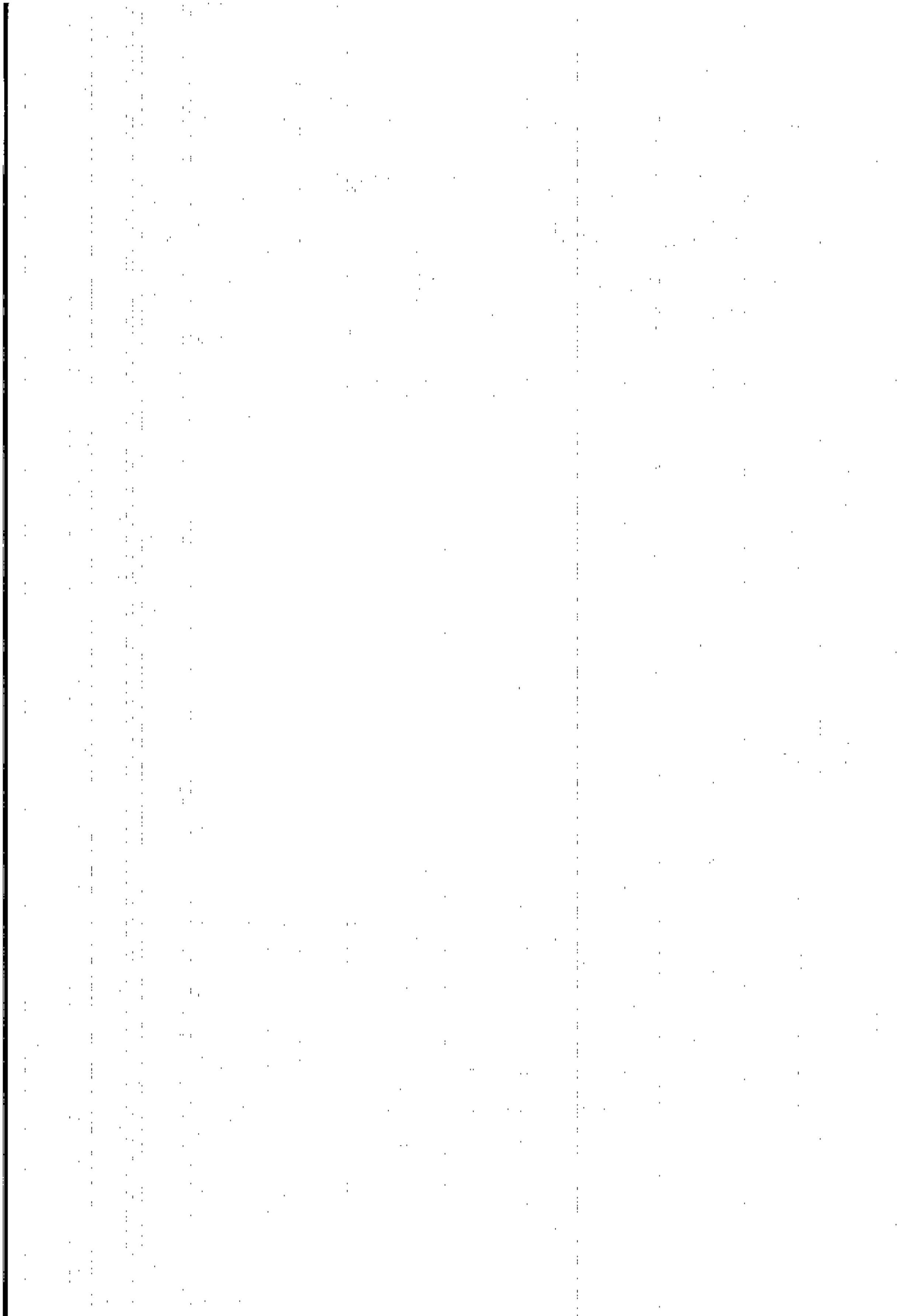
فوالله لا أدرى أأحلام نائم ألمت بنا أم كان في الركب يوشع

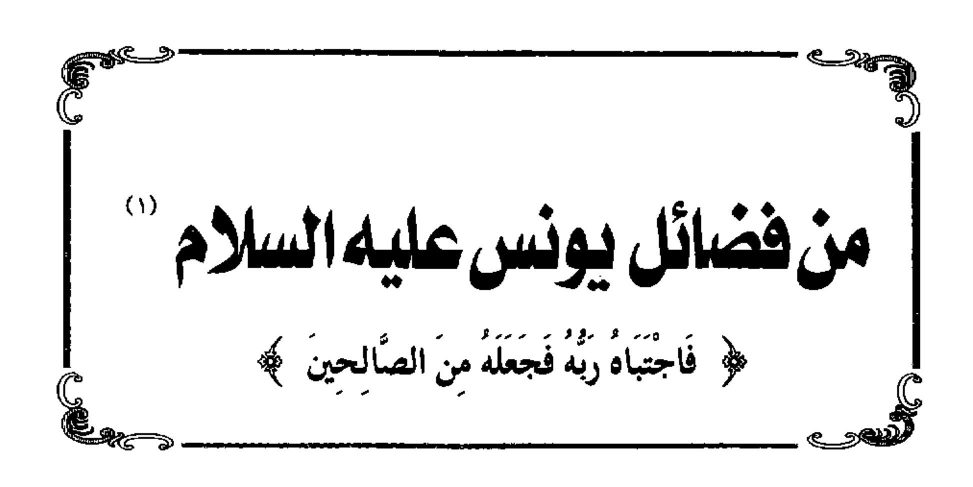
ثم قال : ولا يعارضه (أى : حبس الشمس ليوشع) ، ما ذكره يونس بن بكير في=

فجاءت - يعنى النار - لتأكلها فلم تطعمها ، فقال : إن فيكم غلولاً ، فليبايعنى من كل قبيلة رجل ، فلزقت يد رجل بيده ، فقال فيكم الغلول ، فليبايعنى قبيلتك ، فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده ، فقال : فيكم الغلول ، فجاؤوا برأس مثل رأس بقرةٍ من الذهب ، فوضعوها فجاءت النار فأكلتها ، ثم أحل الله لنا الغنائم ، رأى ضَعفنا وعجزنا ، فأحلها لنا » .

= « زياداته » في « مغازى ابن إسحاق » : « أن النبى ﷺ لما أخبر قريشًا صبيحة الإسراء أنه رأى العير التى لهم ، وأنها تقدم مع شروق الشمس ، فدعا الله فحبست الشمس حتى دخلت العير » .

وهذا منقطع ، لكن وقع في « الأوسط للطبرانى » من حديث جابر : « أن النبى ﷺ أمر الشمس فتأخرت ساعة من نهار » وإسناده حسن ، ووجه الجمع أن الحصر محمول على ما مضى للأنبياء قبل نبينا ﷺ ، فلم تحبس الشمس إلا ليوشع ، وليس فيه نفى أنها تحبس بعد ذلك لنبينا ﷺ » .





(١) وهو ابن متى ، كما أخبرنا بذلك رسول الله ﷺ ، ولقبه رسول الله ﷺ أيضًا ـ كما يأتي ـ بـ «ذى النون » وكما قال تعالى : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٧] .

قال أبو إسحاق الثعلبي في « عرائس المجالس » (ص ٤٦٠) :

« قيل : متى أمه ، ولم يُنسب أحد من الأنبياء إلى أمه ، إلا عيسى ابن مريم ، ويونس ابن متى عليهما السلام » .

قلت : وهذا يحتاج إلى دليل يفيد بأن : « متى » اسم امرأة ، فهناك من الأسماء ما تشترك بين النساء والرجال سواء كاسم « هنيدة » و « جهاد » وعليه ؛ فلا نستطيع تمييز ذلك الاسم إلا بقرينة تثبت هذا أو ذاك والله تعالى أعلم .

قلت (محمد) : وقد قلت هذا الكلام باديءَ ذي بدء ثم لما اطلعتُ ونظرت ، فوجدت رواية « الصحيحين » (البخاري ٣٤١٣ ومسلم ١٥ / ١٣٤ نووي) عن ابن عباس مرفوعًا : « ما ينبغي لعبد أن يقول : أنا خير من يونس بن متي » « ونسبه إلى أبيه».

قال الحافظ في « الفتح » (٦ / ٥٢١) : =

. . . .

« وأما قوله في الرواية الأولى : « ونسبه إلى أبيه » ففيه إشارة إلى الرد على من زعم أن « متى » اسم أمه وهو محكي عن وهب بن منبه في « المبتدأ » وذكره الطبري ، وتبعه ابن الأثير في « الكامل » والذي في الصحيح أصح » .

وقال الحافظ كذلك في « فتحه » (٦ / ٥٢٠) : « ووقع في تفسير عبد الرزاق أنه اسم أمه ، وهو مردود بما في حديث ابن عباس في هذا الباب : « ونسبه إلى أبيه » فهذا أصح » . انتهى .

● موجز ما ورد فيه في الكتاب العزيز ●

● نبوته ورسالته ●

○ قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ (١) إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (٢) ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ (٣) فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (٤) ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (٥) ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ (٦) وَهُوَ سَقِيمٌ (٧) ﴿١٤٥﴾ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ (٨) ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [الصافات ١٣٩ ـ ١٤٨] .

● ثناء ربه عليه ●

فقد ذكره مع عددٍ من أنبيائه ورسله ، فقال : ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (٩) ﴾ .

---

(١) أي : من ربه ضبا له ظانًا أنه لا يقدر عليه .
(٢) أي : المملوء بالأمتعة . فثقلت السفينة ، فاحتاجوا إلى إلقاء بعض الركاب .
(٣) أي : قارع . (٤) أي : المغلوبين .
(٥) أي : فاعل ما يلام عليه ، وهو مغاضبته لربه .
(٦) أي : الأرض الخالية التي ليس فيها نبت ولا بناء .
(٧) أي : ضعيف البدن .
(٨) اليقطين : هو القرع ، وكل شجرة لا ساق لها ، فهي من اليقطين ، **ومن فوائد اليقطين** : سرعة نباته ، وتظليل ورقه لكبره ونعومته ، وأنه لا يقربها الذباب ، وجودة تغذية ثمره .
(٩) أى عالمى زمانه . قال صاحب المنار (٧ / ٥٨٨) : « وما وجد من نبيين فأكثر في عالم أو قوم ، فقد يكونون مع تفضيلهم على غيره متفاضلين في أنفسهم ، فلا شك أن إبراهيم أفضل من لوط المعاصر له ، وأن موسى أفضل من أخيه هارون الذى كان وزيره ، وأن عيسى أفضل من ابن خالته يحيى صلوات الله عليهم أجمعين » .

ثم قال تعالى بعد ذلك : ﴿ أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (٨٩) أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام : ٨٨ ، ٩١ ـ ٩٢] .

● قول النبى ﷺ« لا ينبغى لأحدٍ أن يقول : أنا خير من يونس بن متى» ●

○ أخرج البخاري ومسلم [(١)] من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « **لا ينبغي لعبد أن يقول : أنا خير من يونس بن متى** » .

○ وفيهما أيضًا [(٢)] من حديث ابن عباس عن النبى ﷺ قال : « **لا ينبغى لعبد أن يقول : أنا خير من يونس بن متى** » .

○ وأخرج البخارى [(٣)] من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **لا يقولن أحدكم إِنى خير من يونس** » زاد بعض الرواة «**يونس بن متى** » .

قلت : وقد تفرد بعض الرواة فروى هذا الحديث وزاد فيه بأنه : « سبَّح

---

(١) خ (٣٤١٦) (٤٦٣١) و (م ٢٣٧٦) وأحمد (٢ / ٢٠٥ و ٤٦٨) والطحاوى في « معانى الآثار » (٤ / ٣١٦) . وعند البخارى (٤٦٠٤) بلفظ : « من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب » لكنها من رواية فليح بن سليمان وفليح هذا متكلم فيه . وكذا رواه الحاكم من طريق فليح (٢ / ٥٨٣ و ٥٨٤) .

(٢) خ (٣٣٩٥ و ٣٤١٣) وفي مواضع أخرى ، وم (٢٣٧٧) و أحمد (١ / ٢٤٢و. . .) وأبو داود (٤٦٦٩) والطحاوى في « معانى الآثار » (٤ / ٣١٦) .

(٣) (٣٤١٢ ، ٤٦٠٣) وأحمد (١ / ٣٩٠ ، ٤٤٠) .

الله في الظلمات » [١] .

وهذا كله من باب التواضع من نبينا ﷺ ، والله أعلم . كما قاله الحافظ ابن حجر رحمه الله [٢] .

• دعوة ذى النون عليه السلام •

ففيها من الفضل العميم لعامة المسلمين الذين حلَّ بهم همٌ أو غم أو نزل بهم بلاءٌ أو كرب ، فبها تستجابُ الدعوات ، وتقضى الحاجات :

○ قال تعالى : ﴿ وَذَا النُّونِ إذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٧ ـ ٨٨] .

○ وقال تعالى : ﴿ فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الصافات : ١٤٣] .

○ وأخرج الترمذى في « سننه » [٣] : من حديث سعد بن أبي وقاص

---

(١) وقد أخرجها ابن أبي شيبة في مصنفه (١١ / ٥٤٠) والطحاوى في (المشكل ١ / ٤٤٧) والرازى في فوائده (كما في زوائد الأجزاء المنثورة) (٨٧٨) وفي إسناده عبد الله بن سلمة ، وقد تكلِّم فيه من قبل حفظه .

(٢) « انتخابه لقصص الأنبياء من البداية للحافظ ابن كثير » (ص ٢٩٦ بتحقيق الأخ الفاضل غنيم بن عباس) .

(٣) (برقم : ٣٥٠٥) ، وأحمد (المسند ١ / ١٧٠) ، والنسائي في (الكبرى ١٠٤٩٢/٦) ، والحاكم (٥٠٥/١) ، والبيهقى في (الشعب ٦٢٠) [الباب السبعين] . من طرق عن يونس بن أبي إسحاق عن إبراهيم بن محمد بن سعد عن أبيه عن جده به مرفوعًا . =

قال: قال رسول الله ﷺ « دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيئ قط إلا استجاب الله له » . صححه شيخنا لشواهده (١) .

وفي رواية للحاكم : « ألا أخبركم بشيئ إذا نزل برجل منكم كرب أو بلاء من بلايا الدنيا ، دعا به يفرج عنه ؟ فقيل له : بلى ، فقال : دعاء ذى النون (٢) لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين » .

= قلت : وسند رجاله كلهم ثقات ، عدا يونس بن إسحاق ففيه كلام .
قال الحاكم : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » . وقال الذهبي : «صحيح » .
قلت : وللحديث متابعات تقويه عن سعد بن أبي وقاص ، انظر : « تخريج أحاديث الكشاف » للزيلعي « ٢ / ٣٦٩ » ، وأبي يعلى (٧٠٧) .

(١) في « الأذكار » .

(٢) قال الحافظ ابن كثير في البداية : « والمقصود أنه لما جعل الحوتُ يطوف به في قرار البحار اللجية ، ويقتحم به لجج الموج الأجاجى ، فسمع تسبيح الحيتان للرحمن ، وحتى سمع تسبيح الحصى لفالق الحب والنوى ، ورب السموات السبع ، والأرضين السبع ، وما بينهما ، وما تحت الثرى ، فعند ذلك وهنالك ، قال ما قال ، بلسان الحال والمقال ، كما أخبر عنه ذو العزة والجلال ، الذى يعلم السر والنجوى ، ويكشف الضر والبلوى ، سامع الأصوات وإن ضعفت ، وعالم الخفيات وإن دقت ، ومجيب الدعوات وإن عظمت ، حيث قال في كتاب المبين ، المنزل على رسوله الأمين ، وهو أصدق القائلين ، ورب العالمين ، وإله المرسلين : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَب ﴾ أى إلى أهله ﴿مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٧ ـ ٨٨] .
انتهى كلام الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ .
وفي ختام هذا المبحث يقول العلامة السعدى ـ رحمه الله تعالى ـ عند تفسير هذه الآية الكريمة : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَب مُغَاضِبًا ﴾ : « أى : واذكر عبدنا ورسولنا ذا النون وهو :=

• تلبية يونس ﷺ •

○ أخرج مسلم في « صحيحه »(١) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ مرَّ بوادى الأزرق فقال : « أى وادٍ هذا ؟ فقالوا :

= يونس ، أى : صاحب النون ، وهى الحوت ، بالذكر الجميل ، والثناء الحسن ، فإن الله تعالى أرسله إلى قومه فدعاهم ، فلم يؤمنوا ، فوعدهم بنزول العذاب بأمد سمَّاه لهم فجاءهم العذاب ، ورأوه عيانًا ، فعجُّوا إلى الله ، وضجوا وتابوا ، فرفع الله عنهم العذاب ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [يونس : ٩٨] .
وقال : ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [الصافات : ١٤٧ ـ ١٤٨] . وهذه الأمة العظيمة الذين آمنوا بدعوة يونس من أكبر فضائله ، ولكنه عليه الصلاة والسلام ذهب مغاضبًا ، وأبق عن ربه لذنب من الذنوب التى لم يذكرها الله لنا في كتابه ، ولا حاجة لنا إلى تعيينها لقوله : ﴿ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ [الصافات : ١٤٠ ـ ١٤٢] ، أى : فاعل ما يلام عليه ، وظن أن الله ، لا يقدر عليه ، أى : يضيق عليه في الحوت، أو ظن أنه سيفوت الله تعالى ، ولا مانع من عروض هذا الظن للكل من الخلق على وجه لا يستقر، ولا يستمر عليه ، فركب في السفينة مع أناس ، فاقترعوا ، مَنْ يلقون منهم في البحر ؟ لما خافوا الغرق إن بقوا كلهم ، فأصابت القرعة يونس ، فالتقمه الحوت ، وذهب فيه إلى ظلمات البحار ، فنادى في الظلمات : ﴿ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٧] ، فأقر الله تعالى بكمال الألوهية ، ونزهه عن كل نقص ، وعيب ، وآفة ، واعترف بظلم نفسه وجنايته .
قال الله تعالى : ﴿ فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الصافات: ١٤٣] ، ولهذا قال هنا : ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٨] ، أى : الشدة التى وقع فيها . ﴿ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٨] ، وهذا وعدٌ وبشارة ، لكل مؤمن وقع في شدة وغم ، أن الله تعالى سينجيه منها ، ويكشف عنه ويخفف ، لإيمانه كما فعل بـ « يونس عليه السلام » .

(١) (حديث ١٦٦) رواه عن أحمد كما في « المسند » (١ / ٢١٥ ، ٢١٦) ، وابن ماجة (٢٨٩١) ، وابن خزيمة (٢٦٣٢، ٢٦٣٣) ، وابن حبان في « صحيحه » (٣٨٠١).

هذا وادي الأزرق ، قال : كأني أنظر إلى موسى عليه السلام هابطًا من الثنية وله جؤار إلى الله بالتلبية ثم أتى على ثنية هرشى ، فقال : أى ثنية هذه ؟ قالوا : ثنية هرشى (١) ، قال : كأني أنظر إلى يونس بن متى عليه السلام على ناقة حمراء جعدة (٢) عليه جبة من صوف ، خِطامُ ناقتِه خلبة (٣) ، وهو يلبى » .

● ومن فضائله إيمان الجم الغفير من قومه لدعوته ﷺ ●

○ قال تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [الصافات : ١٤٧ ـ ١٤٨] .

وهذه منة عظمى امتن الله بها عليه ، فصار هذا العدد الذي هو ﴿ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ في موازينه ، لأنه الداعي لهم (٤) .

وقال سبحانه : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [يونس : ٩٨] .

---

(١) قال النووى ـ رحمه الله ـ : « هرشى بفتح الهاء ، وإسكان الراء ، والشين المعجمة ، مقصورة الألف ، وهو جبل على طريق المدينة قريب من الجحفة . وقال ياقوت: وهى ثنية في طريق مكة قريبة من الجحفة يُرى منها البحر ، وله طريقان ، فكل من سلك واحدًا منها أفضى به إلى موضع واحد . ولذلك قال الشاعر :

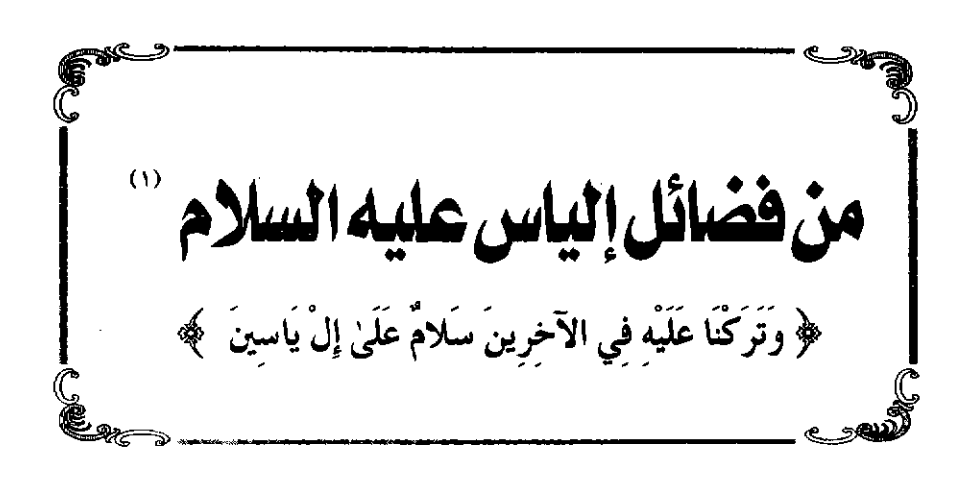
خذ أنف هرشى أو قفاها فإنما كِلا جانبى هرشى لهن طريق » .

(٢) ناقة حمراء جعدة : أى مكتنزة اللحم شديدة .

(٣) الخلبة : أى الليف .

(٤) قال السعدي ـ رحمه الله ـ :

« هذه الأمة العظيمة الذين آمنوا بدعوة يونس من أكبر فضائله » .



من فضائل إلياس عليه السلام (1)

﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ سَلامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴾

---

(1) وهو رسول بنص كتاب الله عزوجل ، أثنى الله عليه ثناءًا عاطرًا ، وبيَّن فضله ، ودعوته ، بيانًا مجملاً في عددٍ من الآيات ، يؤدى الغرض المرجو .

وهل هو إلياس أو إلياسين ؟ وهل هو إدريس أم لا ؟

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ : « والعرب تلحق النون في أسماء كثيرة وتبدلها من غيرها كما قالوا : إسماعيل وإسماعين ، وإسرائيل وإسرائين ، وإلياس وإلياسين ، وقد قرئ : سلام على آل ياسين ، أى على آل محمد ، وقرأ ابن مسعود وغيره : سلام على إدريسين ، ونقل عنه من طريق إسحاق عن عبيدة بن ربيعة عن ابن مسعود أنه قال: إلياس هو إدريس . وإليه ذهب الضحاك بن مزاحم ، وحكاه قتادة ومحمد بن إسحاق ، والصحيح أنه غيره كما تقدم والله أعلم » .

وقال الحافظ في « الفتح » (٦ / ٤٣٠) : « وأما قوله تعالى : ﴿ سَلامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴾ [الصافات : ١٣٠] ، فقرأ الأكثرون بصورة الاسم المذكور ، وزيادة ياء ونون في آخره ، وقرأ أهل المدينة : « آل ياسين » ، وكان بعضهم يتأول أن المراد : سلام على آل محمد ﷺ ، وهو بعيد . ويؤيد الأول أن الله تعالى إنما أخبر في كل موضع ذكر فيه نبيًا من الأنبياء في هذه السورة ، بأن السلام عليه ، فكذلك السلام في هذا الموضع على إلياس المبدأ بذكره ، وإنما زيدت فيه الياء والنون كما قالوا في إدريس إدراسين والله أعلم » انتهى .

• من فضائل إلياس عليه السلام •

• نبوته وثناء الله عليه •

○ قال تعالى : ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ (١) ﴾ ـ إلى قوله ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ (٢) ﴾ [الأنعام : ٨٥ و٨٩ ـ ٩٠] .

• رسالته ودعوته وثناء من الله عليه •

○ قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصافات : ١٢٣ ـ ١٣٢] .

---

(١) فهؤلاء من الصالحين في أخلاقهم ، وأعمالهم ، وعلومهم ، بل هم سادة الصالحين ، وقادتهم ، وأئمتهم ، قاله السعدى ـ رحمه الله تعالى ـ بيسير من التصرف .

(٢) قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ في « التفسير » (٢ / ١٤٩) : « قال تعالى مخاطبًا عبده ورسوله محمدًا ﷺ ﴿ أُولَٰئِكَ ﴾ يعنى المذكورين مع من أضيف إليهم من الآباء والذرية والإخوان وهم الأشباه ﴿ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾ أى هم أهل الهدى لا غيرهم ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ أى اقتد واتبع ، وإذا كان هذا أمرًا للرسول ﷺ ، فأمته تبع له فيما يشرعه ويأمرهم به » .

يقول الشيخ السعدى ـ رحمه الله تعالى ـ معلقًا على هذه الآيات : «يمدح تعالى عبده ورسوله إلياس عليه الصلاة والسلام ، بالنبوة والرسالة ، والدعوة إلى الله وأنه أمر قومه بالتقوى ، وعبادة الله وحده ، ونهاهم عن عبادتهم صنمًا لهم يقال له « بعل » وتركِهم عبادة الله ، الذى خلق الخلق ، وأحسن خلقهم ، وربَّاهم فأحسن تربيتهم ، وأدرَّ عليهم النعم الظاهرة والباطنة ، وأنكم كيف تركتم عبادة من هذا شأنه ، إلى عبادة صنم ، لا يضر، ولا ينفع ، ولا يخلق ، ولا يرزق ، بل لا يأكل ، ولا يتكلم ؟!!

وهل هذا إلا من أعظم الضلال ، والسفه ، والغى ؟!! فكذبوه فيما دعاهم إليه ، فلم ينقادوا له ، قال الله متوعدًا لهم : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ أى : يوم القيامة في العذاب ، ولم يذكر لهم عقوبة دينوية (١) .

﴿ إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ أى : الذين أخلصهم الله ، ومنَّ عليهم باتباع نبيهم ، فإنهم غير محضرين في العذاب ، وإنما لهم من الله جزيل الثواب.

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ (٢) :

وقوله : ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِين ﴾ ، أى أبقينا بعده ذكرًا حسنًا له في العالمين ، فلا يذكر إلا بخير ، ولهذا قال : ﴿ سَلامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴾ » انتهى المراد .

قال السعدى رحمه الله : « ﴿ سَلامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴾ أى : تحية من الله ، ومن عباده عليه ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ فأثنى الله

(١) رجح ابن كثير رحمه الله تعالى أن ذلك العذاب في الدنيا والآخرة كما في « البداية » ، وفي « التفسير » قَصَرَهُ علي يوم القيامة .

(٢) كما في « البداية » وهذا أضفته ، وليس من كلام السعدى ـ رحمه الله تعالى ـ

عليه كما أثنى على إخوانه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين » انتهى .

○ هذا ؛ ولم يثبت لدىَّ في شأن هذا الرسول الكريم إلياس عليه السلام حديث مرفوع إلى رسول الله ﷺ ، وقد ورد في أحاديث واهية ، وضعيفة جدًا بأنه يلتقى مع الخضر كل عام في المواسم وهي أخبار منكرة بمرة، أنكرها جماعة من الحفاظ .

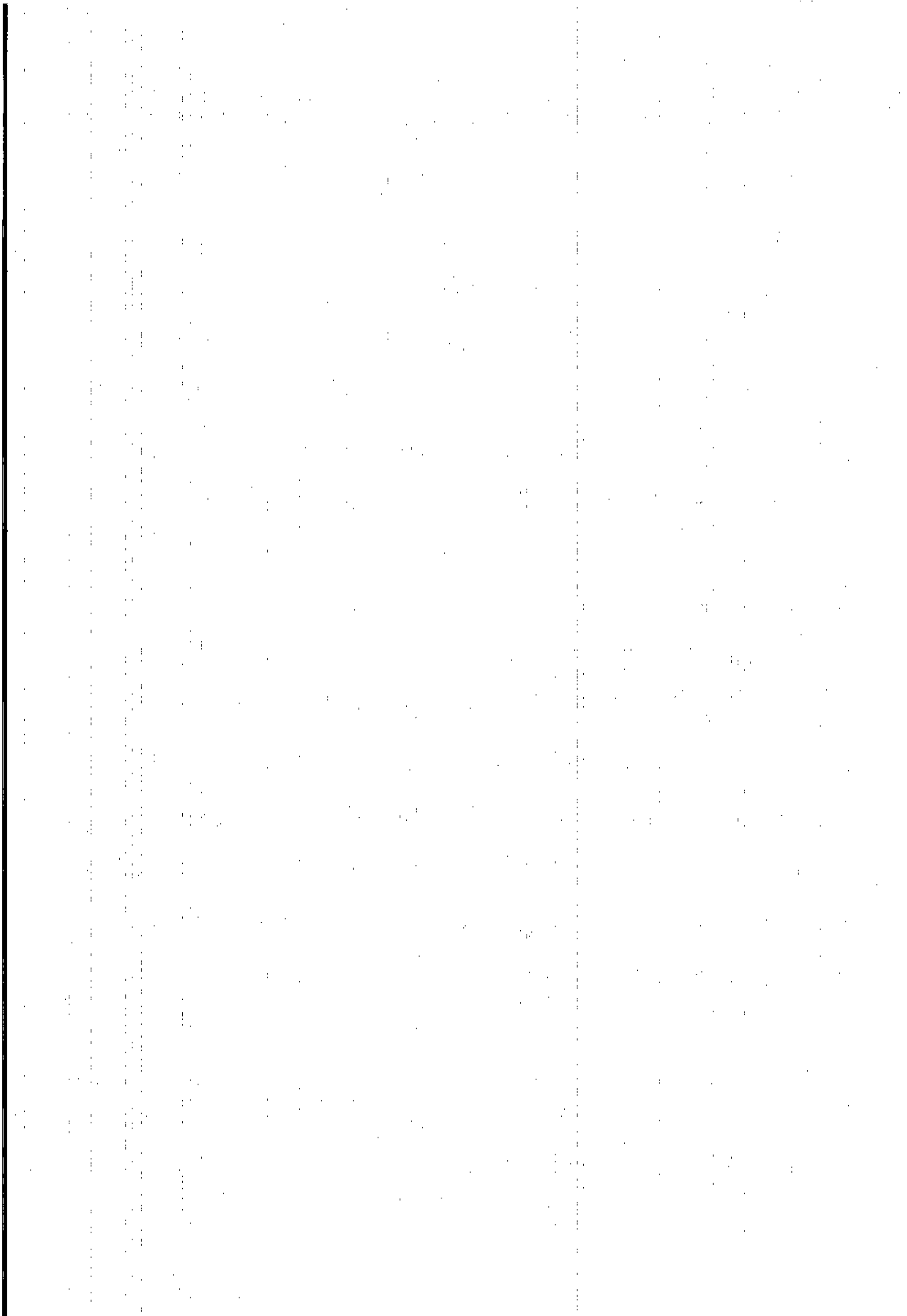
وكذلك القائلين بأن الخضر وإلياس أحياء ، نقول لهم : هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين . والله يقول لنبيه محمدٍ ﷺ : ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ** ﴾ [الأنبياء : ٣٤] .

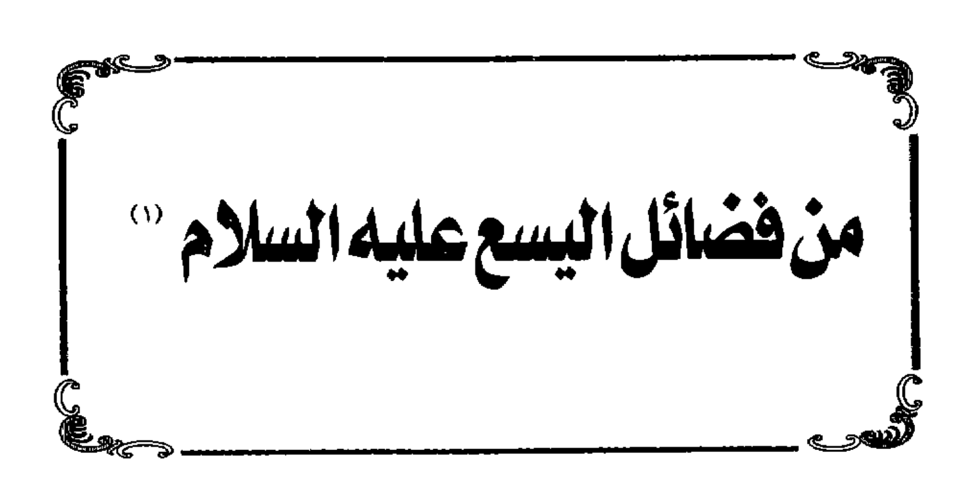
○ وقد ثبت في الصحيحين [١] من حديث عبد الله بن عمر قال : صلى بنا النبى ﷺ العشاء في آخر حياته ، فلم سلَّم قام ، فقال : « **أرأيتكم ليلتكم هذه ، فإن رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد**» .

○ وسئل الإمام البخارى رحمه الله تعالى [٢] عن الخضر وإلياس : هل هما في الأحياء ؟ فقال : كيف يكون هذا ، وقد قال النبي ﷺ « **لا يبقى علي رأس مائة سنة من هو على ظهر الأرض اليوم** » .

وكذلك ما ورد من أن إلياس اجتمع بالنبى ﷺ ، وأكل معه من مائدة من السماء ، فموضوع وكذب ، ومخالف للنصوص الصحيحة ، والله تعالى أعلم .

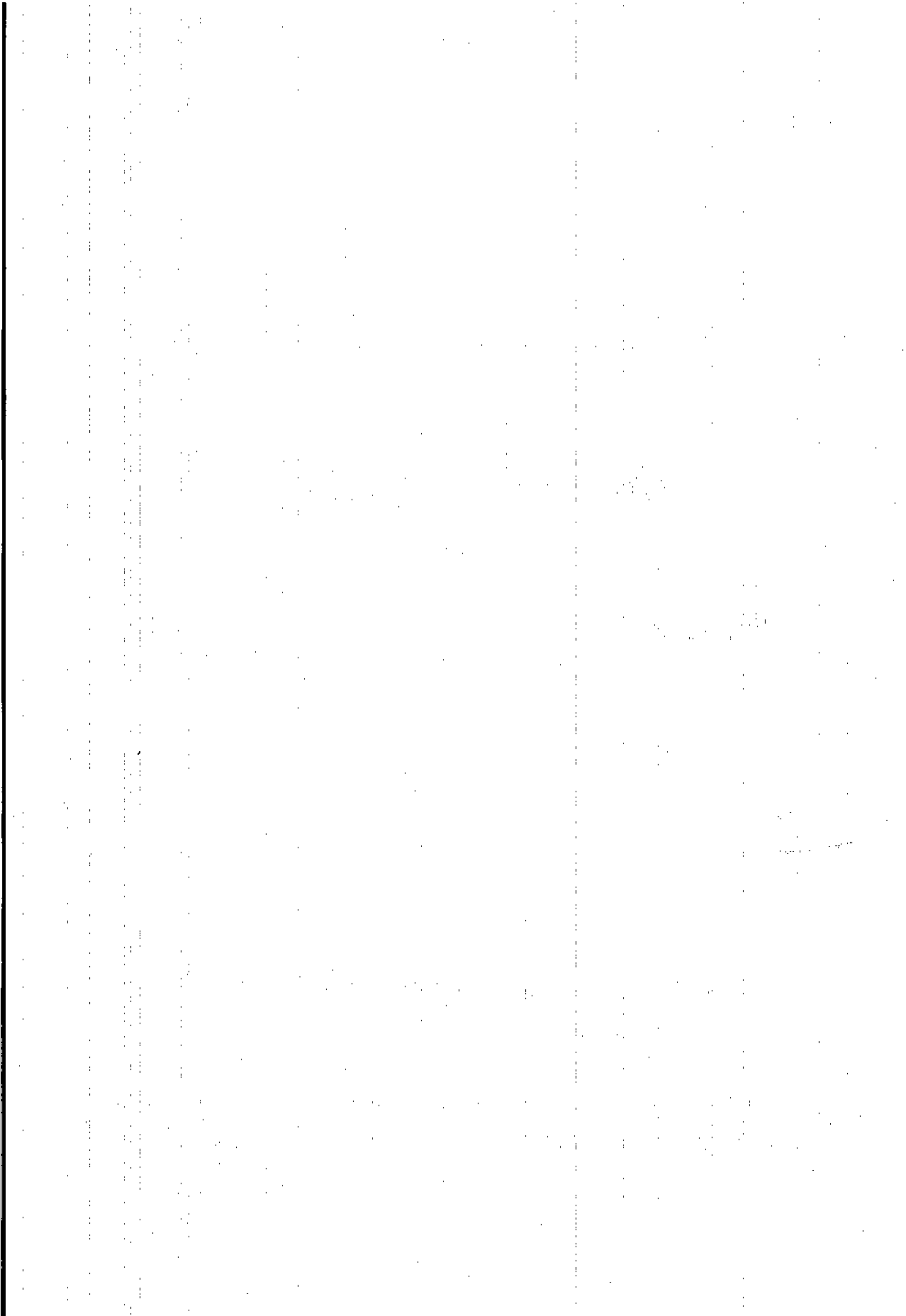
(١) أخرجه البخارى (١١٦) ومسلم (٢٥٣٧) .
(٢) كما في « المنار المنيف » (ص ٥١ ، ٥٢ لابن القيم) ط دار العاصمة ، و « المغنى عن الحفظ والكتاب » (ص ٧٧ لعمر بن بدر الموصلى) .





(١) لم أقف لنبي الله «يَسَع» عليه السلام»، على أي خبر يصح في شأنه صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه .

ويكفي في هذا الباب أن الله اصطفاه ، واختاره ، وفضله ، وأكرمه بالنبوة ، وآتاه الكتاب والحكم ، ووصفه بالصفات الحميدة ، والخصال السديدة ، وأمرنا بالاقتداء به كما أمرنا بالاقتداء بغيره من الرسل الكرام ، كما ستوضحه الآيات الكريمات التي نسوقها بإذن الله تعالى .



• من فضائل اليسع [1] عليه السلام •

• آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة •

○ قال تعالى : بعد ذكره هو وعدد من أنبياء الله : ـ ﴿ أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا [2] هَؤُلاءِ [3] فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (٨٩) أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام : ٨٩ ـ ٩٠] .

• اليسع عليه السلام

ممن اصطفاه الله واختاره وفضله على عالمي زمانه •

○ قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الأَخْيَارِ ﴾ [ص: ٤٨] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ [4] ﴾ [الأنعام : ٨٦] .

---

(١) وهو ـ كما مضى ـ من الأنبياء الذين لم أقف لهم على خبر صحيح عن رسول الله ﷺ.

(٢) أي : بالنبوة ، ويحتمل أن يكون الضمير عائدًا على هذه الأشياء الثلاثة « الكتاب والحكم والنبوة » . قاله ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ .

(٣) أي : أهل مكة .

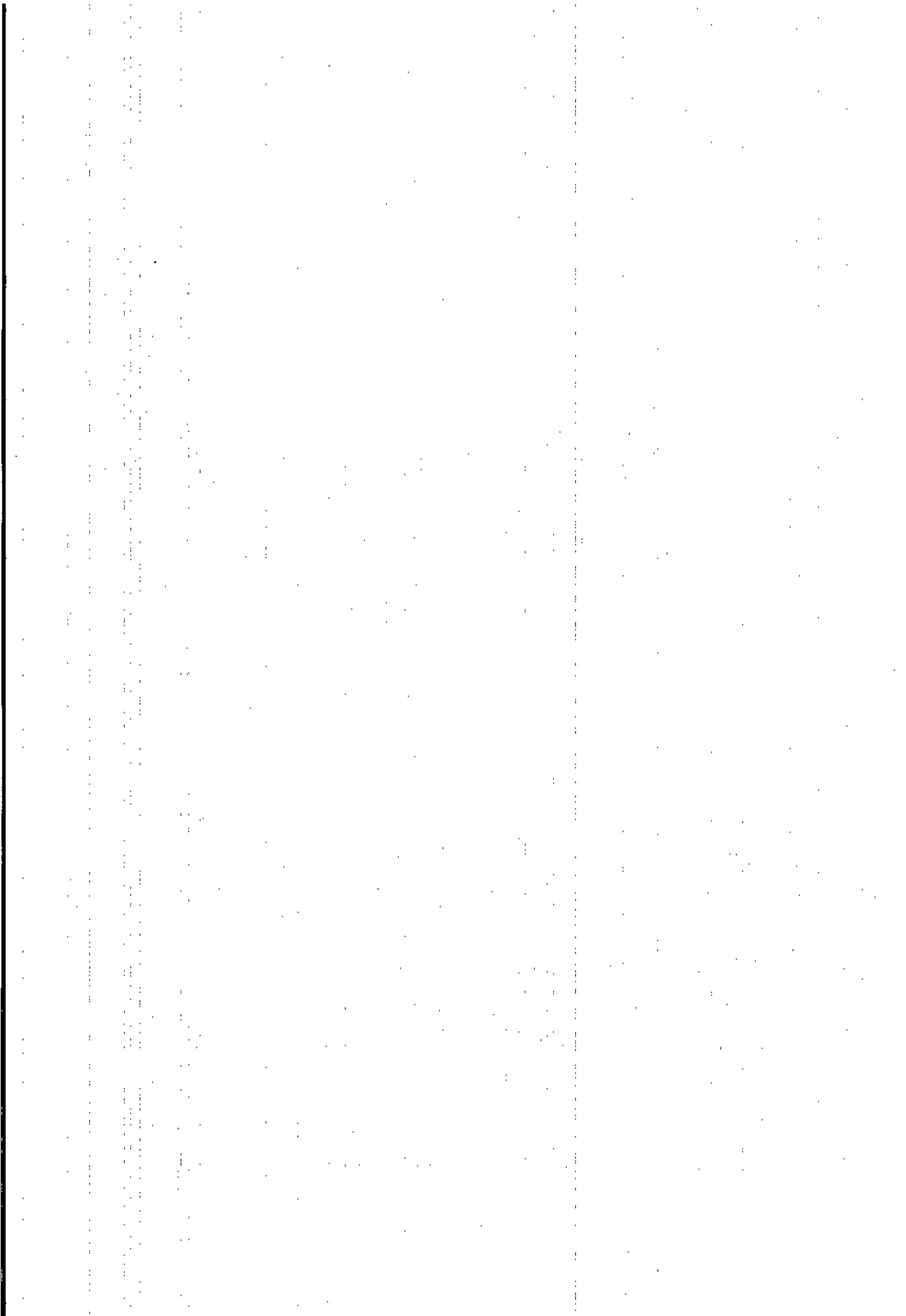
(٤) قال السعدي في « تيسير الكريم الرحمن » : أي : واذكر هؤلاء الأنبياء بأحسن الذكر وأثن عليهم أحسن الثناء ، فإن كلا منهم من الأخيار الذين اختارهم الله من الخلق ، واختار لهم أكمل الأحوال من الأعمال ، والأخلاق ، والصفات الحميدة ، والخصال السديدة .



من فضائل داود عليه السلام (1)

﴿ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴾

(1) وهو بعد زمان موسى عليه السلام ، لدلالة الآيات الواردة في سورة البقرة من قوله :
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (246) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (247) ـ إلى قوله ـ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (250) فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٦ ـ ٢٥١] .



● طرف من الثناء

الوارد عليه في الكتاب العزيز (١) ●

○ جعله الله تعالى خليفة في أرضه ، لتنفيذ أوامره وأحكامه ، كما قال تعالى : ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ﴾ [ص : ٢٦] .

○ وعلَّمه الله صنعة لبوس ، وألان له الحديد ، كما قال تعالى : ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ﴾ [الأنبياء : ٨٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ۝١٠ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [سبأ : ١٠ ـ ١١] .

○ قال الحافظ ابن كثير : « أعانه الله على عمل الدروع من الحديد ليحصن المقاتلة من الأعداء ، وأرشده إلى صنعتها وكيفيتها ، فقال : ﴿ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ﴾ أي لا تدق المسمار فينفلق ، ولا تغلظه فينفصم » .

فكان ماهرًا ﷺ في صنع تلك الدروع ، ولم لا ؟! وهو المعلَّم من قبل الله في ذلك !

○ وجمع الله له بين الملك والنبوة ، بين خيرى الدنيا والآخرة ، فاجتمع في داود الأمران ـ ﷺ ـ ، كما قال تعالى : ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة : ٢٥١] .

---

(١) إذ قد قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً ﴾ [سبأ : ١٠] .

○ قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ [(١)] : « أى لولا إقامة الملوك حكامًا على الناس ، لأكل قويُّ الناس ضعيفهم » .

○ وكما قال تعالى في شأنه وشأن سليمان : ﴿ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [الأنبياء : ٧٩] .

○ وكما قال تعالى : ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ [(٢)] ﴾ [ص: ٢٠] .

○ قال الحافظ ابن كثير : « أى أعطيناه ملكًا عظيمًا ، وحكمًا نافذًا ، وقوله تعالى ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ ﴾ أى النبوة » .

وقال العدوى ـ رحمه الله ـ [(٣)] : « يذكر الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ بأنه شدَّ ملك داود ، وقوَّاه ، وهى نعمة عظمى من الله تعالى ، يكافئ بها نبيه داود على قوته في دينه ، ورجوعه إلى ربه وخالقه ، وهو كقوله في سورة طه [٣٢] : ﴿ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾ » انتهى .

○ وكذلك آتاه الله الزبور ، وقد قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾ [الإسراء : ٥٥] .

---

(١) في « البداية » .

(٢) قيل هو الفصل في الكلام وفي الحكم ، وقال بعضهم : فصل الخطاب : أما بعد .
وقال القاسمى في « محاسن التأويل » : « أى فصل الخصام بتمييز الحق من الباطل ، ورفع الشبه ، وإقامة الدلائل ، وكان يُقيم بذلك العدل الجالب محبة الخلائق ، ولا يخالفه أحد من أقاربه ، ولا من الأجانب » .

(٣) « دعوة الرسل » (ص ٣٢٣) .

○ وقال أيضًا في سورة النساء : ﴿ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً ﴾ [النساء : ١٦٣] .

○ ومن نعمه سبحانه وتعالى عليه كذلك : أنه سخر له الجبال تسبح معه وكذلك الطير ، كل له أوَّاب ، يُردِّد التسبيح معه ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، فقد وهبه الله صوتًا حسنًا ، ونغمة في القراءة وترنما ، مما يجعل الطير يرجع بترجيعه ، ويسبح بتسبيحه ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص : ١٨ ـ ١٩] .

○ وقال سبحانه : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧٩] .

○ وقال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ (١) ﴾ [سبأ : ١٠] . فكانت الجبال والطير ترجع بترجيعه .

○ وذلك لحسن صوته ، وجمال نغمته عند القراءة كما تقدم ، فقد أخرج البخارى ومسلم (٢) من حديث أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « يا أبا موسى ، لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود » وفي رواية عن أبي هريرة مرفوعًا : « لقد أعطى أبو موسى من مزامير داود » (٣) .

○ وقد علَّمه الله تعالى منطق ، ولغة الطير كما قال سليمان عليه

(١) أوبى معه : أى سبحى معه ، وذلك أن الله قد وهبه من الصوت العظيم ، ما لم يُعطهِ أحدًا ، بحيث إنه كان إذا ترنم بقراءة كتابهِ يقفُ الطير في الهواء يرجع بترجيعه ويسبح بتسبيحه ، وكذلك الجبال تجيبه ، وتسبح معه كلما سبح بكرة وعشيًا صلوات الله وسلامه عليه .

(٢) خ (٥٠٤٨) وم (٧٩٣) (٦ / ٨٠ نووى) .

(٣) وإسنادها حسن . أخرجها أحمد (٢ / ٣٥٤) وابن ماجه (١٣٤١) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه .

السلام: ﴿ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ ﴾ [النمل : ١٦] .

إلى غير ذلك من أنواع ما علمه ﷺ (١) ، من أنواع العلوم الدينية والدنيويه ، والله سبحانه يقول : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ﴾ [النمل:١٥]، فيدخل كل ذلك فيها ، وغير ذلك مما وهبه الله إياه .

○ فمن أجل ذلك فقد جعله الله تعالى من المقربين لديه ، فوعده بالزلفى وكذلك بالمآب الحسن ، والكرامة في الآخرة ، كما قال تعالى : ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ (٢) [ص : ٢٥] .

○ وقد وهبه الله سليمان ولدًا له ، ونعمت الهبة .

قال تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص : ٣٠] .

قال السعدى رحمه الله تعالى ، وهو يُعدِّد فوائد تتعلق بقصة داود وسليمان عليهما السلام تحت هذه الآية : « ومنها : أن سليمان عليه السلام، من فضائل داود ، ومن منّ الله عليه ، حيث وهبه له . وأن أكبر نعم الله على عبده ، أن يهب له ولدًا صالحًا ، فإن كان عالمًا ، كان نورًا على نور».

○ وقد وهبه أبو البشر آدم ﷺ من عمره أربعين سنة ، فأكمل لداود مئة سنة بعد أن كان عمره ستين سنة ، وتلك كرامة وأى كرامة !! وسيأتى الحديث بذلك في « جماله » ﷺ ، في الباب القادم .

قلت : ورواية ابن ماجه فيها : (من مزامير آل داود) .

(١) « القرطبى » (في جامعه ٣ / ١٦٨ دار الكتب) .

(٢) قال ابن كثير : « وهو الدرجات العالية في الجنَّة لنبوته ، وعدله التام في ملكه ، كما جاء في الصحيح : « المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين الذين يقسطون في أهليهم وما ولوا » . ا . هـ . والحديث في صحيح مسلم .

• جمال داود عليه السلام •

وقد أوتى داود عليه السلام جمالاً وبهاءً . فكان من أضوء أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام [(١)] .

○ ففي « سنن الترمذى » [(٢)] و « صحيح ابن حبان » وغيرهما من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **لما خلق الله آدم ، ونفخ فيه الروح عطس ، فقال الحمد لله ، فحمد الله بإذنه ، فقال له ربه : رحمك الله يا آدم، اذهب إلى أولئك الملائكة ، إلى ملإٍ منهم جلوس ، فقل : السلام عليكم ، فقالوا : وعليك السلام ورحمة الله ، ثم رجع إلى ربه ، فقال : هذه تحيتك ، وتحية بنيك بينهم ، فقال الله له ويداه مقبوضتان : اختر أيهما شئت ، فقال : اخترت يمين ربى، وكلتا يدى ربى يمين مباركة، ثم بسطها، فإذا فيها آدم وذريته فقال : أى رب ما هؤلاء ؟ فقال : هؤلاء ذريتك ، فإذا كل إنسان مكتوب عمره بين عينيه ، فإذا فيهم رجل أضوؤهم ـ أو من أضوئهم ـ ، لم يكتب له إلا أربعون سنة ، قال يا رب ما هذا ؟ قال : هذا ابنك داود ...** » الحديث .

---

(١) وهذا لا يعنى أنه أضوؤهم وأحسنهم جمالاً على الإطلاق ، فإن يوسف ﷺ قد أوتى شطر الحسن كما قال نبينا محمد ﷺ . وقد سبق الحديث في ذلك .

(٢) (برقم ٣٣٦٨) ، وابن حبان (الموارد برقم ٢٠٨٢) ، والبيهقى في « الأسماء والصفات » (٢ / ١٤٠ ـ ١٤١) ، وابن عبد الواحد المقدسى (رقم : ٣ بتحقيقى) وهو بهذا اللفظ المذكور يصح بالشاهد الذى يتلوه .
أما هبة آدم عليه السلام لابنه داود من عمره أربعين سنة ، فصحّت من الحديث القادم ، وهى هنا منكرة والله أعلم ، ففيها أن آدم أن أعطاه ستين سنة ، وهذا بخلاف أغلب الروايات بما فيها الضعيفة كذلك ، وانظر في ذلك تحقيقى لكتاب : « أحاديث الأنبياء برقم ٣ » لابن عبد الواحد المقدسى ، فقد توسعت في هذا الحديث هناك .

وأخرج الترمذي في « سننه »[(١)] بإسناد صحيح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لما خلق الله آدم مسح ظهره ، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة ، وجعل بين عينى كل إنسان منهم وبيصًا من نور ، ثم عرضهم على آد م ، فقال : أى رب من هؤلاء؟ قال : هؤلاء ذريتك ، فرأى رجلاً منهم فأعجبه وبيص[(٢)] ما بين عينيه ، فقال : أى رب من هذا ؟ فقال : هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له : داود ، فقال : رب كم جعلت عمره ؟ قال : ستين سنة ، قال : أي رب زِدْهُ من عمرى أربعين سنة** . . . الحديث » .

• شجاعته ﷺ •

○ قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾[(٣)] [ص : ١٧] .

وهذه صفة جميع الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين[(٤)] .

(١) (حديث ٣٠٧٦) ، وابن سعد في « الطبقات » (١ / ٢٤ ـ ٢٥) والحاكم (المستدرك ٤١٩١ ت : الشيخ مقبل) من طريق : هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعًا .
قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) وبيص : أى بريق ولمعان .

(٣) قال الحافظ : الأيد : القوة ، وكان داود موصوفًا بفرط الشجاعة .

(٤) وقد سبق في الباب شجاعة الخليل إبراهيم ﷺ في جملة مواطن ، فمنها عند محاججة الجبابرة كما ذكر الله ذلك في كتابه الكريم ، وذكره رسوله ﷺ في حديثه في قصته مع سارة في دخولهم على الجبار ، وكذلك صبره على الإلقاء في النار ، ومقابلة ذلك بجلد وشجاعة وثقة في الله وتوكل عليه ، وكذلك إقدامه على ذبح ولده ، ولُب فؤاده ، ومدى امتثاله لأمر الله في ذلك الأمر ، وإقدامه على الختان وهو ابن ثمانين سنة ، وقبل ذلك كله تكسيره لأصنام قومه ، وما فيه من الجرأة لدين الله عزوجل ، فصلوات=

ففي القتال ، ولقاء العدو ، قال الله تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٦ ـ ١٤٧] .

وهكذا كان الشأن مع داود النبي ﷺ كان مجاهداً مغواراً .

○ قال تعالى فيما قصَّه علينا في كتابه من شأن طالوت الملك [١] ، عندما واجه جالوت [٢] العدو وجنوده ، وكان من بين هؤلاء المقاتلين من جند طالوت الملك نبى الله داود عليه السلام ، فقال تعالى : ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠) فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٠ـ ٢٥١] .

= الله وسلامه عليه وعلى أنبيائه جميعًا ، وتقدَّم شئ من ذلك أيضًا في سيرة موسى ﷺ مع فرعون الطاغية ، ودخوله الأرض المقدسة الى كتب الله لهم أن يدخلوهم مع ما فيها من جبابرة وظلمة ، إلى غير ذلك .

(١) قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٢٤٦) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾ [البقرة : ٢٤٦ ، ٢٤٧] .

(٢) فحصل النصر والفتح على يد داود ، وهى منقبة لداود لا تنسى ، كما قال الشيخ محمد العدوى أثابه الله .

○ وتأمل هذا الكلام من الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى حيث يقول(١) : « وقوله تعالى : ﴿ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴾ [البقرة : ٢٥١] .

فيه دلالة على شجاعة داود عليه السلام ، وأنه قتله قتلاً أذلَّ به جنده ، وكسر جيشه ، ولا أعظم من غزو يقتل فيها ملك عدوه ، فيغنم بسبب ذلك الأموال الجزيلة ، ويأسر الأبطال ، والشجعان ، والأقران ، وتعلو كلمة الإيمان على الأوثان ، ويُدال لأولياء الله على أعدائه ، ويظهر الدين الحق على الباطل » انتهى .

فيالها من منقبة وفضيلة عظمى لهذا النبى العظيم !!

ويالها من شجاعة في مجال الحرب ومعترك الأبطال !!

ياله من فضل لا يُنسى لداود عليه السلام !! بأن يقتل ملك عدوه ، جالوت ، فيكون النصر ، وتكون الغلبة على يده ، فصلوات الله وسلامه عليه ، ومن ثم آتاه الله الملك والحكمة وعلمه من يشاء ، ومكّن داود ﷺ .

○ وأخرج البخارى ومسلم (٢) ، واللفظ للبخارى من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قال لي رسول الله ﷺ : « **ألم أُنبا أنك تقوم الليل وتصوم النهار ؟ فقلت : نعم ، فقال : فإنك إن فعلت ذلك هجمت العين، ونفهت النفس ، صم من كل شهر ثلاثة أيام ، فذلك صوم الدهر ، أو كصوم الدهر ، قلت : إنى أجد بي** (قال مسعر : أحد الرواة) : يعنى قوة ،

(١) في « البداية » .
(٢) خ (٣٤١٩) و (١٩٧٧) وم (١١٥٩) .

قال : **فصم صوم داود عليه السلام ، وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا ، ولا يفر إذا لاقى »** [١] .

● كان داود يأكل من كسْبه ويعمل بيده ●

وهذا فيه مناقب عظيمة لمن تدبَّرهُ ! وفضل وفير لمن تأمله !! فقد كان ملكًا ﷺ !!!

○ قال تعالى : ﴿ **وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ⁽١٠⁾ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ** [٢] **وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ**[٣] ﴾ [سبأ: ١٠ ـ ١١] .

○ وقال تعالى : ﴿ **وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ** [٤] **لَكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ** ﴾ [الأنبياء: ٨٠] .

○ وأخرج البخارى في « صحيحه » [٥] من حديث المقدام بن معدى كرب عن النبى ﷺ قال : « **ما أكل أحدٌ طعامًا خيرًا قط من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده** » .

وأخرج أيضًا [٦] من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ : « **أن داود**

---

(١) وذلك لشجاعته عليه السلام . وراجع أيضًا ما في « الفتح » (٤ / ٢٦١) في شرح المصنف لقوله : (ولا يفر إذا لاقى) .

(٢) أى دروع سابغات ، والسابغات الكوامل الواسعات التى تغطى البدن كله . والمعنى : دروع واسعة طويلة .

(٣) السرد : نسج الدروع ، فيقدره حلقًا ، ثم يدخل بعضها ببعض ، أعنى المسامير والحلق .

(٤) اللبوس : هى اتخاذ الدروع . بمعنى ملبوس .

(٥) (برقم : ٢٠٧٢) .

(٦) (برقم : ٢٠٧٣) (وفي مواضع أخرى ٣٤١٧ و . . .) .

النبى عليه السلام كان لا يأكل إلا من عمل يده » (١) . وفي رواية لهذا الحديث : « **خفف على داود عليه السلام القرآن ، فكان يأمر بدوابه ، فتُسْرَجْ ، فيقرأ القرآن قبل أن تُسرْجَ دوابه ، ولا يأكل إلا من عمل يده »** .

● عبادته عليه السلام ●

وقد وصف الله سبحانه وتعالى عبادة نبيه وعبده داود عليه السلام ، وإنابته ، وخشوعه ، وإخباته ، وكثرة تسبيحه ، فقال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ

(١) قال الحافظ في « الفتح » (٦ / ٥٢٤) : « والذى يظهر أن الذى كان يعمله داود بيده هو نسج الدروع ، وألان له الحديد ، فكان ينسج الدروع ، ويبيعها ، ولا يأكل إلا من ثمن ذلك مع كونه كان من كبار الملوك ، قال الله تعالى : ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ ﴾ [ص : ٢٠] ، وفي حديث الباب أيضًا ما يدل على ذلك ، (يعنى الحافظ الرواية التى أشرت إليها) ثم قال : وأنه مع سعته بحيث أنه كان له دواب تسرج إذا أراد أن يركب ، ويتولى خدمتها غيره ، ومع ذلك كان يتورع ، ولا يأكل إلا مما يعمل بيده » . ا.هـ .

قلت : فهذا وجه من الوجوه لبيان فضيلة داود ﷺ ، وهو من التواضع الجم ، فسبق أنه كان ملكًا متوجًا ، وخليفة في الأرض ، كما ذكر الله ذلك في كتابه ، ومع ذلك فقد كان يصنع الدروع ، ويأكل من عمل يده ، كما أخبر الله بذلك ، وأخبر أيضًا رسوله ﷺ ، ووجه آخر لبيان المنقبة والفضيلة التى نالها نبى الله داود في ذلك الحديث: هو ما أشار إليه رسولنا ﷺ بقوله في الحديث الصحيح : « إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه » .

يعنى : بعمل اليد ، ففيه إذًا فضل العمل باليد ، وتقديم ما يباشره الشخص بنفسه على ما يباشره غيره ، قال الحافظ في « الفتح » (٤ / ٣٥٨) : « والحكمة في تخصيص داود بالذكر أن اقتصاره في أكله على ما يعلمه بيده لم يكن من الحاجة ، لأنه كان خليفة في الأرض ، كما قال الله تعالى ، وإنما ابتغى الأكل من طريق الأفضل ، ولهذا أورد النبى ﷺ قصتهُ في مقام الاحتجاج بها على ما قدَّمه ، من أن خير الكسب عمل اليد ، وهذا بعد تقرير أن شرع من قبلنا شرع لنا ، ولا سيما إذا ورد في شرعنا مدحه ، وتحسينه ، مع عموم قوله تعالى : ﴿ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام : ٩٠] » .

عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (١) [ص : ١٧] .

○ وقال تعالى في وصف توبته : ﴿ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ [ص : ٢٤] .

فكان ﷺ من أعظم العابدين .

○ قال محمد العدوى ـ رحمه الله تعالى ـ (٢) : « وإنه من أجل ذلك ؛ أعطاه ما أعطاه ، ووهبه ما وهبه، وسخر له ما سخر ، فسخر له الجبال ، والطير ، كل يسبح الله لأجل تسبيحه ، وقوَّى ملكه ، وأعطاه العلم النافع، وأقدره على فصل الخصومات ، والقضاء بين الناس ، وغفر له ما ظنه ذنبًا حين تحاكمت إليه الخصوم ، ووهبه سليمان ، ونعمت الهبة . كل هذا لأن داود قوى في دينه ، صلب في عقيدته ، شديد في ثقته بربه وخالقه ، كثير الرجوع إلى مولاه في حاجاته وعبادته » .

● داود عليه السلام قدوة للمتقين ●

○ وقد أمر نبينا محمد ﷺ أن يقتدى به في جملة من يقتدى بهم ، وإليك الحديث بذلك :

---

(١) أواب : يعنى رجاع إلى الله في جميع الأمور بالإنابة إليه ، بالحب والتأله ، والخوف، والرجاء ، وكثرة التضرع ، والدعاء .
رجاع إليه ، عندما يقع منه بعض الخلل ، بالإقلاع والتوبة النصوح .
قاله السعدى رحمه الله تعالى .
قلت : وقصته مع الخصمين ، وما وقع له فيها مشهورة ، وهى مذكورة في سورة (ص : ٢١ ـ ٢٥) في كتاب الله عز وجل .

(٢) « دعوة الرسل إلى الله تعالى » (ص ٣٢٣) .

○ أخرج البخارى (١) من حديث مجاهد قال : قلت لابن عباس أنسجد في ص ؟ فقرأ : ﴿ ومن ذريته داود وسليمان ﴾ حتى أتى ﴿ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ فقال ابن عباس رضى الله عنهما : نبيكم ﷺ ممن أمر أن يقتدى بهم .

○ وأخرج البخارى أيضًا (٢) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال: ليس « ص » من عزائم السجود « ورأيت النبى ﷺ يسجد فيها » .

○ وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : « قرأ رسول الله ﷺ وهو على المنبر « ص » . فلما بلغ السجدة تَشزَّن الناس للسجود ، فقال النبى ﷺ : إنما هى توبة نبى(٣) ولكن رأيتكم تشزنتم للسجود ، فنزل فسجد وسجدوا » (٤) . تشزَّن : انتصب وتهيأ .

● صلاة داود وصيامه ●

○ عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ : « أحب الصيام إلى الله صيام داود كان يصوم يومًا ويفطر يومًا ، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود، كان ينام نصف الليل ، ويقوم ثلثه ، وينام سدسه » (٥) .

(١) (برقم : ٣٢٤١) وفي مواضع أخرى ، وأحمد (١ / ٣٦٠) .
(٢) (برقم : ٣٤٢٢) .
(٣) وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ [ص : ٢٤ ـ ٢٥] .
(٤) أخرجه أبو داود (١٤١٠) وعزاه الحافظ في « الفتح » (٢ / ٦٤٣) للحاكم وابن خزيمة . وهو في « صحيحه » (١١٤٥) ولكن أعلَّه هناك فليراجع .
أما الحافظ ابن كثير فقد مشَّاه في « بدايته » . والله أعلم .
(٥) حديث صحيح . أخرجه البخارى في مواضع كثيرة (٣٤٢٠ ، ٥٠٥٢) ومسلم (ص ٨١٦) .

○ وعنه أيضًا رضى الله [(١)] عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ألم أُنبأ أنك تقوم الليل ، وتصومُ النهار ؟ فقلت : نعم . فإنك إذا فعلت ذلك هجمت العين ونفهت النفس ، صم من كل شهر ثلاثة أيام ، فذلك صوم الدهر ، أو كصوم الدهر ، قلت : إني أجد بي** ـ قال مسعر (أحد الرواه) : يعني قوة ، قال : « **فصم صوم داود عليه السلام ، وكان يصوم يومًا ، ويفطر يومًا ، ولا يفرُّ إذا لا قى** » .

○ وفي « صحيح مسلم » [(٢)] من حديث أبي قتادة رضى الله عنه قال : «رجلٌ أتى النبى ﷺ ، فقال : كيف تصوم ؟ فغضب رسول الله ﷺ فلما رأى عمر رضى الله عنه غضبه ، قال : رضينا بالله ربا ، وبالإسلام دينًا ، وبمحمدٍ نبيًا ، نعوذ بالله من غضب الله ، وغضب رسوله. فجعل عمر رضى الله عنه يردد الكلام حتى سكن غضبه ، فقال عمر : يا رسول الله ! كيف بمن يصوم الدهر كلَّه ؟ قال: « **لا صام ولا أفطر** » ـ أو قال ـ : « **لم يصم ولم يفطر** » قال : وكيف من يصوم يومين ويفطر يومًا ؟ قال : ويطيق ذلك أحد ؟ قال : كيف من يصوم يومًا ، ويفطر يومًا ؟ قال : **ذاك صوم داود عليه السلام** [(٣)] ، قال : كيف من يصوم يومًا ويفطر يومين ؟ قال : وددت

---

(١) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٣٤١٩) وأيضًا (١٩٧٩) ومسلم (١١٥٩) وانظر ص (٨١٦) .

فائدة : وقد أفرد الإمام البخارى رحمه الله تعالى بابًا في صحيحه بعنوان : « صوم داود عليه السلام » وأورد هذا الحديث تحته ، قال الحافظ (فتح ٤ / ٢٦٤) نقلاً عن الزين ابن المنير : « وأفرد صيام داود عليه السلام بالذكر للإشارة إلى الاقتداء به في ذلك » .

(٢) (١١٦٢) وأحمد (٥ / ٢٩٥ ـ ٢٩٦) وغيرهما .

(٣) وفي صحيح البخارى (١٩٧٤) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال :=

أنى طوقت ذلك ، ثم قال رسول الله ﷺ : « ثلاث من كل شهر ، ورمضان إلى رمضان » فهذا صيام الدهر كله « صيام يوم عرفة » : أحتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله . والسنة التى بعده . « وصيام يوم عاشوراء » أحتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله » .

• خُفف القرآن على داود •

والقرآن هو الزبور وقيل التوراة [(١)] .

○ أخرج البخارى في « صحيحه » [(٢)] من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **خُفِّف على داود عليه السلام القرآن** [(٣)] **، فكان يأمر بدوابه ، فتُسرج . فيقرأ القرآن قبل أن تسرج دوابُّهُ ، ولا يأكل إلا من عمل يده** » .

= «دخل على رسول الله ﷺ فذكر الحديث يعنى : « إن لزورك عليك حقًا ، وإن لزوجك عليك حقا ، فقلت : وما صوم داود ؟ قال : نصف الدهر » .
وأورده مطولاً في الرواية التى تلته (برقم : ١٩٧٥) ، وهو في « صحيح مسلم » كذلك (ص : ٨١٧) .

(١) « الفتح » (٦ / ٥٢٤) لكن الحمل على أنه الزبور أولى ، وذلك لأن الله تعالى قال: ﴿ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً ﴾ [النساء : ١٦٣] ، وكذا رجح ذلك ابن الملقن في « التوضيح » (٢١٥) .

(٢) (برقم : ٣٤١٧) ، وأحمد (٢ / ٣١٤) .

(٣) قال الحافظ في « الفتح » (٨ / ٣٩٧) : « والمراد بالقرآن مصدر القراءة ، لا القرآن المعهود لهذه الأمة » انتهى . وقال ابن كثير : « والمراد بالقرآن ها هنا الزبور ، الذى أنزله الله عليه وأوحاه إليه » . وقد أشار صاحب « المصابيح » كما قال الحافظ في الفتح (١/ ٥٢٤) إلي أن قراءة كل نبى تطلق على كتابه الذى أوحى إليه ، وإنما سماه قرآنا للإشارة إلى وقوع المعجزة به كوقوع المعجزة بالقرآن .

وهذا كناية عن سرعة قراءته ﷺ لكتابه الزبور . مع صوته الرخيم الحسن .

قال الحافظ ابن كثير [١] : « فكان يقرأ الزبور بمقدار ما تسرج الدواب ، وهذا أمر سريع مع التدبر ، والترنم ، والتغنى به ، على وجه التخشع ، صلوات الله وسلامه عليه » .

(١) في « البداية » .



من فضائل سليمان عليه السلام [1]

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾

(١) وهو نبى الله ابن نبى الله داود عليهما السلام ، وقد سبق ذكر فضائل أبيه داود في الباب السابق . وهما نبيان ملكان كما قد سبق ، وكما سنورده إن شاء الله .

● من فضائل سليمان عليه السلام ●

○ جعله الله عزوجل هبة لأبيه داود عليهما السلام ، وأنعم به عليه ، وأقر به عينه ، ثم وصفه الله تعالى بأنه كأبيه داود في التقوى والعبادة .

○ قال تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (١) ﴾ [ص : ٣٠]. وهذا أعظم تزكية ، وأكبر فخر لسليمان .

○ وقد ورَّث الله سليمان علم أبيه ونُبوته وملكه ، فانضم علم أبيه إلى علمه .

○ قال تعالى : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ (٢) ﴾ [النمل : ١٦] .

○ وآتاه الله فهمًا في القضاء والحكم ، وعلمًا كثيرًا ، كما قال تعالى : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [الأنبياء : ٧٨ ـ ٧٩] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النمل : ١٥] .

○ وجمع الله عز وجل له بين النبوة والملك كما جمع لأبيه ، وزاده ملكًا عظيمًا لم ينله أحد قبله ، ولا يناله أحد بعده (٣) ، كما سيأتى ذلك إن شاء

---

(١) وهذا ثناء على سليمان بأنه كثير الطاعة ، والعبادة ، والإنابة إلى الله عزوجل .

(٢) قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ : « أى ورثه في النبوة والملك ، وليس المراد ورثه في المال ، لأنه قد كان له بنون غيره ، فما كان ليُخَص بالمال دونهم ، ولأنه قد ثبت في الصحاح من غير وجه عن جماعة من الصحابة أن رسول الله ﷺ قال : « لا نورث ما تركنا صدقة » (قلت محمد وهو في الصحيحين وغيرهما)، ثم قال : فأخبر الصادق المصدوق أن الأنبياء لا تورث أموالهم عنهم ، كما يورث غيرهم ،بل تكون صدقة من بعدهم على الفقراء ، والمحاويج ، لا يخصون بها أقربائهم ، لأن الدنيا كانت أهون عليهم . وأحقر عندهم من ذلك كما هى عند الذى أرسلهم ، واصطفاهم وفضلهم » .

(٣) « تيسير المنان » للشيخ أحمد فريد حفظه الله تعالى .

الله .

○ وعلمه الله سبحانه وتعالى لغة الطير ، فكان ﷺ يفهم ما يتحدثون ويتخاطبون ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ ﴾ [النمل:١٦] .

ويؤيد ذلك قصة الهدهد ، وتبسمه كذلك من كلام النملة ، إذ قد سمع وفهم كلامها ، وهذا فيه فضل عظيم من الله عليه ، واختصاص منه له ، وقد يكون معجزة له عليه السلام ، والله أعلم .

○ وسخر الله له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب ، والشياطين كل بناء وغواص ، وآخرين مقرنين في الأصفاد ، كما ذكر الله في كتابه ، وسيأتى بسط ذلك إن شاء الله .

○ وأكرمه الله عز وجل بالقرب منه ، وحسن الثواب ، كما أكرم أباه بذلك أيضًا ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ [ص: ٤٠]. فجعله الله تعالى من المقربين عنده ، المكرمين بأنواع الكرامات .

○ وقد برأه الله سبحانه في كتابه مما قُذف به بهتانًا من اليهود ، فنسبوا السحر الذى اختلقته الشياطين إليه ، ومن ثم كفروه ، فبرأه الله عزوجل من ذلك ، ونفى عنه هذا الكفر الذى قذفوه به .

○ قال تعالى : ﴿ وَاتَّبَعُوا (١) مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٠٢] .

---

(١) وهم فريق من اليهود الذين وصفهم الله جل ثناؤه بأنهم نبذوا كتابه ـ الذي أنزله على موسى ـ وراء ظهورهم ، تجاهلاً منهم ، وكفرًا بما هم عالمون ، قاله ابن جرير رحمه الله . =

. . . .

= (تفصيل لمعنى الآية الكريمة)

قال العلامة السعدى رحمه الله تعالى في « تفسيره » لهذه الآية : « هؤلاء اليهود لما نبذوا كتاب الله اتبعوا ما تتلوا الشياطين وتختلق من السحر على ملك سليمان حيث أخرجت الشياطين للناس السحر ، وزعموا أن سليمان عليه السلام كان يستعمله ، وبه حصل له الملك العظيم .

وهم كذبةٌ في ذلك ، فلم يستعمله سليمان ، بل نزَّهه الصادق في قوله ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ ﴾ أى بتعليم السحر ، فلم يتعلمه ، ﴿ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾ في ذلك » .

قلت : وأورد ابن الجوزى رحمه الله في كتابه « زاد المسير » (١ / ١٠٥) ستة أقوال في كيفية ما تلت الشياطين على ملك سليمان .

وقد بلور هذا المتعلق بتفسير هذه الآية الكريمة شيخنا أبو عبد الله على صورة أسئلة والجواب عليها بأسلوبٍ مركز بعيدٍ عما أورده المفسرون من روايات وحكايات لا تثبت إلى قائليها ، وإن ثبت البعض ، فلم يرد في ذلك أى خبرٍ لا في الكتاب ولا في السنة ، فمن أين أخذها قائلوها !! (١).

قال شيخنا أبو عبد الله مصطفى بن العدوى :

سؤال : ما معنى قوله تعالى : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ ﴾ [البقرة: ١٠٢] ؟.

الجواب : المعنى باختصار : أن اليهود اتبعوا ما تقولته الشياطين وافترته على ملك سليمان .

وقيل : إن المعنى واتبعوا ماتلته الشياطين (٢) في عهد ملك سليمان ، فقال هذا الفريق إن (على) تأتي بمعنى (في) ، و (في) تأتي بمعنى (على) أحيانًا ، كما في قول =

---

(١) يظهر جيدًا أن أغلبها متلقف من الإسرائيليات المنقوله عن أهل الكتاب ، وبنحوه قاله شيخنا مصطفى حفظه الله تعالى .

(٢) أى الشياطين الموجودون على عهد ملك سليمان عليه السلام ، فالحاصل أن من العلماء من قال : إن الشياطين افترت أشياء أثناء ملك سليمان عليه السلام .

ومن العلماء من قال : إن الشياطين افترت أشياء بعد وفاة سليمان عليه السلام ، وقالوا : هذه الشعوذات وصنوف السحر هى التى كان يحكم بها سليمان ، ويسخر بها الجن ، قاله الشيخ حفظه الله تعالى .

○ وقد عدَّد أبو إسحاق الثعلبى [١] مناقبه في باب قال فيه : (باب فيما خص به نبيه سليمان عليه السلام حين ملكه من أنواع المناقب والمواهب وغير ذلك) .

= فرعون : ﴿ولَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه : ٧١] ، أى على جذوع النخل .

سؤال : ما هو الذى تلته الشياطين على ملك سليمان عليه السلام ؟ أذكر بعض الآثار في ذلك ؟

جواب : تدور أكثر أقوال المفسرين على أن الذى تلته الشياطين على ملك سليمان هو بعض أنواع من السحر والشعوذة ابتدعتها الشياطين ، ونسبوها إلى سليمان عليه السلام، وزعموا أنه كان يُسخر بها الجن ، على تفصيلات للمفسرين في ذلك ووجهات لهم ، أما بالنسبة لبعض الآثار في ذلك فنورد بعض ما صح منها إلى قائليها ـ ثم أوردها ، ثم قال ـ: وهذه الآثار كما رأيت ثابتة إلى قائليها ، لكن الله أعلم من أين أخذها قائلوها والظاهر أنهم تلقوها من الروايات الإسرائيلية المنقولة عن أهل الكتاب والله أعلم .

سؤال: ما هو وجه نفى الكفر عن سليمان عليه السلام في قوله تعالى ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ [البقرة : ١٠٢] ؟

جواب : ذلك لأن اليهود ـ عليهم لعائن الله المتابعة إلى يوم القيامة ـ وصفوا سليمان عليه السلام بأنه ساحر واتهموه بالسحر ، ونسبوا السحر الذى اختلقته الشياطين إليه ، ومن ثم كفروه ، فبرأه الله عزوجل من ذلك ، ونفى عنه الكفر الذى قذفوه به ، والله تعالى أعلم .

(١) في « عرائس المجالس » (ص ٣٣٠ وما بعدها) . ونورد ذلك ملخصًا . فقد أورد جملة إسرائيليات في ذلك لا تكاد تنتهي ، وموقفنا منها أن لا نصدقها ولا نكذبها ، إذا لم تخالف شرعنا ، وأما إذا خالفت فمردودة ولا كرامة .

○ تنبيه : هذا ؛ وينظر كتاب : « كتب حذَّر منها العلماء » (٢ / ٢٠ ، ٢١) للشيخ مشهور بن حسن آل سلمان حفظه الله . فقد بيَّن فيه حال هذا الكتاب ، أعني كتاب «العرائس » الذي ألَّفَهُ الثعلبي ـ رحمه الله تعالى ـ . وإنما نقلنا منه في كتابنا هذا ما وافق الحق ، والله أعلم .

○ قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النمل : ١٥] .

○ وقال الله تعالى إخباراً عنه : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ [ص : ٣٥] .

فأجاب الله دعاءه ، وأكرمه بخصائص لم يكرم بها أحدًا من خلقه قبله، ولا بعده .

○ فمنها : تسخير الله له الريح ، كما قال عزوجل : ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ [ص : ٣٦] . أى : أراد ، بلغة حمير .

○ وكما قال تعالى : ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾ [سبأ : ١٢] .

○ ومنها : تعليم الله له كلام الطير ، حتى النمل ، كما قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ ﴾ [النمل : ١٦] .

ومنها : قصة وادى النمل ، قال الله تعالى ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ [النمل : ١٧] . أى يحبس أولهم على آخرهم . ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (١٨) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل : ١٨ ، ١٩] .

○ ويؤيد ذلك قصة الهدهد [١] التى ورد ذكرها في كتاب الله عزوجل ،

---

(١) إضافة لم يذكرها الثعلبى رحمه الله .

وستأتي .

○ ومنها : تخصيص الله تعالى سليمان عليه السلام بالخيل الجياد العراب، قال الله تعالى : ﴿ إِذْ عُرِضَ [١] عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴾ [ص : ٣١] . والصافنات : الخيل القائمات على ثلاث قوائم ، وقد أقامت الأخرى على طرف الحافر من يدٍ أو رجلٍ ، والجياد السراع .

○ وقوله : ﴿ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ ﴾ [ص : ٣٣] .

قال قوم من العلماء: حبسها في سبيل الله وكوى سوقها بميسم الصدقة.

○ ومال الحافظ في « الفتح » (٦ / ٥٢٩) إلى أن المراد بذلك : «مسح أعراف الخيل وعراقيبها » . واختاره ابن جرير [٢] .

○ ومنها : قوله تعالى : ﴿ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ﴾ [سبأ : ١٢] . أي أذبنا له عين النحاس فأسيلت كما تسيلُ الماء . وسهل عليه استخراج الأواني وغيرها منها .

○ ومنها : تسخير الله تعالى له الجن والإنس والطير والوحوش والشياطين يعملون له ما يشاء ، كما قال تعالى : ﴿ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ

(١) قال محمد العدوى أثابه الله في « دعوة الرسل » (ص ٣٣٥) : « كلمة (إذ) ظرف لمحذوف ، أى اذكر الوقت الذى عُرض فيه الصافنات الجياد ، والمراد أن يذكر هذه القصة ، وهى قصة عرض الخيل الجياد عليه ، كما هى عادة الملوك الذين يهتمون بما عندهم من مظاهر القوة ، ويستعرضونها ليتعرفوا قيمتها ، ليكون ذلك الاستعراض تفقدًا لها ، ومظهراً من مظاهر فضل الله تعالى ، وإرهابًا للعدو » .

(٢) قال الحافظ ابن كثير في « التفسير » (٤ / ٣٤) : « وهذا الذي رجح به ابن جرير فيه نظر ... » . ا . هـ .
قلت : وسياق الآيات لا يساعد على هذا المعنى ، والله أعلم .

يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ [سبأ : ١٢] . ومما عملوا له الغياصة .

○ كما قال تعالى : ﴿ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ ﴾ [الأنبياء : ٨٢] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴾ [ص : ٣٧] . فقد كانوا يغوصون في البحار ، ويستخرجون أنواع اللآلئ ، والدر ، والمرجان ، وسائر الجواهر البحرية ، وكانوا يستخرجون له اليواقيت ، والزمرد ، وأنواع الجواهر الثمينة من المعادن .

○ ومنها ـ : قوله تعالى : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ﴾ (١) [سبأ : ١٣] .

---

(١) قوله: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ ﴾ أما المحاريب فهى الأماكن الحسنة ، وصدور المجالس ، وأما قوله : ﴿ وَتَمَاثِيلَ ﴾ فهى الصور في الجدران .

قال ابن كثير : وهذا كان سائغًا في شريعتهم وملتهم ، وهو قول كثير من المفسرين . ا.هـ .

أما صاحب كتاب « دعوة الرسل » (١) (ص ٣١٧) فقال عند هذه الآية : « فيها بيان لعمل الجن المسخرة لسليمان ، فهى تعمل له محاريب ، وهى القصور الحصينة ، بما فيها من القوة على حمل الأثقال ، ونقل لوازم البناء ، وكذلك يعملون له تماثيل ، وهى مظهر من مظاهر العظمة ، وهو دليل على مشروعية التماثيل ، وأن الإسلام إذا حرّمها، فإنما يحرمها إذا كانت ذريعة للشرك والوثنية كالتماثيل التى تعمل للصالحين ، أما ما يعمل للعظماء الذين ليس من شأنهم أن يُعبدوا بهذه التماثيل ، فليس هناك وجه لتحريمها ، وما ورد من الأحاديث في النهى عن اتخاذ صورة أو تمثال فمحمول على ذلك ، ولو كانت التماثيل محرمة لذاتها ما أباحها الله لسليمان ، لأن الرسل جميعهم متفقون على محاربة الشرك وذرائع الشرك ، لأن التوحيد من الأصول التى لا تختلف =

---

(١) وهو الشيخ محمد أحمد العدوي .

○ ومنها : بناء بيت المقدس (١) .

= فيها الشرائع السماوية ، ولكن الجن كانت تعملها لسليمان ، وأقرها على ذلك العمل ، وادعاء أن ذلك النوع من التماثيل كان في غير الحيوان كالأشجار مثلاً ، خلاف الظاهر، وكذلك القول بأن ذلك كان شرعًا لسليمان ، وأنه مما تختلف فيه الشرائع . والظاهر أنها لم تكن تماثيل لعبادة أصحابها ، وأنها هي تماثيل لأغراض أخر .

وقوله : ﴿ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ ﴾ أى الحياض الكبيرة التى يجمع فيها الماء ، ولعل نبى الله كان يحتاج ذلك النوع ليخزن فيه الماء ، ﴿ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ﴾ أى قدور يطبخ فيها ، ثابتة لا تنقل من مكان إلى مكان لعظمها ، وكبر حجمها ، وذلك شأن الممالك الكبيرة ، والدول الواسعة ، يحتاج رجالها من آلات الطبخ قدورًا واسعة ثابتة لا تنقل لعظمتها » انتهى .

قلت : (محمد) : وهذا الذى قاله الشيخ محمد أحمد العدوى في بيان شأن التماثيل التى كانت تصنع لسليمان ، واحتجاجه بأنها مشروعة أيضًا في شريعتنا ، وأن تحريمها محمول على ما إذا كانت تعبد ، أو خشية أن تعبد ، فذلك فهمٌ بعيد أراه منه والله أعلم. ذلك أن المنع من التصوير في شريعتنا على العموم ، وليس هناك ما يدل على تقييد ذلك بما ذكره عفا الله عنه . فقد قال النبي ﷺ : « كل مصوِّر في النار » ، وقال صلوات الله وسلامه عليه : « أشد الناس عذابًا يوم القيامة المصورون » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « إن من أشد الناس عذابًا يوم القيامة الذين يشبهون بخلق الله عز وجل » .

أليس في هذا تشبيه ومضاهاة لخلق الله عز وجل ، وفي الحديث الآخر : « إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ، ويقال لهم : أحيوا ما خلقتم » ولم يستثن ، وراجع تفسير « القرطبى » فقد أفاض في ذلك رحمه الله تعالى .

(١) قلت : والظاهر أنه ليس أول من بناه ، بل ذلك كما يقول القرطبى (فيما نقله عنه الحافظ فتح ٦ / ٤٧١) : « إن الحديث لا يدل على أن سليمان لما بنى المسجد ابتدأ وضعه له بل ذلك تجديد لما كان أسسه غيره » بتصرف .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في « بدايته » : « ومعلوم أن بين إبراهيم الذى بنى المسجد الحرام وبين سليمان بن داود عليهما السلام أزيد من ألف سنة ، وليس أربعين سنة ، وكان سؤاله الملك الذى لا ينبغى لأحدٍ من بعده بعد إكماله البيت المقدس » .

● صفة بنيانه وبدء أمره ●

○ قال تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء : ١].

○ وقال تعالى : ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧١] .

قيل : بالمياه والأشجار والثمار .

وقيل : إن كل ماء عذب يخرج من تحت أصل الصخرة التى ببيت المقدس يهبط من السماء إليها ثم يتفرق في الأرض ، وذلك قوله تعالى : ﴿بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ .

إضافة [١]

○ وعن أبي ذر رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله أى مسجد وُضع في الأرض أول ؟ قال : **المسجد الحرام** . قال قلت : ثم أى ؟ قال : « **المسجد الأقصى** » ، قلت : كم كان بينهما ؟ قال : « **أربعون سنة ، ثم أينما أدركتك الصلاة بعْدُ فصلِّه ، فإن الفضل فيه** » [٢] .

وفي رواية [٣] : « **فصل ، والأرض لك مسجد** » .

○ **قال الحافظ في « الفتح »** (٦ / ٤٧٠) : « **قوله أربعون سنة** » قال

(١) لم يذكرها الثعلبى رحمه الله .
(٢) أخرجه البخارى (٣٣٦٦) ومسلم (٥٢٠) .
(٣) البخارى (٣٤٢٥) .

ابن الجوزى : فيه إشكال ، لأن إبراهيم بنى الكعبة ، وسليمان بني بيت المقدس ، وبينهما أكثر من ألف سنة انتهى ، ومستنده في أن سليمان عليه السلام هو الذى بنى المسجد الأقصى ما رواه النسائي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعًا بإسناد صحيح « **أن سليمان لما بنى بيت المقدس سأل الله تعالى خلالاً ثلاثًا** » الحديث .

○ وفي الطبرانى من حديث رافع بن عميرة : « **أن داود عليه السلام ابتدأ ببناء بيت المقدس ، ثم أوحى الله إليه : إنى لأقضى بناءه على يد سليمان**». وفي الحديث قصة ، قال : وجوابه أن الإشارة إلى أول البناء ، ووضع أساس المسجد ، وليس إبراهيم أول من بنى الكعبة ، ولا سليمان أول من بنى بيت المقدس ، فقد روينا أن أول من بنى الكعبة آدم ، ثم انتشر ولده في الأوض ، فجائز أن يكون بعضهم قد وضع بيت المقدس ، ثم بنى إبراهيم الكعبة بنص القرآن ، وكذا قال القرطبى : أن الحديث لا يدل على أن إبراهيم وسليمان لما بنيا المسجدين ابتدآ وضعهما لهما ، بل ذلك تجديد لما كان أسسه غيرهما .

قلت : وقد مشى ابن حبان في « صحيحه » على ظاهر هذا الحديث ، فقال : في هذا الخبر رد على من زعم أن بين إسماعيل وداود ألف سنة ، ولو كان كما قال لكان بينهما أربعون سنة ، وهذا عين المحال لطول الزمان - بالاتفاق - بين بناء إبراهيم عليه السلام البيت وبين موسى عليه السلام . ثم إن في نص القرآن أن قصة داود في قتل جالوت كان بعد موسى بمدة .

وقد تعقب الحافظ الضياء بنحو ما أجاب به ابن الجوزى . . . الخ » .

● دعوة سليمان ﷺ ●

○ قال ﷺ كما حكاه الله عنه : ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ [ص : ٣٥] .

○ وأخرج مسلم في « صحيحه » (١) من حديث أبي الدرداء رضى الله عنه قال : قام رسول الله ﷺ فسمعناه يقول : « **أعوذ بالله منك** » ، ثم قال: « **ألعنك بلعنة الله** » ثلاثًا . وبسط يده ، كأنه يتناول شيئًا ، فلما فرغ من الصلاة قلنا له : يا رسول الله ! سمعناك تقول شيئًا لم نسمعك تقوله من قبل ذلك ، ورأيناك بسطت يدك ، قال : « **إن عدوَّ الله إبليس جاء بشهاب من نار، ليجعله في وجهى ، فقلت : أعوذ بالله منك ، ثلاث مرات ، ثم قلت : ألعنك بلعنة الله التامة ، فلم يستأخر . ثلاث مرات ، ثم أردتُ أخذهُ ، والله ! لولا دعوة أخينا سليمان ، لأصبح موثقًا يلعب به ولدان أهل المدينة** » .

---

(١) (برقم ٥٤٢) .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : « وقد كان له عليه السلام من أمور الملك ، واتساع الدولة ، وكثرة الجنود ، وتنوعها ما لم يكن لأحد قبله ، ولا يعطيه الله أحدًا بعده كما قال : ﴿ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النمل : ١٦] ، و ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ [ص : ٣٥] ، وقد أعطاه الله ذلك بنص الصادق المصدوق .

ولما ذكر تعالى ما أنعم به عليه وأسداه من النعم الكاملة العظيمة إليه قال : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [ص : ٢٩] ، أى أعط من شئت واحرم من شئت فلا حساب عليك ، أى تصرَّف في المال كيف شئت ، فإن الله قد سوَّغ لك ما تفعله من ذلك ، ولا يحاسبك على ذلك ، وهذا شأن النبى الملك بخلاف العبد الرسول ، فإن من شأنه ألا يعطي أحدًا إلا بإذن الله له في ذلك » (١) .

---

(١) وقد سطَّرت هذا الفارق بين النبى الملك ، والعبد الرسول في مقدمة تحقيقى لكتاب « أحاديث الأنبياء ص ٤١٨» لابن عبد الواحد المقدسى رحمه الله تعالى . وهو منقول عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

● تسخير الريح له تجرى بأمره وتذليل الجن له ●

وهذه الخاصية التى نالها سليمان عليه السلام ، إنما هى ببركة دعائه لربه عزوجل ، فأجاب الله دعاءه ، وأكرمه بخصائص لم يكرم بها أحدًا من خلقه من قبله ولا بعده . فكان من ذلك كما ذكرنا : تسخير الله له الريح وتذليل الجن له .

○ قال تعالى مخبراً عنه : ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ [1] ﴾ [ص : ٣٥ - ٣٨] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سبأ : ١٢ ، ١٣] .

○ وأخرج البخارى ومسلم [2] في « صحيحيهما » من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ : « **إن عفريتًا من الجن تفلّت البارحة ، ليقطع عليَّ صلاتى ، فأمكننى الله منه ، فأخذته فأردت أن أربطه على سارية من سوارى المسجد ، حتى تنظروا إليه كلكم ، فذكرت دعوة أخى سليمان : ﴿ رَبِّ**

(١) والمعنى : أن من عصاه وتمرد منهم ، قرنه في الأصفاد ، وأوثقه ، وجمع يديه إلى عنقه بالأغلال والأكبال .

(٢) خ (٣٤٢٣) وفي مواضع أخرى ، وم (٥٤١) ، وأحمد (٢ / ٢٩٨) .

اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (١) ﴾ [ص : ٣٥]، فرددته خاسئًا » .

وفي رواية للنسائي(٢) : « اعترض الشيطان في مصلاى ، فأخذت بحلقه فخنقته حتى وجدت برد لسانه على كفِّي ، ولولا ما كان من دعوة أخي سليمان، لأصبح موثقًا تنظرون إليه » .

○ وأخرج الحاكم في « المستدرك » (٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال « سألت الله مسألة وددت أني لم أكن سألته . ذكرتُ رسل ربي ، فقلت : يا رب ! سخرت لسليمان الريح ، وكلمت موسى ، فقال تبارك وتعالى : ألم أجدك يتيمًا فآويتك ، وضالاً فهديتك ، وعائلاً فأغنيتك ، قال : فقلت : نعم ، فوددت أني لم أسأله » .

○ وأخرج البزار كما في « كشف الأستار » (٣ / ١٣١) من حديث جابر بن سمرة أن النبي ﷺ قال : « إن الشيطان عرض لي ، فجعل يلقي

---

(١) قال الحافظ في « الفتح » (٦ / ٥٣٠) : « وفي هذه إشارة إلي أنه تركه رعاية لسليمان عليه السلام ، ويحتمل أن تكون خصوصية سليمان استخدام الجن في جميع ما يريده لا في هذا القدر فقط » .

(٢) في « الكبرى » (١ / ١٩٦) (٥٥١) ، وابن حبان في « صحيحه » (٢٣٤٩١) ، وسنده حسن من أجل محمد بن عمرو بن علقمة ، وهو حسن الحديث . وله شاهد عند بحشل في « تاريخه » (ص : ١٤٨) عن عائشة رضى الله عنها مرفوعًا .

(٣) (٢ / ٥٢٦) ،والطبراني في « الكبير »(١١ / ٤٥٥) (١٢٢٨٩) وفي « الأوسط » (٤ / ٣٩٠) والبيهقي في « الدلائل » (٧ / ٦٢ ، ٦٣) .

قلت : وجوَّد إسناده ابن الجزري في « القراءات العشر » (٢ / ٣٩١) كما نقله عنه الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ وصححه هو أيضًا في « الصحيحة » (٦ / ١ / ٨٧) (حديث : ٢٥٣٨) .

عليَّ شرر النار ، فلولا دعوة أخي سليمان لأخذته »(١) .

● إجابة الله عز وجل لتساؤلاته ●

○ ففي « سنن النسائي »(٢) و« مسند أحمد »(٣) من حديث عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ : « **أن سليمان بن داود ﷺ لما بنى بيت المقدس سأل الله عز وجل خلالاً ثلاثة ، سأل الله عز وجل حكمًا يصادف حكمه ، فأوتيه، وسأل الله عز وجل ملكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعده ، فأوتيه ، وسأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد ، أن لا يأتيه أحد لا ينهزه إلا الصلاة فيه أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه** » .

عند ابن حبان (موارد ١ / ٤٥٢) : قال رسول الله ﷺ : « **وأرجو أن يكون الله قد أعطاه الثالثة** » .

○ وفي رواية عند الحاكم(٤) : « **إن سليمان بن داود سأل ربه ثلاثًا فأعطاه اثنتين ، ونحن نرجوا أن يكون أعطاه الثالثة ، سأله حكمًا يصادف**

---

(١) وقد حسَّنه الشيخ مقبل بن هادي ـ حفظه الله تعالى ـ في « الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين » (٣ / ٤٤٨) .

(٢) (٢ / ٣٤) ، وهذا لفظه .

(٣) (٢ / ١٧٦) وأخرجه ابن خزيمة (١٣٣٤) وابن ماجة (١٤٠٨) والحاكم (٢ / ٤٣٤) والنسائي في الكبرى (١ / حديث ٧٧٢) والخطيب في « الرحلة في طلب العلم » (رقم : ٤٧) من طرق عن ربيعة بن يزيد قال سمعت ابن الديلمي عن عبد الله بن عمرو به مرفوعًا .

قلت : وقد صحح إسناده الحافظ في « الفتح » (٦ / ٤٧٠) .

(٤) (١ / ٣٠ المستدرك) ، وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح ، قد تداوله الأئمة ، وقد احتجا بجميع رواته ، ثم لم يخرجاه ، ولا أعلم له علة » .

حكمه فأعطاه إياه ، وسأله ملكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعده ، فأعطاه إياه ، وسأله إيما رجل خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة في هذا المسجد ، أن يخرج من خطيئته كيوم ولدته أمه ، نحن نرجوا أن يكون الله قد أعطاه إياه » .

• عِظمُ ملك سليمان عليه السلام •

○ قال تعالى بعد أن عَدَّدَ عليه الذي وهبه له : ﴿ **هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ [ص : ٣٩] .

○ وعن عبد الرحمن بن أبي عقيل الثقفي قال : قدمت على رسول الله ﷺ في وفد ثقيف فعلقنا طريقًا من طرق المدينة ، حتى أنخنا بالباب ، وما في الناس من رجلٍ أبغض إلينا من رجلٍ يولج عليه منه ، فدخلنا وسلمنا وبايعنا ، فما خرجنا من عنده حتى ما في الناس رجل أحب إلينا من رجلٍ خرجنا من عنده ، فقلت له : يا رسول الله : ألا سألت ربك ملكًا كملك سليمان ؟ فضحك ، وقال : « **فلعل لصاحبكم عند الله أفضل من ملك سليمان ، إن الله لم يبعث نبيًا إلا أعطاه الله دعوة ، فمنهم من اتخذ بها دنيا فأعطيها ، ومنهم من دعا بها على قومه ، فأهلكوا بها ، وإن الله أعطاني دعوة ، فاختبأتها عند ربي شفاعة لأمتي يوم القيامة** » (١) .

---

(١) أخرجه ابن خزيمه في « التوحيد » (ص ٢٦٩) والبخاري في « التاريخ الكبير » (٥ / ٢٥٠) وابن أبي شيبة (٦ / ٣١٨) والبزار (كشف ٣٤٥٩) والفسوي في « تاريخه » (١ / ٢٨٨) من طرقٍ : عن عون بن أبي جحيفة السوائي عن عبد الرحمن بن علقمة الثقفي عن عبد الرحمن بن أبي عقيل به مرفوعًا .

قلت : وإسناده حسن .

• • علمه بالقضاء • •

• قصة الغنم والحرث •

○ قال الله تعالى : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ (١) [الأنبياء٧٨ ـ ٧٩] .

• قصة المرأتين اللتين تنازعتا في الولد •

○ ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن إحداهما ، فقالت لصاحبتها : إنما ذهب بابنك ، وقال الأخرى : إنما ذهب بابنك ،**

(١) قال السعدي ـ رحمه الله تعالى ـ: « أي : واذكر هذين النبيين الكريمين « سليمان » و « داود » مثنيًا مبجلاً ، إذ آتاهما الله العلم الواسع ، والحكم بين العباد ، بدليل قوله ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ﴾ أي : إذ تحاكم إليهما صاحب حرث ، نفشت فيه غنم القوم الأخرى ، أي : رعت ليلاً ، فأكلت ما في أشجاره ، ورعت زرعه ، فقضى فيه داود عليه السلام ، بأن الغنم تكون لصاحب الحرث ، إلى تفريط أصحابها ، فعاقبهم بهذه العقوبة .
وحكم فيها سليمان بحكم موافق للصواب ، بأن أصحاب الغنم يدفعون غنمهم إلى صاحب الحرث ، فينتفع بدرّها وصوفها ، ويقومون على بستان صاحب الحرث ، حتى يعود إلى حاله ، فإن عاد إلى حاله ، ترادّا ، ورجع كل منهما بماله ، وكان هذا من كمال فهمه وفطنته عليه السلام ، ولهذا قال : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾ أي : فهمناه هذه القضية ، ولا يدل ذلك أن داود لم يفهمه الله في غيرها ، ولهذا خصهما بالذكر بدليل قوله ﴿ وَكُلاًّ ﴾ من داود وسليمان ﴿ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ ، وهذا دليل على أن الحاكم قد يصيب الحق والصواب ، وقد يخطئ ذلك ، وليس بملوم إذا أخطأ مع بذل اجتهاده » . انتهى .

فتحاكما إلى داود عليه السلام ، فقضى به للكبرى ، فخرجتا على سليمان بن داود عليهما السلام ، فأخبرتاه ، فقال : ائتونى بالسكين أشقه بينهما ، فقالت الصغرى : لا تفعل يرحمك الله ، هو ابنها ، فقضى به للصغرى ، قال أبو هريرة: والله إن سمعت بالسكين قط إلا يومئذ ، وما كنا نقول إلا المدْية » [1] .

● تمنى سليمان عليه السلام أن تلد له كل امرأة من نسائه فارسًا يجاهد في سبيل الله وقوته في الجماع ﷺ ●

○ عن أبي هريرة عن النبى ﷺ قال : « قال سليمان بن داود : لأطوفن[2] الليلة على سبعين [3] امرأة تحمل كلُّ امرأة فارسًا يجاهد في سبيل

(١) أخرجه البخارى (٦٧٦٩) (وفي مواضع أخرى ٣٤٢٧) ومسلم (١٧٢٠) وأحمد (٢ / ٣٢٢ ، ٣٤٠) والنسائي (٨ / ٢٣٤ ، ٢٣٦) .
قال الحافظ ابن كثير :
« ولعل كلاً من الحكمين كان سائغًا في شريعتهم ، ولكن ما قاله سليمان أرجح ، ولهذا أثنى الله عليه بما ألهمه إياه ، ومدح بعد ذلك أباه ، فقال : ﴿ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا... ﴾ [الأنبياء : ٧٩] .

(٢) قال الحافظ في « الفتح » (٦ / ٥٣١) : « هذا قاله على سبيل التمنى للخير ، وإنما جزم به لأنه غلب عليه الرجاء ، لكونه قصد به الخير ، وأمر الآخرة ، لا لغرض الدنيا قال بعض السلف : نبه ﷺ في هذا الحديث على آفة التمنى والإعراض عن التفويض ، قال : ولذلك نسى الاستثناء ليمضي فيه القدر » .

(٣) صحح البخارى رواية : « تسعين » على « سبعين » وراجع « الفتح » (٦ / ٥٣١) فقد جمع بين تلك الروايات هناك ، ولم يطرح شيئًا منها بل حاول التوفيق بينها . أعني الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ .

الله ، فقال له صاحبه : إن شاء الله ، فلم يقل ، ولم تحمل شيئًا إلا واحدًا ساقطًا أحد شقيْه ، فقال النبي ﷺ : لو قالها لجاهدوا في سبيل الله » (١) .

● قصة الهدهد وما حدث مع ملكة سبأ ●

○ وقد قصها الله علينا في كتابه .

وفيها من عظيم فضل الله على نبيِّه سليمان عليه السلام . وبيان كيف كان سليمان نبيًا كريمًا ، وملكًا عظيمًا ، ولنورد ما ورد في كتاب الله عزوجل في شأن هذه القصة الكريمة ، وهى في غُنْية عن البسط والتفصيل أكثر مما ورد به التنزيل (٢) . فلنكتفى بذلك والله المستعان وعليه التكلان .

---

(١) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٣٤٢٤) ومسلم (رقم : ١٦٥٤) (ص ١٢٧٦) [٢٥] وأحمد (٢ / ٢٧٥) والنسائي (٧ / ٢٥) وفي « الكبرى » (٥ / ٣٢٨) (٦ / ٣٨٥) وقال الحافظ في « الفتح » (٦ / ٥٣٢) : « والمراد : أنه كان يحصل له ما طلب ، ولا يلزم من إخباره ﷺ بذلك في حق سليمان في هذه القصة أن يقع ذلك لكل من استثنى في أمنيته بل في الاستثناء رجُوّ الوقوع ، وفي ترك الاستثناء خشية عدم الوقوع ، وبهذا يجاب عن قول موسى للخضر : ﴿ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا ﴾ [الكهف : ٦٩] ، مع قول الخضر له آخرًا : ﴿ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف: ٨٢] ، وفي الحديث فضل فعل الخير وتعاطى أسبابه ، وأن كثيرًا من المباح والملاذ يصير مستحبًا بالنية والقصد .
وفيه استحباب الاستثناء لمن قال سأفعل كذا . وأن إتباع المشيئة اليمين يرفع حكمها ، وهو متفق عليه بشرط الاتصال » ، ثم قال : « وفيه جواز السهو على الأنبياء ، وأن ذلك لايقدح في علو منصبهم » .

(٢) إلا ما كان فيها من عبر وأحكام ، فهذا لا يأتى عليه الحصر ، فلعل ذلك يُستدرك إن شاء الله .

○ قال تعالى : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢) إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦) قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧) اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣١) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ (٣٢) قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٦) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لاَّ قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (٣٧) قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠) قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ (٤١) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (٤٢) وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ (٤٣) قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [النمل : ٢٠ ـ ٤٤] .

• إكرام الله له •

○ ولما ذكر الله تعالى ما وهبه لنبيه سليمان عليه السلام من خير الدنيا نبَّه على ما أعده له في الآخرة من الثواب الجزيل ، والأجر الجميل ، والقربة التى تقربه، والفوز العظيم ، والإكرام بين يديه، وذلك يوم المعاد والحساب، حيث يقول تعالى : ﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [ص:٢٥][(١)] .

• سؤاله ﷺ اللحوق بالصالحين •

○ قال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل: ١٩].

• وفاة سليمان ﷺ •

○ قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ [سبأ : ١٤] .

---

(١) قاله الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في « البداية » ونحوه في « التفسير » (٤ / ٣٨ المكتبة القيمة) .

● طائفة من أقوال أهل العلم في تفسير الآية الكريمة [١] ●

○ **قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى [٢] :** « يذكر تعالى كيفية موت سليمان عليه السلام ، وكيف عمى الله موته على الجان المسخرين له في الأعمال الشاقة ، فإنه مكث متوكئًا على عصاه ، وهي منسأته ـ كما قال ابن عباس رضى الله عنهما ، ومجاهد ، والحسن ، وقتادة ، وغير واحد ـ : مدة طويلة نحوًا من سنة ، فلما أكلتها دابة الأرض ، وهى الأرضة ضعفت ، وسقط إلى الأرض ، وعُلم أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة . تبنيت الجن ، والإنس أيضًا ، أن الجن لا يعلمون الغيب كما كانوا يتوهمون ويوهمون الناس ذلك ، وقد ورد في ذلك حديث مرفوع غريب ، وفي صحته نظر .

قال ابن جرير : ثم ساق بإسنادٍ إلى رسول الله ﷺ قال [٣] : « **كان نبى الله سليمان عليه السلام إذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه ، فيقول لها : ما اسمك؟ فتقول : كذا ، فيقول : لأى شئ أنت ؟ فإن كانت لغرس غُرست ، وإن كانت لدواء كتبت ، فبينما هو يصلى ذات يوم إذ رأى شجرة بين يديه ، فقال لها : ما اسمك ؟ قالت : الخروب ، قال : لأى شئ أنت ؟ قالت : لخراب هذا البيت ، فقال سليمان عليه السلام : اللهم عمِّ على الجن موتى ، حتى يعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب ، فنحتها عصا ، فتوكأ عليها حولاً ميتًا ،**

---

(١) ونحن إذ نورد ذلك لم نذكرها لمجرد السرد لها فقط ، ولكن حتى يجتنب القارئ ما جاء في ذلك من إسرائيليات ، ليس عليها دليل من كتاب الله ، ولا من حديث رسول الله ﷺ الثابت الصحيح .

(٢) في « تفسيره » (٣ / ٤٩٥ وما بعدها) .

(٣) قلت : وفي سنده كلام ، مع غرابة المتن ، كما نقل الحافظ ابن كثير .

والجن تعمل ، فأكلتها الأرضة ، فتبينت الإنس أن الجن لا كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولاً في العذاب المهين » قال : وكان ابن عباس يقرؤها كذلك ، قال : فشكرت الجن للأرضة فكانت تأتيها بالماء » .

وهكذا رواه ابن أبي حاتم .

وفي رفعه غرابة ، ونكارة (١) ، ثم قال رحمه الله بعد أن أورد أثرًا نحو الذى مضى : « وهذا الأثر والله أعلم إنما هو مما تلقى من علماء أهل الكتاب وهى وقف لا يصدق منه إلا ما وافق الحق ، ولا يكذب منها إلا ما خالف الحق والباقى لا يصدق ولا يكذب » (٢) .

○ **وقال السعدى ـ رحمه الله ـ** (٣) : « فلم يزل الشياطين يعملون لسليمان عليه الصلاة والسلام كل بناء ، وكانوا قد موّهوا على الإنس ، وأخبروهم أنهم يعلمون الغيب ، ويطلعون على المكنونات . فأراد الله تعالى أن يُرى العباد كذبهم في هذه الدعوة ، فمكثوا يعملون على عملهم . وقضى الله بالموت على سليمان عليه السلام ، واتكأ على عصاه ، وهى المنسأة ،

---

(١) وصوَّب الوقف ، فقال : وهو الأقرب ، كما في « التفسير » وفي « البداية » : « وهو أشبه بالصواب » ولا يعنى أنه صحيح ، فلعله من الإسرائيليات أيضًا أخذ ـ أعني الموقوف ـ .

(٢) وهذا هو موقف الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى من كثير من الإسرائيليات ، موقف المتمسك بالدليل القرآنى ، والنص الصحيح النبوى ، فقد قال عند قصة الخصمين المشهورة بعد أن أورد النص القرآنى فحسب ، ولم يورد سواه ، قال رحمه الله : « وقد ذكر كثير من المفسرين من السلف والخلف ها هنا قصصًا وأخبارًا أكثرها إسرائيليات ومنها ما هو مكذوب لا محالة تركنا إيرادها في كتابنا قصداً ، اكتفاء على مجرد تلاوة القصة من القرآن ، والله يهدى من يشاء إلى صراطٍ مستقيم » انتهى من « البداية » .

(٣) في « تفسيره » (٦٢٣ ط الرسالة) عند آية (سبأ : ١٣ ، ١٤) .

فصاروا إذا مروا به وهو متكئ عليها ، ظنوه حيًّا وهابوه .

فغدوا على عملهم كذلك سنة كاملة على ما قيل [(١)] ، حتى سلطت دابة الأرض على عصاه ، فلم تزل ترعاها ، حتى بادت ، وسقطت فسقط سليمان ، وتفرقت الشياطين ، وتبينت الإنس أن الجن : ﴿ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ [سبأ : ١٤] ، وهو العمل الشاق عليهم فلو علموا الغيب ، لعلموا موت سليمان ، الذى هم أحرص شئ عليه ، ليسلموا مما هم فيه » انتهى .

ويقول الشيخ العدوى ـ رحمه الله تعالى ـ [(٢)] : « أى فلما قضى الله الموت على سليمان ، ما دلَّ على موته إلا دابة الأرض تأكل عصاه ، وقد كانت الجن في أمكنة بعيدة عن سليمان لا يفترون عن عملهم خشية أن يعاقبهم ، وبعد مدة لم يحدِّدها القرآن علم أحد الجن بموته ، إذا رأى عصاه ملقاه على الأرض ، فرفعها ، فإذا الأرضة قد أكلتها ، فاستدل مِنْ أكل الأرضة لها أن سليمان قد تركها مدة طويلة ، وما كان ليتركها إلا لحدث من موتٍ أو مرض ، وقد كانت العصا من شارات الرئيس والرياسة ، وبخاصة من كان ملكًا كسليمان لا يتركها ما دام صحيحًا معافى .

وعلى ذلك الوجه فقوله ﴿ خرَّ ﴾ المراد به مات ، وفي القاموس ، وفي لسان العرب : أن خرَّ تأتى بمعنى مات ، أو الضمير في قوله ﴿ ما دلهم ﴾

---

(١) هذا اعتمادًا منه رحمه الله على الحديث الذى أورده الحافظ ابن كثير وقد علمت ما قال فيه الحافظ رحمه الله ، ولكن السعدى رحمه الله احتاط لنفسه ، وهو دأبه رحمه الله فلم يجزم بذلك ، بل ذكره مُمَرَّضًا ، فلله الحمد .

(٢) في كتابه « دعوة الرسل إلى الله تعالى » (ص ٣١٨) ط دار المعرفة .

لأهل سليمان ، والخرور : السقوط ، وقد كان سليمان عليه السلام وُجد في محرابه (١) ، وقد أدركه الموت وهو جالس متكىء على عصاه ، فجاءت الأرضة وأكلت بعضه ، فانهار الجزء الذى أكلته ، فاختل التوازن فخر ، فدل ذلك أهله على موته .

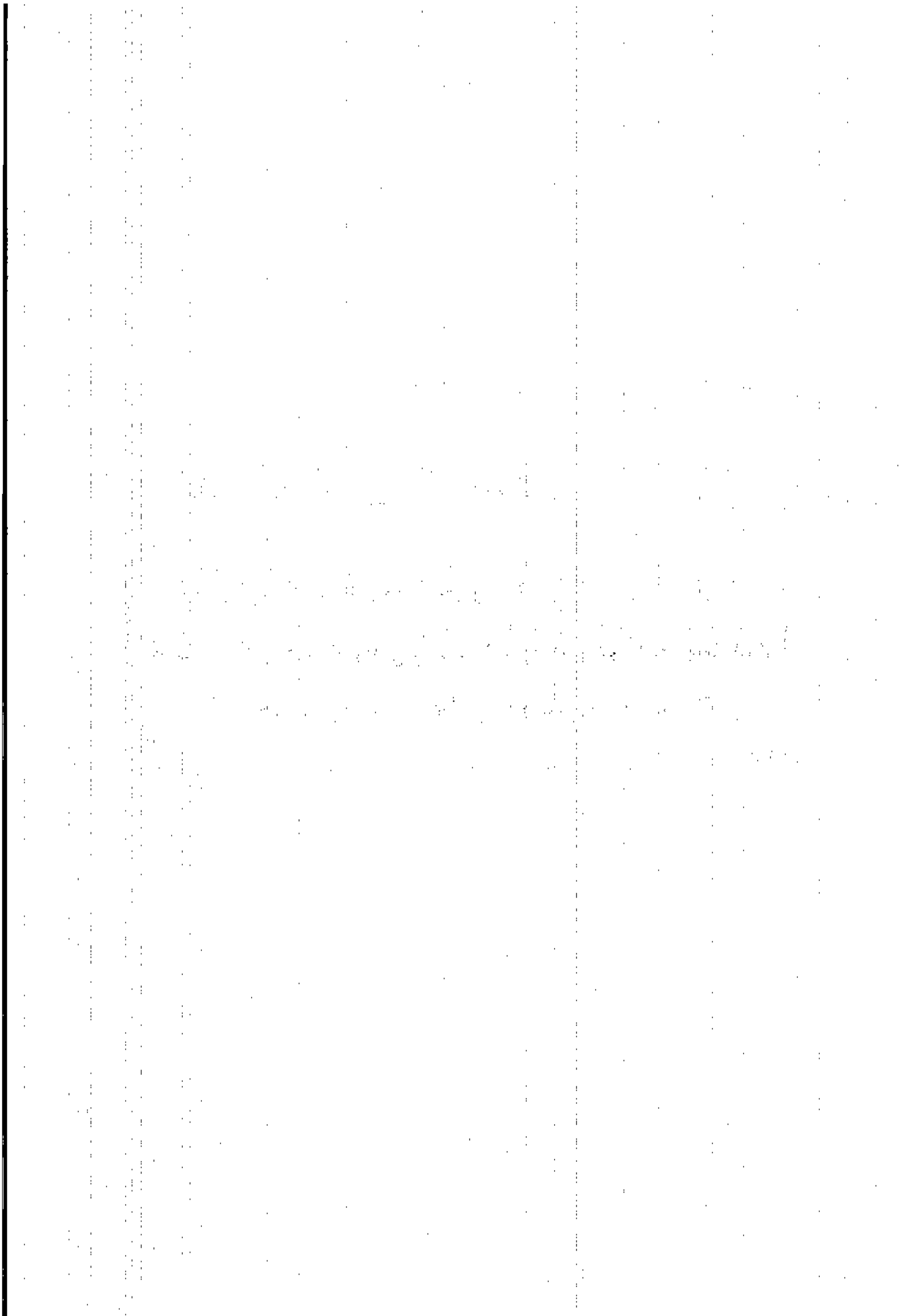
وقوله : ﴿ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ الغيب هنا : ما غاب عنهم من موته سليمان ، وهو يدلنا على أن الجن قد أخفى الله عنهم موت سليمان ، وأنهم أسفوا على بقائهم في عملهم مدة مات فيها سيدهم ومسخرهم » انتهى .

---

(١) وهذا أيضًا لا نستطيع الجزم به ، هل كان في محرابه عند أهله ، أو كان مسافرًا بعيدًا عنهم ، إذ كيف يظل هذه المدة متكئًا على عصاه وتأتى الأرضة فتأكل عصاه ، فيخرّ ميتًا ثم يعلم أهله بعد ذلك ! إلا إذا كان لأمر يريده الله سبحانه ، أن يكون بينهم ولم يعلموا عنه شيئًا ، لكن كما قدمناه لا نستطيع الجزم بهذا أو بذاك ، ولزوم ما ورد في شأنه في الكتاب أولى والله أعلم .

من فضائل زكريا عليه السلام

﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩)
فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ
فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾



● من فضائل زكريا عليه السلام ●

● نبوته ﷺ ●

○ قال تعالى ـ بعد ذكره هو وعدد من الأنبياء ـ : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام : ٨٩ ، ٩٠] .

● ثناء الله عليه ●

○ قال تعالى : ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [الأنعام: ٨٥] .

● بشارات وكرامات لنبى الله زكريا عليه السلام ●

○ وهذه البشارات ، وتلك الكرامات ، إنما هى ببركة دعاء هذا النبى الكريم ، وإلحاحه على ربه سبحانه وتعالى ، فأجاب له دعوته ، ومنَّ عليه وأكرمه .

○ قال تعالى : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا (١) كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ (٢) وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ

(١) فقد جعله الله سبحانه وتعالى كافلاً لها ـ أعني مريم عليها السلام ـ .

(٢) محل العبادة ، وفيه إشارة إلى كثرة صلاتها وملازمتها لمحرابها .

الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ (١) مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (٢) ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً (٣) قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا (٤) وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ ﴾ [آل عمران : ٣٧ ـ ٤١] .

○ يقول الشيخ السعدي ـ رحمه الله تعالى ـ : « كان هذا المولود من بركات مريم بنت عمران ، على زكريا ، فإن ما منَّ الله به عليها ، من ذلك الرزق الهني ، الذي يحصل بغير حساب ، ذكره وهيجه على التفرغ والسؤال ، والله تعالى هو المتفضل بالسبب والمسبب ، ولكن يقدِّر أموراً محبوبة على من يحبه ، ليرفع الله قدره ، ويعظم له أجره » .

○ وقد أُمِر رسول الله ﷺ أن يقص على الناس خبر زكريا عليه السلام، وما كان من أمره حين وهبه الله ولدًا على الكبر ، وكانت امرأته عاقرًا في

(١) قال السعدي رحمه الله : « الكلمة من الله : عيسى ابن مريم . فكانت بشارته بهذا النبي الكريم ، تتضمن البشارة بـ « عيسى ابن مريم » والتصديق له ، والشهادة له بالرسالة » .

(٢) قال ابن كثير : « هذه بشارة ثانية بنبوة يحيى بعد البشارة بولادته ، وهي أعلى من الأولى ،كقوله لأم موسى : ﴿ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص : ٧] » .

(٣) أي : أستدل بها على أن امرأتي حملت .

(٤) قال السعدي ـ رحمه الله تعالى ـ(*) : « وهذه من الآيات العجيبة ، فإن منعه من الكلام مدة ثلاثة أيام ، وعجزه عنه من غير خرس ، ولا آفة ، بل كان سويًا ، لا نقص فيه ، من الأدلة على قدرة الله الخارقة للعوائد ، ومع هذا ، ممنوع من الكلام ، الذي يتعلق بالآدميين وخطابهم ، وأما التسبيح ، والذكر ، ونحوه ، فغير ممنوع منه » .

(*) وليس كلامه عند تفسير هذه الآيات من سورة آل عمران ، بل عند سورة مريم [مريم : ١٠] .

حال شبيبتها (١) ، وقد أسنت أيضًا ، حتى لا ييأس أحد من فضل الله ورحمته ، ولا يقنط من فضله تعالى وتقدَّس (٢) . فقال تعالى : ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ (٣) وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ۝٩ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ

(١) راجع « تفسير ابن كثير » (٣ / ١٠٨ المكية القيمة) .

(٢) « أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ » (٢٩٠) .

(٣) قال الطحاوي ـ رحمه الله تعالى ـ في (« مشكل الآثار » ٣ / ١٠ و ١٢) : « .. ما كان من زكريا ﷺ في ذلك مما سأله ربه عز وجل أن يهب له من يرثه ، لم يكن ذلك لمال يرثه عنه ، وأي مال كان له ﷺ ، وإنما كان زاهدًا نجارًا يعمل بيده ، ولما كان نجارًا ﷺ ليس من ذوي الأموال ، عقلنا بذلك أن الذي سأله ربه عز وجل ، أن يرثه عنه من يهب له غير الأموال ، وهي النبوة ، كمثل سائر أنبياء الله عز وجل صلوات الله عليهم ، فلم يرثوا دينارًا ولا درهمًا ، وإنما ورثوا العلم (*) ، وزكريا ﷺ منهم ، فلم يورث شيئًا من المال ، فإن قال قائل : فقد قال الله عز وجل : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ ﴾ [النمل : ١٦] . فإن ذلك عندنا ـ والله أعلم ـ هو ما كانت الأنبياء تورثه مما هو سوى الأموال .

فإن قال: فقد كان سليمان في حياة داود ـ صلى الله عليهما ـ نبيًا، فما الذي ورثه عنه؟ قيل : ورث عنه حكمته ، وما يُورث عن مثله . وكان ذلك مضافًا إلى نبوته التي كانت معه قبل ذلك » انتهى .

(*) وقد صح في ذلك حديث عن رسول الله ﷺ ، وفيه : « إن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر » وقد أودعته في كتاب « أحاديث الأنبياء » . لابن عبد الواحد المقدسي ـ رحمه الله ـ (مقدمتي له ص ٤٧ ، ٤٨) .

آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ⑩ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ⑪ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ⑫ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ⑬ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ⑭ وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم : ٢ ـ ١٥] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ⑧٩ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٩ ـ ٩٠] .

○ فوهبه الله تعالى يحيى ولدًا ونعمت الهبة ، وجعله الله نبيًا كريمًا ، وذلك الفضل من الله ، ولم يجعل من اسمه شبيهًا ولا نظيرًا من قبل .

○ ولدًا آتاه الله الحكم في صباه .

○ وكذا حنانًا وزكاة ، ورحمة ورأفة ، وطهارة وعفة ، وكان تقيًا .

إلى غير ذلك من الصفات والأوصاف الحميدة ، والأخلاق الحسنة ، التي سيأتي ذكرها في الباب القادم إن شاء الله تعالى .

● تواضعه وزهده ●

فقد كان زكريا عليه السلام يأكل من عمل يده : وهي منقبة له عليه السلام ، كما هي منقبة لنبي الله داود عليه السلام كما ذُكر قبل .

○ ففي « صحيح مسلم »[1] من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ

---

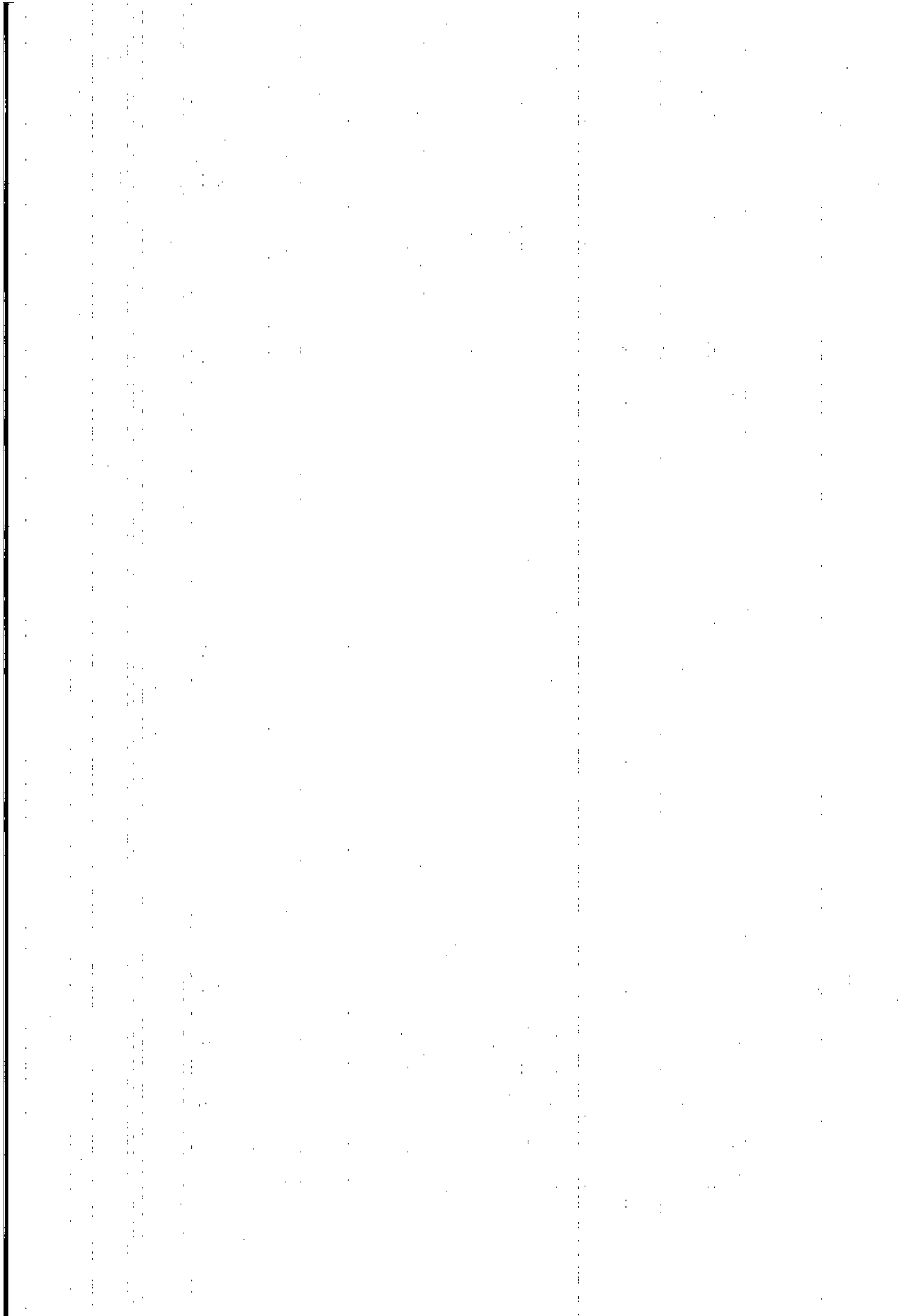
(١) (رقم : ٢٣٧٩) (١٥ / ١٣٥ نووي) ، وأحمد (٢ / ٢٩٦ و ٤٠٥) وابن ماجة (٢١٥٠) وابن حبان كما في « الإحسان » (٥١٤٢) ، وابن الأعرابي في « معجمه » (١٠٥٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا . =

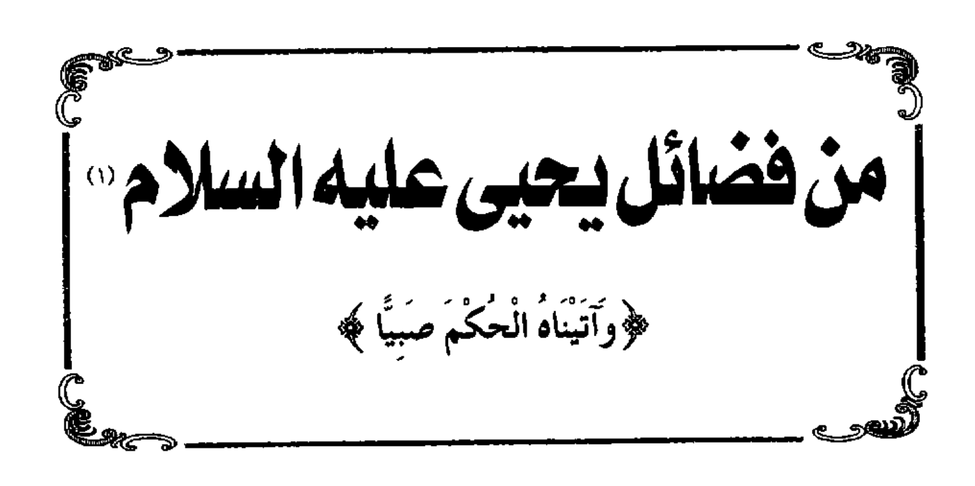
قال : « **كَانَ زَكَرِيَّاءُ نَجَّاراً** » .

قلت : وقد بوَّب النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في « شرحه لمسلم » بابًا بعنوان : « من فضل زكريا ﷺ » .

وأورد تحت هذا الباب ؛ حديث الباب هذا . وانظر الحاشية لتقرأ كلامه في ذلك .

= فائدة : قال النووي ـ رحمه الله ـ : « قوله ﷺ : « **كان زكريا نجاراً** » فيه جواز الصنائع ، وأن النجارة لا تسقط المروءة ، وأنها صنعة فاضلة . وفيه فضيلة لزكرياء ﷺ، فإنه كان صانعًا يأكل من كسبه ، وقد ثبتَ قوله ﷺ : « **أفضل ما أكل الرجل من كسبه وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده** » ، وفي زكريا خمس لغات : المد والقصر ، وزكري بالتشديد والتخفيف ، وزكر كعلم » . انتهى النووي رحمه الله .



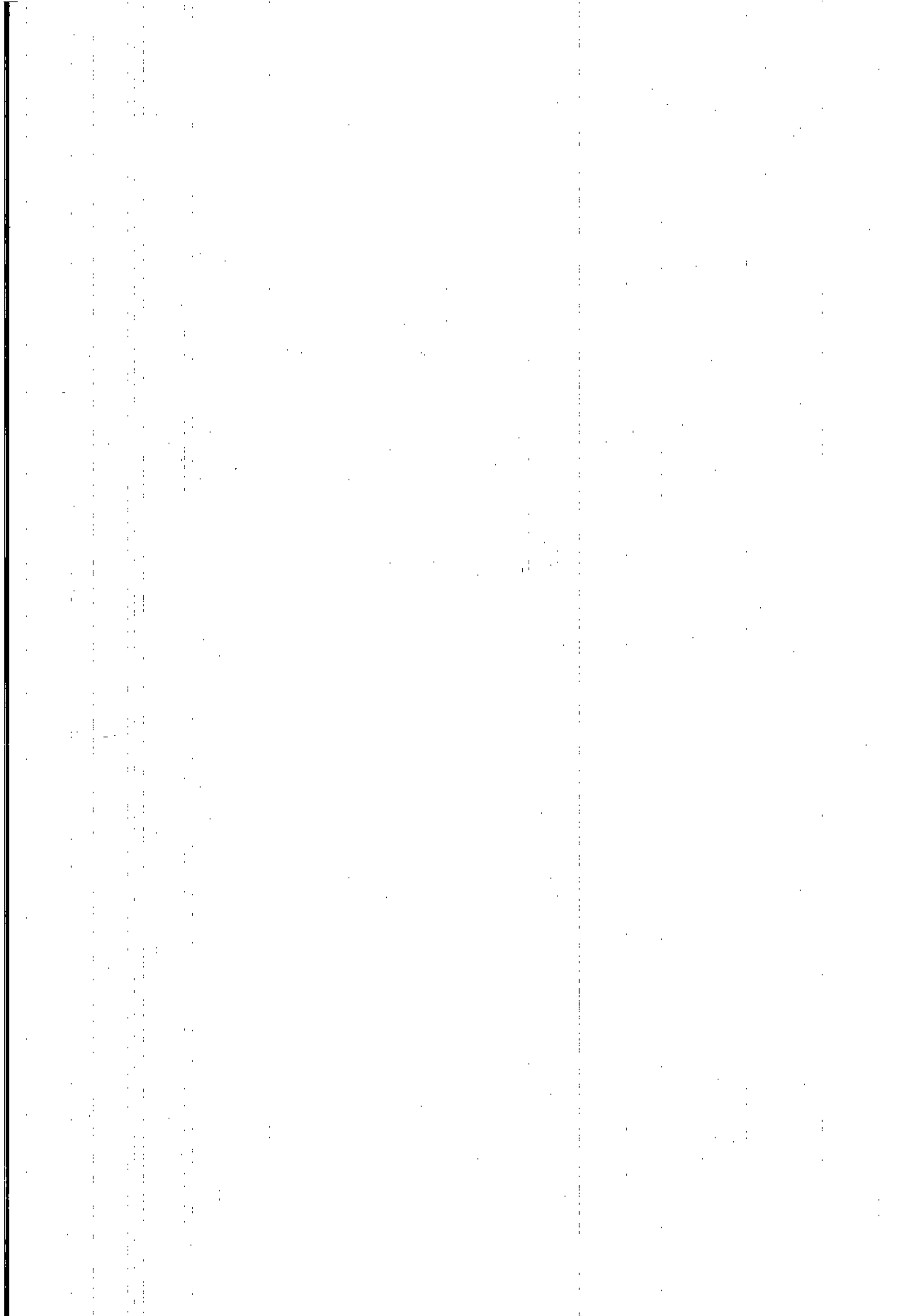


من فضائل يحيى عليه السلام [1]

﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾

---

(١) أبوه زكريا عليه السلام ، وابن خالته عيسى عليه السلام ، وخالته هي مريم ابنة عمران عليهما السلام ، فحقًا إنه بيْت نبوة وحقًا إنها ذرية صالحة بعضها من بعض .



● جملة من الآيات الواردة في الثناء على يحيى بن زكريا عليه السلام ●

فقد مدحه ربه سبحانه ، وزاد في الثناء عليه ، ومنَّ عليه وأنعم ، وأفاض عليه وأكرم .

○ فقد بُشر لأبيه زكريا عليهما السلام وسماه الله قبل أن يولد ، كما قال تعالى : ﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾[مريم :٧] .

فلم يُسمَّ أحد قبله بيحيى !! ولم يَجعل له من قبله نظيراً ولا مثيلاً ولا شبيها !!

فهذا فضل وأي فضل !!

○ فكان هبة من الله لأبيه زكريا عليهما السلام ، قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] .

○ آتاه الله الحكم صبيًا ،كما قال تعالى :﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ [مريم : ١٢] .

فهكذا وصفه الله بالحكمة منذ صغره ، ورزقه الفهم والحكمة والجد والعزم والاجتهاد في العبادة ، والإقبال على الخير منذ الصغر ، وقد قال تعالى قبلها : ﴿ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾ [مريم : ١٢] .

○ ثم إن الله جعله ذا حنان وذا زكاة وطهر وعفاف وذا طاعة وتقوى ، فقال تعالى : ﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴾ [مريم : ١٣] .

○ وهذه أنواع من الثناء عليه من الله سبحانه حيث يقول تعالى : ﴿ وَبَرًّا

بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم : ١٤ ـ ١٥] .

فهل بعد تسليمات الله من تسليمات !!

سلام عليه ، ليس وقت ولادته فقط ، بل حتى الممات يؤمنه الله ويسلمه، ويوم يقوم الأشهاد (١) .

○ وقد كان عليه السلام شأنه شأن كل نبي مع أخيه النبي الآخر ، فقد كان مؤمنًا برسالة ابن خالته عيسى عليه السلام ، قال تعالى في شأن يحيى : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ [آل عمران : ٣٩] .

○ ووصفه الله بالسيادة ، فقال : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ [آل عمران : ٣٩] .

سيدًا في كل شيء ؛ سيدًا في الحلم ، وسيدًا في العلم ، وسيدًا في العبادة ، وسيدًا في الورع ، والكرم و . . . .

(١) قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ في « البداية » : « هذه الأوقات الثلاثة أشد ما تكون على الإنسان ، فإنه ينتقل في كل منها إلى عالم آخر ، فيفقد الأول بعد ما كان ألفه وعرفه، ويصير إلى الآخر، ولا يدري ما بين يديه، ولهذا يستهل صارخًا إذا خرج من بين الأحشاء ، وفارق لينها وضمها ، وينتقل إلى هذه الدار ليكابد همومها وغمها ! وكذلك إذا فارق هذ الدار وانتقل إلى عالم البرزخ بينهما وبين دار القرار ، وصار بعد الدور والقصور إلى عرصة الأموات سكان القبور ، وانتظر هناك النفخة في الصدور ليوم البعث والنشور ، فمن مسرور ومحبور ، ومن محزون ومبثور ، وما بين جبير وكسير ، وفريق في الجنة وفريق في السعير ، ولقد أحسن بعض الشعراء حيث يقول :

ولدتك أمك باكيًا مستصرخًا ... والناس حولك يضحكون سرورًا
فاحرص لنفسك أن تكون إذا بكوا ... في يوم موتك ضاحكًا مسرورًا

ولما كانت هذه المواطن الثلاثة أشق ما يكون على ابن آدم ، سلم الله علي يحيى في كل موطن منها فقال : ﴿ وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم : ١٥] » .

○ أما عن عفته فقد كان : ﴿ حَصُورًا ﴾ [آل عمران : ٣٩] .

وأصل الحصر : المنع .

فقيل : هو الممنوع عن الفواحش والقاذورات [١] ، وقيل : هو الذي لا يأتي النساء مع القدرة على إتيانهن . حتى قيل إنه كان من أجمل الناس وأصبحهم وجهًا . وثم قول ثالث مدفوع بما قد نقله الحافظ ابن كثير عن القاضي عياض في الحاشية هنا .

○ ووصفه الله سبحانه بالنبوة والصلاح ، فقال تعالى ـ مبشرًا أباه زكريا، بعد البشارة الأولى بولادته ـ : ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [٢] [آل عمران:٣٩].

○ وذكره الله سبحانه هو وعدد من أنبيائه ، وقال : ﴿ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [الأنعام : ٨٥] .

---

(١) ورجح السعدي أن يكون هذا فقال : « وهذا أليق المعنيين » . وقبله يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله في « التفسير » : « قال القاضي عياض في كتابه الشفاء : « اعلم أن ثناء الله تعالى على يحيى أنه كان ﴿ حَصُورًا ﴾ ليس كما قاله بعضهم : إنه كان هيوبًا أولا ذكر له ، بل قد أنكر هذا حذاق المفسرين ، ونقاد العلماء، وقالوا : هذا نقيصة وعيب ولا يليق بالأنبياء عليه السلام ، وإنما معناه أنه معصوم من الذنوب أي لا يأتيها كأنه حصور عنها . . . » .

(٢) قال شيخنا مصطفى بن العدوي حفظه الله تعالى في « التسهيل لسورة آل عمران » (ص ١٢٤) : « الصلاح أعم من النبوة ، فإذا انضم إلى الصلاح نبوة كان أعلى من الصلاح بلا نبوة ، قال النبي ﷺ في شأن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : « **إن عبد الله رجل صالح** » رواه البخاري ومسلم ، فالصلاح هنا بلا نبوة فهو فضل ؛ ولكنه أقل من الصلاح مع النبوة ولا شك ، والله تعالى أعلم .
وقد قال سليمان عليه السلام : ﴿ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل : ١٩] » انتهى بتصرف يسير .

○ وقال تعالى بعد ذلك : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ﴾ [الأنعام : ٨٩] ، وقال بعدها : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾[الأنعام : ٩٠].

فصْل

● مرحبًا به ولنعم المجئ جاء (١) ●

لننظر كيف رزق به أبوه زكريا عليه السلام ،وكيف جاء به .

ترى كيف جاء !!

أبوه زكريا عليه السلام كان لا يولد له ، وقد بلغ من الكبر عتيًا ، وهن عظمه ، واشتعل رأسه شيبًا ، وأمه كانت عاقرًا .

ولكن أباه لم ييأس من روح الله ، ولم يقنط من رحمة ربِّه ومولاه !!

دخل زكرياء على مريم عليها السلام فوجد عندها رزقًا (كما قال العلماء فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف) .

فسألها زكريا : ﴿ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَذَا ﴾ [آل عمران : ٣٧] .

قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب فحينئذٍ ، وعندئذ دعا زكرياء ربه الذي رزق مريم أن يرزقه هو الآخر ، الذي منَّ على مريم بالرزق بغير حساب قادر علي أن يمن عليَّ بالولد ، وإن كبرت ، وإن وهن العظم مني ، وإن اشتعل الرأس شيبًا فالله قادر على أن يرزقني بالولد،

(١) استفدنا هذا الباب من كلماتٍ لشيخنا أبي عبد الله مصطفى العدوي حفظه الله تعالى : « فقه تربية الأبناء » (ص ٢١٩ وما بعدها) .

وبالولد الصالح فـ ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ [آل عمران : ٣٨] .

فهكذا يتأتى الفضل من وراء مجالسة الصالحين ، تشجع زكرياء ودعا ربه لما رأى الرزق الغزير يتدفق على مريم عليها السلام .

دعا زكريا عليه السلام ، وكان من دعاءه أيضًا : ﴿ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٩] .

وها هنا علمنا زكرياء عليه السلام آدابًا للدعاء :

فأولها : ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾ [مريم : ٣] . أسر زكرياء بالدعاء وهكذا ينبغي أن يكون الأغلب من أمر الدعاء ألا وهو الإخفاء قال تعالى : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٥] .

ثانيًا : أظهر ضعفه وانكساره لخالقه ومولاه ، بقوله : ﴿ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ [مريم : ٤] .

ثالثًا : توسل إلى الله بسابق إحسانه إليه ، بقوله : ﴿ وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ [مريم : ٤] ، أى يارب إنك كريم جواد لم تجعلنى شقيا بالرد والحرمان ، فكل شئ سألتك أعطيتنى منه .

وكل ما دعوتك به فقد أجبتنى ، فلا تمنعنى يا صاحب الفضل ويا صاحب الإحسان من فضلك وإحسانك .

رابعًا : بيَّن العلة من سؤاله وأوضحها ، وهى علة شرعية لها وجه محمود ألا وهى ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي ﴾ [مريم : ٥] ، أى خفت من

أقاربى وعصبتى أن لا يقيموا الدين من بعدى ولا يقوموا بأمرك فأردت يارب وليًا من ذريتى يرث علمى ونبوتى ويقوم في قومى بالعدل والإحسان ويقيم أمرك ويراعى حدودك .

خامسًا : بين حال امرأته أيضًا لله ﴿ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا ﴾ [مريم : ٥] ، فهى وإن كانت عاقرًا لكنى لا أقنط أبدًا من رحمتك ولا أيأس أبدًا من روحك .

سادسًا : لم يطلب الولد للتباهى به والافتخار والتعالى على الناس ولا للأشر والبطر والكبر والغرور ، ولكنه طلب الولد كما قال : ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾ [مريم : ٦] ، ولم يطلب ولدًا شريرًا بل قال : ﴿ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ [مريم : ٦] ، فحينئذ صدرت هذه الدعوة الصالحة ـ ليس فيها إثم ولا قطعية رحم ـ صدرت هذه الدعوة الطيبة من نبى تقى خاشع لله يدعوه رغبًا ورهبًا ، يدعوه متذللاً منكسرًا ، يدعو ربه بصلاح الذرية ، يدعوه كى يُقام الدين وتعلو كلمة الله ، يدعوه متوسلاً إليه بسابق الإحسان فحرى بمثل هذه الدعوة أن تُجاب ، فإنما يتقبل الله من المتقين .

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٦٠] .

وقد قال سبحانه : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

فأجيب دعوة زكريا عليه السلام ، وأُعطى أفضل مما سأل وخيرًا مما سأل وأكثر مما سأل .

قال تعالى ﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ [مريم : ٧] .

﴿ وآتيناه الحكم صبيًّا ﴾ [مريم : ١٢] .

﴿ وحنانًا من لدنَّا وزكاة وكان تقيًّا ﴾ [مريم : ١٣] ، أي جعلناه ذا حنانٍ وذا زكاة ، والحنان هو المحبة والشفقة لوالديه ولأهل الإيمان ، والزكاة الطهارة من الذنوب والآثام والزكاة كذلك العمل الصالح ﴿ وكان تقيًّا ﴾ [مريم: ١٣]. قال ابن كثير : طَهُرَ فلم يعمل بذنبٍ .

وإضافة إلى ذلك : ﴿ وبرًّا بوالديه ولم يكن جبَّارًا عصيًّا ﴾ [مريم : ١٤] وأيضًا : ﴿ وسلامٌ عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيًّا ﴾ [مريم : ١٥] .

فهكذا فضل الله ، وهكذا نعم الله ، وبمثل هذا تجاب دعوات المتقين ، فليعقل ذلك العالمون ، وليفهم ذلك المتقون ، وليذكر ذلك العابدون !!!

• يحيى عليه السلام
والكلمات التى أمره ربه عزوجل بها •

○ أخرج الترمذى في « سننه » (١) بإسناد صحيح من حديث الحارث الأشعرى أن النبى ﷺ قال : « **إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها ويأمر بنى إسرائيل أن يعملوا بها ، وإنه كاد أن يبطئ بها ، فقال عيسى: إن الله أمرك بخمس كلمات لتعمل بها ، وتأمر بنى إسرائيل أن يعلموا**

---

(١) (برقم : ٢٨٦٣) (٢٨٦٤) وأحمد (٤ / ١٣٠) والطيالسى (١١٦١) والحاكم (١ / ١١٧ ، ١١٨) .

قلت : وهذا الحديث صحيح ، وقد صححه جمع من الحفاظ ، وقد ألزم الدارقطنى مسلمًا بإخراجه كما في « التتبع » (ص ١٠٠) . وقال ابن عبد البر في « الاستيعاب» (٢ / ٢٢٧) : « وهذا حديث حسن جامع لفنون العلم » .

بها ، فإما أن تأمرهم ، وإما أن آمرهم [١] ، فقال يحيى : أخشى إن سبقتنى بها أن يخسف بي أو أعذب ، فجمع الناس في بيت القدس ، فامتلأ المسجد ، وتعدُّوْا على الشُّرف ، فقال : إن الله أمرنى بخمس كلمات ، أن أعمل بهن ، وآمركم أن تعملوا بهن .

○ أولهن : أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا ، وإن مثل من أشرك بالله ، رجل اشترى عبداً من خالص ماله بذهبٍ أو ورق ، فقال : هذه داري ، وهذا عملى ، فاعمل وأدِّ إلى ، فكان يعمل ويؤدى إلى غير سيده ، فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك ؟

○ وإن الله أمركم بالصلاة ، فإذا صليتم فلا تلتفتوا ، فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت .

○ وآمرك بالصيام ، فإن مثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرةٌ فيها مسك ، فكلهم يعجب أو يعجبها ريحها ، وإن ريح الصائم أطيب عند الله من ريح المسك .

○ وآمركم بالصدقة ، فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو ، فأوثقوا يده إلى عنقه ، وقدموه ليضربوا عنقه ، فقال : أنا أفديه منكم بالقليل والكثير ، ففدى نفسه منهم .

○ وآمركم أن تذكروا الله ، فإن مثل ذلك كمثل رجلٍ خرج إلى العدو في أثره سراعًا حتى إذا أتى على حصنٍ حصين فأحرز نفسه منهم ، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله .

---

(١) وهذا فيه من محبة الاستجابة والطاعة لأوامر الله عزوجل ما فيه .

قال النبى ﷺ : « وأنا آمركم بخمس الله أمرنى بهن : السمع ، والطاعة ، والجهاد ، والهجرة ، والجماعة ، فإن من فارق الجماعة قيد شبر خلع ربقة الإسلام من عنقه ، إلا أن يرجع ، ومن ادعى دعوى الجاهلية ، فإنه من جثا جهنم ، فقال رجل : يا رسول الله : وإن صلى وصام ؟ قال : وإن صلى وصام ، فادعوا بدعوى الله الذى سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله » .

● إقامته في إحدى السموات هو وابن خالته عيسى ﷺ ●

○ أخرج البخارى ومسلم (١) من حديث مالك بن صعصعة أن النبى ﷺ حدثهم عن ليلة أسرى به ثم صعد حتى أتى السماء الثانية ، فاستفتح ، قيل: من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، فلما خلصت ، فإذا يحيى وعيسى ، وهما ابنا خالة ، قال : هذا يحيى وعيسى ، فسلِّم عليهما ، فسلمت فردًّا ، ثم قالا : مرحبًا بالأخ الصالح ، والنبى الصالح .

○○ هل قتل يحيى وأبوه زكريا عليهما السلام ؟

○ اشتهر أن يحيى وأباه زكريا عليهما السلام ماتا مقتولين ، ولكن لم يثبت في ذلك خبر عن رسول الله ﷺ يرفع له هامة ، ويجعل له قامة (٢) .

---

(١) البخارى (٣٢٠٧ ، ٣٤٣٠) ومسلم (١٦٤) .

(٢) وإن كان قد صحح البعض بعض الآثار في ذلك عن أحد من التابعين أو من بعدهم ، فمن أين لهم ذلك ؟!! يقينًا هو عن أهل الكتاب أخذ !!

○ أوردوا إسرائيليات في سبب قتله ، يعجب المرء من إيرادها ونقلها، بل وتداولها ، حتى قال الحافظ ابن كثير في بعضها [١] : « سياق غريب جدًا، وحديث عجيب ، ورفعه منكر وفيه ما ينكر على كل حال » .

○ فما دام لم يُحك لنا شيئ من ذلك في كتاب ربنا ، وفي حديث نبينا محمد ﷺ الثابت الصحيح عنه ، كان الأحرى أن لا نجرى وراء ما يبثه أهل الكتاب الذين ورد لنا الأمر فيهم أن لا نصدقهم ولا نكذبهم !!

قال د . جمال عبد الهادى [٢] : وردت أخبار عن زكريا عليه السلام ، ولكن لم نقع على خبر صحيح يعتد به ، هل قتل زكريا عليه السلام أم أنه مات ؟؟

○ أما يحيى عليه السلام [٣] ، فقد ورد خبر عن سعيد بن المسيب ، يقول عنه ابن كثير إن إسناده صحيح ، وهو : « قدم بخت نصر دمشق فإذا بدم يحيى بن زكريا يغلى ، فسأل عنه ، فأخبروه ، فقتل على دمه سبعين ألفًا فسكن » .

ويقول ابن كثير : وهو يقتضى أنه قتل بدمشق ، وأن قصة بخت نصر كانت بعد المسيح [٤] .

وذلك يعنى أن بنى إسرائيل قد قتلوا يحيى ، ولا عجب في ذلك فهم قتله الأنبياء .

---

(١) كما في « البداية والنهاية » .
(٢) « أخطاء يجب أن تصحح » (٣٠٠) بالاشتراك مع د. وفاء جمعة .
(٣) أما ما ورد مرفوعًا عن رب العزة : « أنى قتلت بيحى بن زكريا عليهما السلام سبعين ألفًا » فهو مما لا يثبت عن رسول الله ﷺ أيضًا . (قاله محمد) وسيأتى .
(٤) « البداية والنهاية » (٢ / ٥٥) .

وعلى كلٍّ فقد شاهد الرسول محمد ﷺ ابني الخالة يحيى وعيسى عليهما السلام في السماء في السماء ليلة الإسراء والمعراج كما هو ثابت في الصحيح في حديث الإسراء [١] . انتهى .

● أحاديث وردت [٢]

في فضل يحيى بن زكريا وهي ضعيفة ●

○ أخرج النسائي في « الكبرى » [٣] وابن حبان في « صحيحه » من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا : « **الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة إلا ابني الخالة عيسى ابن مريم ، ويحيى بن زكريا** » .

والجزء الأول منه صحيح وثابت ، والكلام في الأخير . والحديث في سنده عبد الرحمن بن أنعم وهو الإفريقي وهو ضعيف .

○ وأخرج الإمام أحمد في « المسند » [٤] من حديث ابن عباس مرفوعًا :

---

(١) « البداية والنهاية » (٢ / ٥٥) وهو في « صحيح الجامع الصغير » (حديث رقم ٣٤٩٥) ، وانظر « تفسير القرآن العظيم » (١ / ٣٦٠) (« أخطاء يجب أن تصحح» ص ٣٠٠) .

قلت (محمد) : وهذا الأخير الذي أورده فلا وجه للاستئناس به في مثل هذا المقام .

(٢) وهذا الباب أوردناه مع أنه ليس من شرط كتابنا هذا ، لما وجدته من تصحيح البعض لهذه الأحاديث التي سنوردها ، والحق في خلاف ذلك والعلم عند الله .

(٣) (٨١٦٩) و (٨٥٢٨) والترمذي (٣٧٦٨ مختصرًا) وابن حبان (٦٦٥٩) والحاكم (٣ / ١٦٦ ، ١٧٧) وراجع جزء : « تسمية ما انتهى إلينا من الرواة عن أبي نعيم الفضل بن دكين عاليًا » ، (رقم ٢١) ، ففيه إفادة ونفع إن شاء الله .

(٤) (١ / ٢٥٤) ، وعبد بن حميد (٦٦٥ المنتخب) ، وقد ضعفه الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى .

«ما من أحدٍ من ولد آدم إلا وقد أخطأ أوْ همَّ بخطيئة ليس يحيى بن زكريا...».

وله طرق عن غير ابن عباس رضى الله عنهما .

○ فروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعًا كذلك (١) . وقد أعلَّ، فالراوى عنه هنا سعيد بن المسيب ، وقد رواه مرسلاً (أو مقطوعًا) يعنى من قوله هو .

أخرجه الطبرى في « التفسير » (٦٩٨٢) (٢) بإسناد صحيح عنه .

وعزاه الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ (٣) لابن أبي حاتم ، ورجح الوقف على عبد الله بن عمرو .

ويروى عن أبي هريرة مرفوعًا أيضًا ، ولا يصح (٤) .

أخرجه ابن عدى في « الكامل » وعزاه ابن كثير لابن أبي حاتم .

○ وكذلك حديث : « **أوحى الله تعالى إلي محمد ﷺ أنى قتلت بيحيى ابن زكريا سبعين ألفًا ، وإنى قاتل بابن ابنتك سبعين ألفًا وسبعين ألفًا** » .

أنكر لفظه الذهبى رحمه الله (٥) . وأخرجه بهذا اللفظ أبو بكر الشافعى

---

(١) أخرجه الحاكم (٢ / ٢٧٣) .

(٢) في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾ [آل عمران : ٣٩] .

(٣) « التفسير » (١ / ٣٤١) .

(٤) راجع النسخة المحققة للقصص للأخ سيد العربى وفقه الله وسدده (ص ٦٠٢ دار بغداد).

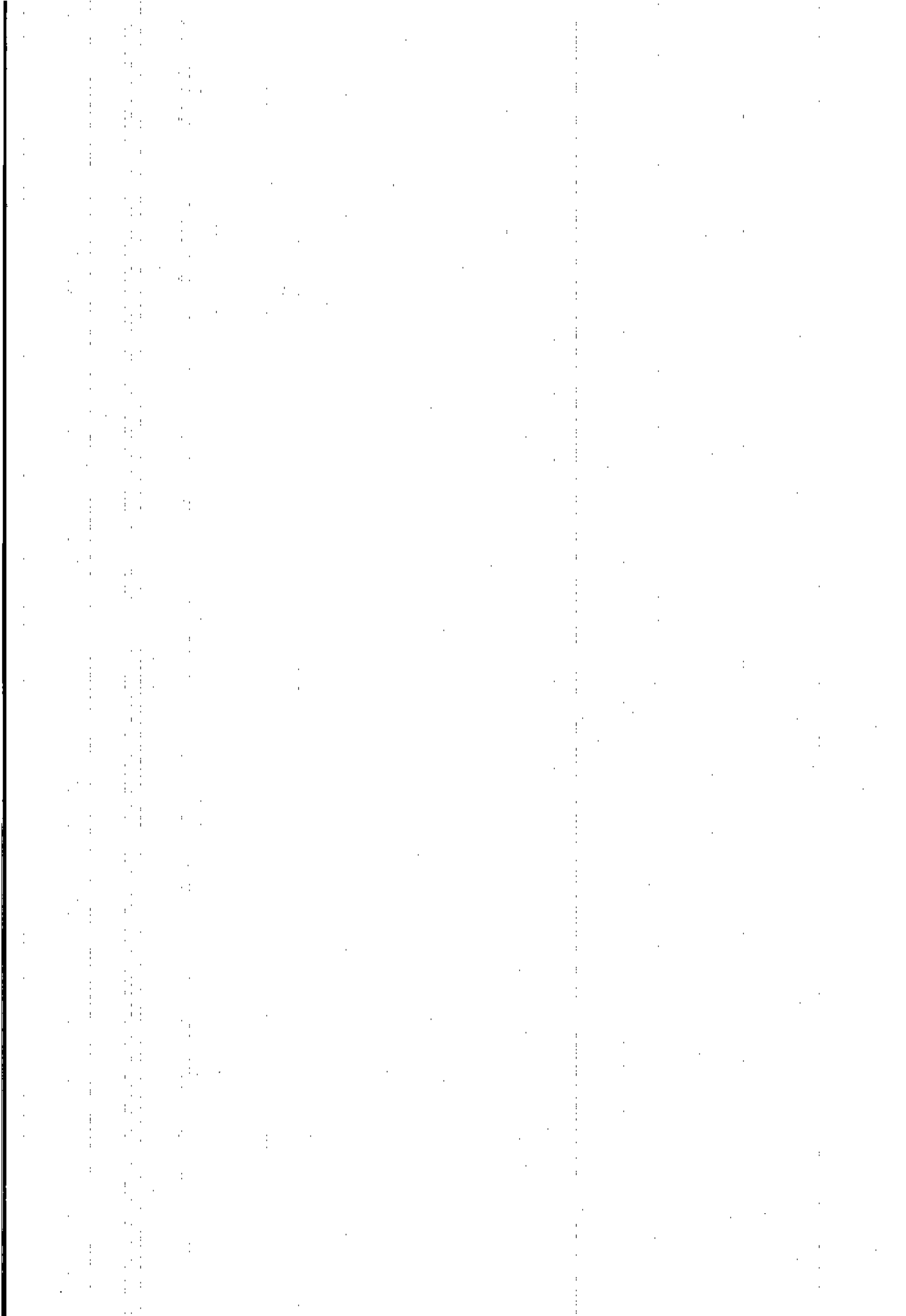
(٥) « السير » (٤ / ٣٤٢ ، ٣٤٣) ، قال الذهبى : « هذا حديث نظيف الإسناد ، منكر اللفظ » .

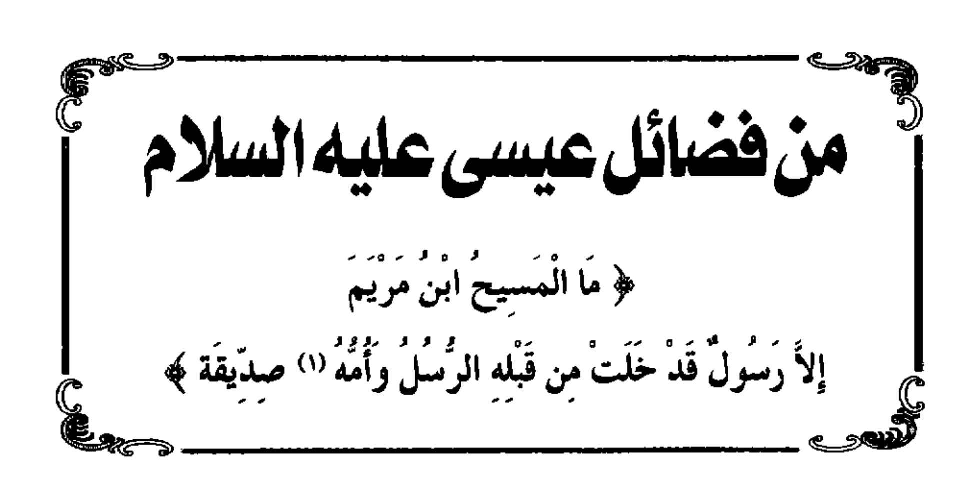
وانظر : « الحاكم » (٢ / ٢٩٠ ، ٢٩١) (٣ / ١٧٨) .

وهو في « الفوائد المنتخبة في الصحاح والغرائب » والمسمى بـ « جزء المهروانيات » (رقم٥٩) .

البزار في « الغلانيات » [١] من طريق : حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به قوله : وحبيب كثير الإرسال والتدليس ، ولم يُصرِّح هنا بالتحديث ، مع غرابة المتن ونكارته ، والله أعلم .

(١) (برقم ٣٦٥) .





من فضائل عيسى عليه السلام

﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ

إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ[1] صِدِّيقَةٌ ﴾

---

(١) وأمُّه هي مريم بنت عمران عليهما السلام الصديقة العفيفة التي أحصنت فرجها ، ونفخ فيها من روحه ، وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين ، وقد ضربها الله مثالاً ونموذجًا حسنًا لأهل الإيمان ، وأنه قد كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا أربع ، ومنهم مريم عليها السلام كما أخبر النبى ﷺ .

وقد اصطفاها الله على عالمي زمانها ، فقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٢] .

كل هذه الخصال اجتمعت في مريم بنت عمران ، أم عيسى عليهم السلام ، فهنيئًا لمن كانت هذه أمُّه وحاملته ، فصلوات الله وسلامه عليها وعلى ابنها في الأولين والآخرين.

● من فضائل عيسى ﷺ ●

● وجاهته في الدنيا والآخرة

وعلو منزلته عند الله وبشارة أمه به قبل ولادته ●

○ قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٥] .

● حفظ الله لعيسى ابن مريم

عند ولادته من مس الشيطان ونزغاته ●

○ قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٣٦) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ [آل عمران : ٣٥ ـ ٣٧] .

○ وأخرج البخارى ومسلم (١) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من بنى آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين ولد ، فيستهل صارخًا من مس الشيطان ، غير مريم وابنها ، ثم يقول أبو هريرة: ﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [آل عمران : ٣٦] .

---

(١) خ (٣٤٣١) ، و(م ٢٣٦٦) .

○ وفي رواية (١) : « كل بني آدم يطعن الشيطان في جبينه بإصبعيه حين يولود ، غير عيسى بن مريم ، وذهب يطعن في الحجاب » .

○ وفي أخرى : « كل إنسان تلده أمه على الفطرة ، وأبواه بعدُ يهود أنه وينصرانه ويمسجانه فإن كانا مسلمين فمسلم ، كل إنسان تلده أمه يلكزهُ الشيطان في حضنيه إلا مريم ابنها » .

○ وبإسنادٍ حسن : أخرج أحمد (٢) من حديث أبي هريرة أيضًا عن رسول الله ﷺ قال : « كل إنسان تلده أمه يلكزه الشيطان بحضينه ، إلا ما كان من مريم وابنها ، ألم تروا إلى الصبى حين يسقط ، كيف يصرخ ؟ قالوا : بلى ، يا رسول الله . قال : فذلك حين يلكزه الشيطان بحضينه » .

(١) البخارى (٣٢٨٦) ، وأحمد (٢ / ٥٢٣) .
قال القرطبى ـ رحمه الله تعالى ـ (التفسير ٤ / ٤٤) : قال علماؤنا : فأفاد هذا الحديث أن الله تعالى استجاب دعاء أم مريم ، فإن الشيطان ينخس جميع ولد آدم حتى الأنبياء والأولياء إلا مريم وابنها ، ... وإن لم يكن كذلك بطلت الخصوصية بهما ، ولا يلزم من هذا أن نخس الشيطان يلزم منه إضلال الممسوس وإغواؤه ، فإن ذلك ظن فاسد ، فكم تعرض الشيطان للأنبياء والأولياء بأنواع الفساد والإغواء ، ومع ذلك فعصمهم الله مما يرومه الشيطان ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ [الحجر : ٤٢] و [الإسراء : ٦٥] ، هذا مع أن كل واحد من بنى آدم قد وكل به قرينه من الشياطين ، كما قال رسول الله ﷺ ، فمريم وابنها وإن عصما من نخسه ، فلم يعصما من ملازمته لها ، ومقارنته ، والله أعلم . ا . هـ .
قال شيخنا مصطفى العدوى حفظه الله تعالى (١) : « والذى يظهر لي أن الله عزوجل أمدهما بمزيد حفظ ، فإن الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه باستثناء نبينا محمد ﷺ حينما دعوا إلى الشفاعة ذكروا ذنوبًا ، فلما أتوا عيسى عليه السلام لم يذكر ذنبًا ، وقال: اذهبوا إلي محمد ﷺ ، والله تعالى أعلم » .
(٢) (٢ / ٣٦٨) .

(١) كما في « التسهيل لآل عمران ص ١٠٩ » .

• كلامه في المهد •

○ قال تعالى : ﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم : ٢٧ ـ ٣٣] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٦] .

○ وأخرج البخارى في « صحيحه »[1] (٣٤٣٦) : من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة : عيسى ، وكان في بنى إسرائيل رجل يقال له : جريج ، كان يصلى فجاءته أمه فدعته ، فقال : أجيبها أو أصلى ؟ فقالت : اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات ، وكان جريج في صومعته ، فعرضت له امرأة وكلمته فأبى ، فأتت راعيًا فأمكنته من نفسها ، فولدت غلامًا ، فقالت : من جريج ، فأتوه فكسروا صومعته وأنزلوه وسبوه ، فتوضأ وصلي ، ثم أتى الغلام ، فقال : من أبوك يا غلام ؟ قال : الراعى ، قالوا : نبنى صومعتك من ذهب ؟ قال : لا ، إلا من طين ، وكانت امرأة ترضع ابنًا لها من بني إسرائيل ، فمر رجل راكبًا ذو شارة ، فقالت : اللهم اجعل ابني مثله ، فترك ثديها وأقبل على الراكب ، فقال : اللهم لا تجعلنى مثله . . . الحديث » .

---

(١) وأخرجه البخارى أيضًا مختصراً على قصة جريج فقط برقم (٢٤٨٢) ، ومسلم في «صحيحه » (ص ١٩٧٦ ، ١٩٧٧) ، وأحمد (٢ / ٣٠٧ ، ٣٠٨) من طريق : جرير بن حازم به .

● ولادة عيسى ابن مريم من غير أب آية من الآيات أيده الله بها ●

○ قال تعالى : ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٩١] .

○ وقال تعالى : ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم : ٢٠ ـ ٢١] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ (١) [المؤمنون : ٥٠] .

○ وقال تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران : ٥٩] .

● عيسى ﷺ كان رسولاً مُعَلِّمًا وميمونًا مباركًا ●

○ قال تعالى : ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ [مريم : ٢٩ ـ ٣١] .

---

(١) قال السعدى ـ رحمه الله تعالى ـ: في (تفسيره لهذه الآية) : « أي : وامتننا على عيسى ابن مريم ، وجعلناه وأمه ، من آيات الله العجيبة ، حيث حملته ، وولدته ، من غير أب ، وتكلم في المهد صبيًا ، وأجرى الله على يديه من الآيات ما أجرى » .

○ وقال تعالى : ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [آل عمران : ٤٨ ـ ٤٩] .

○ وقال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ﴾ [المائدة : ١١٠] .

● سجيَّتُه الطاهرة عليه السلام ●

○ أخرج البخارى ومسلم [1] : من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **رأى عيسى ابن مريم رجلاً يسوق ، فقال له : أسرقت ؟ قال: كلا ، والله الذى لا إله إلا هو . فقال عيسى : آمنت بالله ، وكذبت عينى**»[2] .

(١) برقم (٣٤٤٤) ومسلم (٢٣٦٨) وأحمد (٢ / ٣١٤) .
وأخرجه أحمد (٢ / ٣٨٣) من طريق الحسن وغيره عن أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعًا، وأخرجه النسائي في « المجتبى » (٨ / ٢٤٩) من طريق : صفوان بن عسال عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعًا وفيه : « وكذبت بصرى » .
وأخرجه ابن ماجة (٢١٠٢) من طريق : يحيي بن النضر عن أبى هريرة به مرفوعًا.

(٢) قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ في « البداية والنهاية » [1] : « وهذا يدل على سجية طاهرة ، حيث قدم حلف ذلك الرجل فظن أن أحدًا لا يحلف بعظمة الله كاذبًا على ما شاهده منه عيانًا ، فقبل عذره ورجع على نفسه ، فقال : « آمنت بالله » أى: صدقتك ، و « كذبت بصرى » أى : « لأجل حلفك » . ا . هـ .
وثم تأويلات أخر أوردها الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ في « الفتح » (٦ / ٥٦٤، ٥٦٥) فليراجعها من شاء ، ونحن نورد هنا قولاً لابن القيم نقله عنه الحافظ=

(١) وانظر : « قصص الأنبياء » (ص ٦٢١ ، ٦٢٢ مطبعة الأنوار) .

● تأييد الله له بالآيات والمعجزات ●

قال تعالى : ﴿ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ [البقرة : ٨٧] .

○ فمن معجزاته ﷺ :

إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص بإذن الله .

○ قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة : ١١٠] .

○ ومن ذلك أيضًا : إخباره قومه بما يأكلون ويدخرون في بيوتهم .

كما قال تعالى : ﴿ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٩] .

○ ومن ذلك : خلقه من الطين كهيئة الطير بإذن الله ، والنفخ فيه فيكون

= من كتابه : « إغاثة اللهفان » [1] حيث يقول : « والحق أن الله كان في قلبه أجل من أن يحلف به أحد كاذبًا ، فدار الأمر بين تهمة الحالف وتهمة البصر ، فرد التهمة إلي بصره » .

---

(١) « إغاثة اللهفان » (ص ١٢٤) دار الحديث .

طيرًا بإذن الله ، وقد سبقت الآية بذلك .

○ ومن ذلك : الإنجيل الذي آتاه الله عز وجل إياه ، كما قال تعالى : ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ﴾ [الحديد :٢٧] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة : ٤٦] .

ومن امتنان الله عزوجل عليه ، قوله : ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ﴾ [آل عمران : ٤٨] .

○ وكذلك من الآيات التي أيد الله بها نبيه عيسى عليه السلام : نزول المائدة عليه من السماء بدعوته .

كما قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١١٢) قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (١١٣) قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١٤) قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ [المائدة : ١١٢ ـ ١١٥] .

○ ومن ذلك : حفظه تعالى له من أيدي أهل الضلال ـ حين دبروا في قتله وصلبه ـ ورفعه إلى السماء .

قال تعالى : ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٥٤) إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ

كفروا إلىٰ يوم القيامة ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون ﴾ [آل عمران : ٥٤ ـ ٥٥] .

○ وقال تعالى : ﴿ إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلىٰ والدتك إذ أيدتك بروح القدس ﴾ ـ إلى قوله ـ : ﴿وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات ﴾ [المائدة : ١١٠] .

● فلاح الطائفة التي اتبعت عيسى عليه السلام وآزرته وآمنت به وصدقته (١) ●

○ قال تعالى : ﴿ فلما أحس عيسىٰ منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ﴿٥٢﴾ ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ [آل عمران : ٥٢ ، ٥٣] .

○ وقال تعالى : ﴿ وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون ﴾ [المائدة : ١١١] .

○ وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا علىٰ عدوهم فأصبحوا ظاهرين ﴾[الصف: ١٤] .

○ وقال تعالى : ﴿ إذ قال الله يا عيسىٰ إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا ﴾ [آل عمران : ٥٥] .

---

(١) وهذا أيضًا من الامتنان عليه ، عليه الصلاة والسلام بأن جعل له أصحابًا وأنصارًا ، قاله الحافظ ابن كثير في (التفسير ٢ / ١١١) .

• فضل من آمن بعيسى ﷺ ، وأنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه •

○ قال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً (١٧١) لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (١٧٢) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ . . . الآيات ﴾ [النساء ١٧١ ـ ١٧٣] .

○ وفي « الصحيحين » [(١)] من حديث عبادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، والجنة حق ، والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل » [(٢)] . وقال بعضهم : (وابن أمته) وزاد بعضهم : « من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء» .

(١) البخاري (٣٤٣٥) ، ومسلم (٢٨ ، (١ / ٢٢٦ و ٢٢٧ نووي) ـ وأحمد (٥ / ٣١٣ و ٣١٤) .

(٢) قال النووي ـ رحمه الله تعالى ـ : « هذا حديث عظيم المواقع ، وهو من أجمع الأحاديث المشتملة على العقائد ، فإنه ﷺ جمع فيه ما يخرج عنه جميع ملل الكفر على اختلاف عقائدهم وتباعدهم ، فاختصر ﷺ في هذه الأحرف على ما يباين به جميعهم، وسمى عيسى عليه السلام كلمة لأنه كان بكلمة : « كن » فحسب ، من غير أب ، بخلاف غيره من بني آدم » . انتهى .

وقال الحافظ في « الفتح » (٦ / ٥٤٧) : وفي قوله : « وابن أمته » تشريف له ، =

○ وفي الصحيحين [(١)] أيضًا من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا أدب الرجل أمته فأحسن تأديبها ، وعلمها فأحسن تعليمها ، ثم أعتقها فتزوجها كان له أجران ، وإذا آمن بعيسى ثم آمن بي فله أجران ، والعبد إذا اتقى ربه ، وأطاع مواليه فله أجران** » .

● عقيدة الصحابة في عيسى عليه الصلاة والسلام ●

○ أخرج أحمد رحمه الله [(٢)] في « المسند » بإسنادٍ حسن من حديث أم سلمة ابنة أبي أمية ابن المغيرة زوج النبي ﷺ قالت : (فذكرت حديث الهجرة إلى الحبشة ، بطوله : وفيه أن النجاشي قال للصحابة) : « ما

= وكذا تسميته بالروح ووصفه بأنه « منه » كقوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية : ١٣] فالمعني : أنه كائن منه ، كما أن معنى الآية الأخرى أنه سخر هذه الأشياء كائنة منه ، أي أن مكوِّن كل ذلك ، وموجه بقدرته وحكمته .

وقوله : « وكلمته » إشارة إلى حجة الله على عباده أبدعه من غير أب ، وأنطقه من غير أوانه ، وأحيى الموتى على يديه ، وقيل : سمي كلمة الله لأنه أوجده بقوله : « كن » فلما كان بكلامه سمي به ، كما يقال : سيف الله ، وأسد الله ، وقيل : لما قال في صغره إني عبد الله ، وأما تسميته بالروح ، فلما كان أقدره عليه من إحياء الموتى ، وقيل : لكونه ذا روح وجد من غير جزءٍ من ذي روح .

(١) خ (٣٤٤٦) وم (١٥٤ ، ١٦٦٦) .

(٢) (٥ / ٢٩٠) وأيضًا (١ / ٢٠١) ، وأخرجه ابن خزيمة في « صحيحه » (مختصرًا ٢٢٦٠) والبيهقي في « السنن » (٩ / ٩) ، وفي « الدلائل » (٢ / ٣٠١) ، وفي « الاعتقاد » (ص ٤٠ ط دار الفضيلة) وغيرهم من حديث : محمد بن إسحاق قال حدثني الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي عن أم سلمة به فذكرته مرفوعًا .

تقولون في عيسى ابن مريم ؟ فقال له جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه : نقول فيه الذي جاء به نبينا ﷺ ، وهو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول ، قالت : فضرب النجاشي يده على الأرض ، وأخذ منها عودًا ، ثم قال : ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا هذا العود . . . » .

● إكرام عيسى ابن مريم وتبرئته مما نسب إليه كذبًا وافتراءً ●

○ قال تعالى : ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ [المائدة : ٧٥] .

○ وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة : ٧٢] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة : ٣٠] .

○ ويسأل الله تبارك وتعالى عيسى ابن مريم عليه السلام يوم القيامة على سبيل الإكرام له ، والتقريع لعابديه ممن كذب عليه ، وافترى وزعم أنه ابن الله ، أو أنه الله ، أو أنه شريكه ، تعالى الله عما يقولون ، فيسأله ، وهو

يعلم أنه لم يقع منه ما يسأله ، ولكن لتوبيخ من كذب عليه » [١] فيقول تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [٢] [المائدة : ١١٦ ـ ١١٨] .

○ وأخرج الترمذي في « سننه » [٣] من حديث أبي هريرة قال : « تلقى عيسى حجته ، ولقَّاه الله في قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ قال أبو هريرة : عن النبي ﷺ ، فلقاه الله : ﴿ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾ الآية كلها » .

---

(١) « ابن كثير » في « قصص الأنبياء ص ٥٨٢ » مطبعة الأنوار المحمدية .
قلت : والمعنى المذكور له نظائر كثيرة كقوله تعالى : ﴿ ليسأل الصادقين عن صدقهم ﴾ وقوله : ﴿ ولنسألن المرسلين ﴾ .

(٢) قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ : ومعنى قوله ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ الآية : التبري منهم ، ورد المشيئة فيهم إلى الله ، وتعليقُ ذلك على الشرط لا يقتضي وقوعه ، ولهذا قال : ﴿ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ولم يقل : الغفور الرحيم . انتهى . من «التفسير » ومن « البداية والنهاية » .

(٣) (٣٠٦٢) وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح » وأخرجه ابن أبي حاتم ، كما في « التفسير لابن كثير » (٢ / ١١٥) من طريق ابن أبي عمر ، شيخ الترمذي بنحوه سواء .

• وصية النبي ﷺ لمن لقي عيسى عليه السلام •

بل ولقد تمنى رسولنا محمد ﷺ أن لو طال عمره حتى يلتقي بأخيه عيسى ابن مريم صلوات الله وسلامهُ عليه وعلى جميع أنبيائه .

○ ففي « مسند أحمد » [(١)] بإسنادٍ صحيح أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « **إني لأرجو إن طال بي عمري أن ألقى عيسى ابن مريم عليه السلام ، فإن عجل بي الموت فمن لقيه منكم فليقرئه مني السلام** » .

• قول النبي ﷺ :

« أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم » •

○ في الصحيحين [(٢)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **أنا أولى الناس بابن مريم ، والأنبياء أولاد علات**

---

(١) (٢ / ٢٩٨) .

قلت : ورواه أحمد في (المسند ٢ / ٢٩٨ ، ٢٩٩) من طريق : يزيد بن هارون عن شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة رضي الله عنه موقوفًا عليه ولفظه : « إني لأرجو إن طالت بي حياة أن أدرك عيسى بن مريم عليه السلام . . . » .

قلت : والرفع أقوى وأصح . فقد رواه على الوصل محمد بن جعفر عن شعبة ، وهو أثبت الناس في شعبة من غيره .

قال الذهبي في « الميزان » (٣ / ٥٠٢) : « محمد بن جعفر غندر ، أحد الأثبات المتقنين ، ولا سيما في شعبة » ونقل عن ابن المبارك قوله : « إذا اختلف الناس في حديث شعبة ، فكتاب غندر حكم بينهم » .

(٢) البخاري (٣٤٤٢) ، ومسلم (١٥ / ١١٩ نووي) ، وأحمد (٢ / ٤٦٣) ، وأبو داود (٤٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

ليس بيني وبينه نبي » .

○ وأخرج مسلم في « صحيحه »(١) من حديث أبي هريرة عن رسول الله قال : « **أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم (٢) في الأولى والآخرة ، قالوا كيف يا رسول الله ﷺ قال : الأنبياء إخوة من علات ، وأمهاتهم شتى ، ودينهم واحد ، فليس بيننا نبي** » .

● إقامته في إحدى السموات ●

○ قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران : ٥٥] .

○ وقال تعالى : ﴿ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ [النساء : ١٥٨] .

○ وفي الصحيحين (٣) من حديث مالك بن صعصعة أن النبي ﷺ حدثهم عن ليلة أسرى به ، ثم صعد حتى أتى السماء الثانية ، فاستفتح ،

(١) (نووي ١٥ / ١١٩) ، وأحمد (٢ / ٣١٩) . وأخرجه البخاري (٣٤٤٣) ، وأحمد (٢ / ٤٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) قوله : « أنا أولى الناس بعيسى بن مريم » أي : أخص الناس به وأقربهم إليه .
قلت : فهل هناك منافاة بين هذا الحديث ، وبين قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ ﴾ [آل عمران : ٦٨] ؟
الجواب : لا ، فكما أنه أولى الناس بإبراهيم كذلك هو أولى الناس بعيسى ، ذاك من جهة قوة الاقتداء به ، وهذا من جهة قوة قرب العهد به ، كذا قال الحافظ في « الفتح » (٦ / ٥٦٤) .

(٣) البخاري (٣٤٣٠) ومسلم (١٦٤) .

بيان لمعنى قوله : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾

قال شيخنا أبو عبد الله مصطفى العدوي حفظه الله تعالى في « التسهيل لسورة آل =

قيل، قيل : من هذا ؟ قال جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل: وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، فلما خلصت ، فإذا يحيى وعيسى ، وهما ابنا الخالة ، قال : هذا يحيى وعيسى ، فسلِّم عليهما ، فسلمتُ فردّا، ثم قالا : مرحبًا بالأخ الصالح ، والنبي الصالح .

= عمران (آية : ٥٥) (ص : ١٦٦) قوله تعالى : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران: ٥٥] هل يفيد أن عيسى عليه السلام مات ثم رفع ؟وكيف يُدفع كون الوفاة وردت قبل الرفع؟

الجواب : لا يفيد ذلك ، فإن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [النساء : ١٥٧] ، أما كون الوفاة ورد ذكرها قبل الرفع ، فيدفع ما في ذلك من إشكال قد يرد بالآتي :

١ ـ بعض العلماء يرى أن معنى الوفاة هنا النوم ،وقد ورد ذلك في كتاب الله عز وجل، قال الله سبحانه : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الزمر : ٤٢] وكقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ﴾ [الأنعام : ٦٠] فعلى ذلك فمعنى متوفيك : منيمك .

٢ ـ بعض أهل العلم يرى أن معنى متوفيك : قابضك ورافعك إلى السماء من غير موت ، مثل توفيت مالي من فلان أي : قبضته .

٣ ـ وقال بعض العلماء : أماته الله ثم بعثه ثم رفعه ، وهذا القول فيه نظر لقوله : (ثم بعثه) ؛ إذ لا دليل عليه .

٤ ـ القول الرابع ـ وهو الأوجه الأقوى عندي ـ أن الواو لا تفيد الترتيب في كثير من الأحيان ، بل تفيد مطلق التشريك ، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ [النور : ٢٧] فمن المعلوم أن التسليم يكون قبل الاستئناس .

وقال سبحانه : ﴿ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ [طه : ١٢٩] .

وأيضًا استدل على أن الواو لا تقتضي الترتيب بقول الشاعر :

ألا يا نخلة من ذاتِ عِرقٍ ... عليك ورحمة الله السلام

أي : عليك السلام ورحمة الله .

فعليه يكون المعنى إني رافعك إليَّ ومتوفيك إذا جاء الأجل الذي قدرته لوفاتك . والله تعالى أعلم .

● نزول عيسى عليه السلام

آخر الزمان علامة من علامات قيام الساعة●

○ قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا ﴾ (١) [الزخرف : ٦١] .

○ وأخرج مسلم في « صحيحه » (٢) من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري قال : اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر ، فقال : « **ما تذاكرون ؟** » قالوا : نذكر الساعة ، قال : « **إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات** » : « فذكر الدخان ، والدجال ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى ابن مريم ﷺ ، ويأجوج ومأجوج ، وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيزة العرب ، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم » .

○ وأخرج مسلم (٣) من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله (عند تفسير الآية الكريمة) : « الضمير في ﴿ وَإِنَّهُ ﴾ الصحيح أنه عائد على عيسى عليه الصلاة والسلام ، فإن السياق في ذكره ، ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة كما قال تبارك وتعالى : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ [النساء: ١٥٩] أي قبل موت عيسى عليه الصلاة والسلام ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٥٩] ، ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى ﴿ وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ ، أي : أمارة ودليل على وقوع الساعة . . . وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة إمامًا عادلاً وحكمًا مقسطًا » انتهى .

(٢) (برقم : ٢٩٠١) وأحمد (٤ / ٦ ، ٧) والترمذي (٢١٨٣) وأبو داود (٤٣١١) وابن ماجة (٤٠٤١ ، ٤٠٥٥) .

(٣) في « صحيحه » (ص ١٣٦) وأحمد (٢ / ٤٩٣) .

« والله لينزلن ابن مريم حكمًا عادلاً ، فليكسرن الصليب ، وليقتلن الخنزير ، وليضعن الجزية ، ولتتركن القلاص ، فلا يسعى عليها ، ولتذهبن الشحناء ، والتباغض والتحاسد ، وليدعون إلى المال فلا يقبلن أحد » .

● نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان وحكمه في الناس وكسره الصليب وقتله الخنزير ●

○ قال تعالى : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ (١) وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ﴾ [النساء : ٥٩] .

○ وأخرج البخاري ومسلم (٢) في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده ليوشكن (٣)

---

(١) الضمير في قوله تعالى : ﴿ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ ﴾ أي : بعيسى ﷺ ، والضمير في قوله : ﴿ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ يعود أيضًا على عيسى عليه السلام . وقد قال بهذا القول عدد كبير من المفسرين، والسلف الصالح ، ومنهم على سبيل المثال : عبد الله بن عباس ، وأبو هريرة ، والحسن البصري ، وابن زيد ، وهو اختيار ابن جرير الطبري وابن كثير وغيرهما من أهل العلم .

ولمزيد في هذا الباب يراجع كتاب شيخنا مصطفى العدوي حفظه الله (الصحيح المسند من الفتن والملاحم وأشراط الساعة ص ٥١٥ و ٥١٨) .

(٢) البخاري (٣٤٤٨) ومسلم (١٥٥) .

(٣) قال الحافظ في « الفتح » (٦ / ٥٦٧) :

قوله « ليوشكن » أي : ليقربن أي لابد له من ذلك سريعًا .

أن ينزل فيكم [١] ابن مريم حكمًا [٢] عدلاً ، فيكسر الصليب [٣] ، ويقتل الخنزير [٤] ، ويضع الحرب [٥] ، ويفض المال حتى لا يقبله

(١) قوله « أن ينزل فيكم » : أى في هذه الأمة فإنه خطاب لبعض الأمة ممن لا يدرك نزوله.

(٢) قوله « حكما » : أى حاكما ، والمعنى : أنه ينزل حاكما بهذه الشريعة فإن هذه الشريعة باقية لا تنسخ ، بل يكون عيسى حاكما من حكام هذه الأمة ، وفي رواية الليث عن ابن شهاب عند مسلم : حكمًا مقسطًا ، وله من طريق ابن عيينة عن ابن شهاب : إمامًا مقسطًا ، والمقسط : العادل ، بخلاف القاسط فهو الجائر . انتهى من « الفتح » .

(٣) ، (٤) قوله : « فيكسر الصليب » .

قال النووى في « شرح مسلم » (٢ / ١٩٠) :

معناه : يكسره ، حقيقة ، ويبطل ما يزعمه النصارى من تعظيمه ، وفيه دليل على تغيير المنكرات وآلات الباطل ، وقتل الخنزير من هذا القبيل ، وفيه دليل للمختار من مذهبنا ، ومذهب الجمهور أنا إذا وجدنا الخنزير في دار الكفر أو غيرها ، وتمكنا من قتله قتلناه ، وإبطال لقول من شذ من أصحابنا وغيرهم ، فقال : يترك إذا لم يكن فيه ضراوة .

وقال الحافظ في « الفتح ٦ / ٥٦٧ » : ويستفاد منه تحريم اقتناء الخنزير وتحريم أكله وأنه نجس لأن الشئ المنتفع به لا يشرع إتلافه .

وقال رحمه الله في « الفتح ٥ / ١٤٤ ، ١٤٥ » : وفي إيراده هنا إشارة إلى أن من قتل خنزيرًا أو كسر صليبًا لا يضمن ، لأنه فعل مأمورًا به ، وقد أخبر عليه الصلاة والسلام بأن عيسى عليه السلام سيفعله ، وهو إذا نزل كان مقررًا لشرع نبينا ﷺ . . .

ولا يخفى أن محل جواز كسر الصليب إذا كان مع المحاربين أو الذمى إذا جاوز به الحد الذى عوهد عليه ، فإذا لم يتجاوز وكسره مسلم كان متعديًا لأنهم على تقريرهم على ذلك يؤدون الجزية .

وهذا هو السر في تعميم عيسى كسر كل صليب لأنه لا يقبل الجزية ، وليس ذلك منه نسخًا لشرع نبينا محمد ﷺ ، بل الناسخ هو شرعنا على لسان نبينا لإخباره بذلك وتقريره . ا . هـ .

(٥) قوله : « ويضع الحرب » في بعض الروايات : « ويضع الجزية » :

قال النووى رحمه الله (شرح مسلم ٢ / ١٩٠) : فالصواب في معناه : أنه لا يقبلها ولا يقبل من الكفار إلا الإسلام ، ومن بذل منهم الجزية لم يكف عنه بها ، بل لا يقبل إلا الإسلام أو القتل ، هكذا قاله الإمام أبو سليمان الخطابى وغيره من العلماء =

أحد [١] ، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها » [٢] ثم يقول

= رحمهم الله تعالى .

وحكى القاضي عياض رحمه الله عن بعض العلماء معنى هذا ثم قال : وقد يكون فيض المال هنا من وضع الجزية ، وهو ضربها على جميع الكفرة فإنه لا يقاتله أحد فتضع الحرب أوزارها وانقياد جميع الناس له إما بالإسلام وإما بإلقاء يد فيضع عليه الجزية ويضربها وهذا كلام القاضي ، وليس بمقبول ، والصواب ما قدمناه وهو أنه لا يقبل منه إلا الإسلام ، وعلى هذا قد يقال هذا خلاف حكم الشرع اليوم ، فإن الكتابي إذا بذل الجزية وجب قبولها ولم يجز قتله ولا إكراهه على الإسلام ، وجوابه أن هذا الحكم ليس بمستمر إلى يوم القيامة بل هو مقيد بما قبل عيسى عليه السلام ، وقد أخبرنا النبي ﷺ في هذه الأحاديث الصحيحة بنسخه وليس عيسى عليه السلام هو الناسخ بل نبينا ﷺ هو المبين للنسخ ، فإن عيسى يحكم بشرعنا فدل على الامتناع من قبول الجزية في ذلك الوقت وهو شرع نبينا محمد ﷺ . ا . هـ .

هذا ؛ وقد نقل الحافظ في « الفتح ٦ / ٥٦٧ » عن ابن بطال قوله : « وإنما قبلناها ـ يريد الجزية ـ قبل نزول عيسى للحاجة إلى المال بخلاف زمن عيسى فإنه لا يحتاج منه إلى المال فإن المال في زمنه يكثر حتى لا يقبله أحد ، ويحتمل أن يقال : إن مشروعية قبولها من اليهود والنصارى لما في أيديهم من شبهة الكتاب وتعلقهم بشرع قديم بزعمهم فإذا نزل عيسى عليه السلام زالت الشبهة بحصول معاينته فيصيرون كعبدة الأوثان في انقطاع حجتهم ، وانكشاف أمرهم ، فناسب أن يعاملوا معاملتهم في عدم قبول الجزية منهم هكذا ذكره بعض مشايخنا احتمالاً والله أعلم » . ا . هـ .

(١) قوله : (ويفيض المال) .

قال النووي رحمه الله : ومعناه يكثر ، وتنزل البركات وتكثر الخيرات بسبب العدل وعدم التظالم ، وتقيء الأرض أفلاذ كبدها كما جاء في الحديث الآخر وتقل أيضاً الرغبات لقصر الآمال وعلمهم بقرب الساعة ، فإن عيسى ﷺ من أعلام الساعة والله أعلم .

(٢) قوله (حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها) :

قال النووي رحمه الله : فمعناه والله أعلم : أن الناس تكثر رغبتهم في الصلاة وسائر الطاعات لقصر آمالهم وعلمهم بقرب القيامة وقلة رغبتهم في الدنيا لعدم الحاجة إليها وهذا هو الظاهر من معنى الحديث . وقال القاضي عياض رحمه الله : معناه: أن أجرها خير لمصليها من صدقته بالدنيا وما فيها لفيض المال حينئذٍ وهوانه وقلة الشح وقلة =

أبو هريرة (١) واقرءوا إن شئتم : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء : ١٥٩] .

= الحاجة إليه للنفقة في الجهاد ، قال : والسجدة هى السجدة بعينها أو تكون عبارة عن الصلاة والله أعلم .

(١) قال النووى رحمه الله : وأما قوله : ثم يقول أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ .

ففيه دلالة ظاهرة على أن مذهب أبي هريرة في الآية ، أن الضمير في ﴿ مَوْتِهِ ﴾ يعود على عيسى عليه السلام ، ومعناها : وما من أهل الكتاب يكون في زمن عيسى عليه السلام إلا من آمن به وعلم أنه عبد الله وابن أمته ، وهذا مذهب جماعة من المفسرين وذهب كثيرون أو الأكثرون إلى أن الضمير يعود على الكتابى ، ومعناها : وما من أهل الكتاب أحد يحضره الموت إلا آمن عند الموت ـ قبل خروج روحه ـ بعيسى ﷺ وأنه عبد الله وابن أمته ، ولكن لا ينفعه هذا الإيمان ، لأنه في حضرة الموت وحالة النزاع، وتلك الحالة لا حكم لما يفعل أو يقال فيها فلا يصح فيها إسلام ولا كفر ولا وصية ولا بيع ولا عتق ولا غير ذلك من الأقوال ، يقول الله تعالى : [﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾] وهذا المذهب أظهر ، فإن الأول يخص الكتابى وظاهر القرآن عمومه لكل كتابى في زمن عيسى وقبل نزوله ، وتؤيد هذا قراءة من قرأ : « قبل موتهم » وقيل : إن الهاء في « به » تعود على نبينا محمد ﷺ والهاء في « موته » تعود على الكتابى والله أعلم.ا. هـ .

• إمامة المهدى لعيسى عليه السلام •

وهذا من تواضعه ﷺ :

○ ففى الصحيحين [١] من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ: «**كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم** » .

○ وأخرج مسلم في صحيحه [٢] من حديث جابر بن عبد الله قال سمعت النبى ﷺ يقول : « **لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلي يوم القيامة . قال : فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فيقول أميرهم : تعال صل بنا ، فيقول : لا ، إن بعضكم علي بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة** » .

• إهلال عيسى

عليه السلام بالحج والعمرة •

○ أخرج مسلم في صحيحه [٣] من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **والذى نفسى بيده ليهلن ابن مريم بفج الروحاء حاجًا أو معتمرًا أو ليثنيهما** » [٤] .

---

(١) البخارى (٣٤٤٩) ومسلم (ص ١٣٦ ، ١٣٧) وأحمد (٢ / ٢٧٢ ، ٣٣٦) .
(٢) (١٥٦) ، (١٩٩٣) وأحمد (٣ / ٣٨٤) .
(٣) (١٢٥٢) وأحمد (٢ / ٢٤٠ و ٢٧٢ و ...) .
(٤) أى : ليقرن بينهما .
قال النووى ـ رحمه الله ـ : « وهذا يكون بعد نزول عيسى عليه السلام من السماء في آخر الزمان ، وأما « فج الروحاء » فبفتح الفاء وتشديد الجيم ، قال الحافظ أبو بكر الحارثى : هو بين مكة والمدينة ، قال : وكان طريق رسول الله ﷺ إلى بدر وإلى مكة عام الفتح وعام حجة الوداع » .

• عيسى ﷺ يقتل الدجال •

○ أخرج مسلم في صحيحه [١] من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق [٢] أو بدابق [٢] ، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ ، فإذا تصافوا ، قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبَوْا منا نقاتلهم ، فيقول المسلمون ، لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا فيقاتلونهم فيهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدًا ، ويقتل ثلثهم ، أفضل الشهداء عند الله ، ويفتح الثلث لا يفتنون أبدًا ، فيفتتحون قسطنطينية [٣] ، فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون ، إذ صاح فيهم الشيطان إن المسيح قد خلفكم في أهليكم فيخرجون وذلك باطل ، فإذا جاءوا الشام خرج فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فأمهم ، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء فلو تركه لانذاب حتى يهلك ، ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته » .

○ وأخرج ابن حبان في « صحيحه » [٤] من حديث عائشة قالت :دخل

---

(١) (٢٨٩٧) .

(٢) موضعان بالشام بقرب حلب .

(٣) هى مدينة مشهور من أعظم مدائن الروم .

(٤) (حديث ١٦٠٥) .

قلت : وقد أورده شيخنا في « الفتن والملاحم » (ص ٥٠٧) وحكم عليه بالصحة هناك، ثم قال : « وكل ما يشوبه عنعنة يحيى بن أبي كثير ، ولكن مظنة تدليسه هنا بعيدة لدى ، وأيضًا فلأغلب الحديث شواهد » انتهى .

قلت : ومن شواهده التي تشهد لنا في هذا الباب ما رواه الترمذى (٢٢٤٤) وأحمد (٣/ ٤٢٠) والحميدى (٨٢٨) والخطيب في « المتفق والمفترق » (٣/ ١٩٧٢) وابن =

عليَّ رسول الله ﷺ وأنا أبكي فقال : « **ما يبكيك ؟** فقلت : يا رسول الله ذكرت الدجال . **قال : فلا تبكين ، فإن يخرج وأنا حي أكفيكموه ، وإن مت فإن ربكم ليس بأعور ، وإنه يخرج معه اليهود ، فيسير حتى ينزل بناحية المدينة وهي يومئذ لها سبعة أبواب على كل باب ملكان فيخرج الله شرار أهلها ، فينطلق يأتيَ لدًّا ، فينزل عيسى ابن مريم فيقتله ، ثم يلبث عيسى في الأرض أربعين سنة إمامًا عدلاً ، وحكمًا مقسطًا** » .

○ وأخرج مسلم في صحيحه (١) من حديث النواس بن سمعان قال : ذكر رسول الله ﷺ الدَّجال ذات غداةٍ فخفَّض فيه ورفَّع حتى ظنناه في طائفة النخل فلما رُحنا إليه عرف ذلك فينا ، فقال : **ما شأنكم ؟** قلنا : يا رسول الله : ذكرت الدجال غداة ، فخفضت ورفعت ، حتى ظنناه في طائفة النخل فقال : « **غير الدجال أخوفُني عليكم ، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجهُ دونكم ، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم ؛ إنه شاب قططٌ عينه طافئة كأني أُشبِّهُهُ بعبد العزى بن قطن ، فمن أدركهُ منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف ، إنه خارج خلَّة بين الشام والعراق فعاث يمينًا وعاث شمالاً يا عباد الله فاثبتوا** » قلنا يا رسول الله ، وما لَبْثُهُ في الأرض ؟ ، قال : « **أربعون يومًا يوم كسنةٍ ، ويومٌ كشهر ، ويومٌ كجمعة ، وسائر أيامه كأيامكم** » قلنا يا رسول الله ، فذلك اليوم الذي

= الأعرابي في « معجمه » (٢٢٦٤) وغيرهم من حديث مُجمَّع بن جارية الأنصارى قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يقتل ابن مريم الدجال بباب لدٍّ » .
وفي سنده جهالة ، ويشهد له حديث النواس بن سمعان (الطويل عند مسلم) وفيه : « حتى يدركه بباب لد فيقتله » .

(١) (٢١٣٧) والترمذى (٢٢٤٠) .

كسنة، أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال : « **لا اقدروا له قدْره** » قلنا : يا رسول الله ﷺ ، وما إسراعه في الأرض ؟ قال : « **كالغيث استدبرته الريح ،** فيأتي على القوم ، فيدعوهم فيؤمنون به ، ويستجيبون له ، فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت ، فتروح عليهم سارحتهم ، أطول ما كانت ذرًا ، وأسْبَغَهُ ضروعًا وأمدَّه خواصر ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شئ من أموالهم ، ويمر بالخرِبَة فيقول لها : أخرجى كنوزك فتتبعهُ كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلاً ممتلئًا شبابًا فيضربه فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك ، فبينما هو كذلك إذا بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بين مهْرُودَتَيْن واضعًا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قَطَر وإذا رفعه تحدَّر منه جمانٌ كاللؤلؤ ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرْفُهُ فيطلبه حتى يدركه بباب لُدٍّ فيقتله ثم يأتى عيسى ابن مريم قومٌ قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة ، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى إنى قد أخرجت عباداً لى لا يُدان لأحدٍ بقتالهم فَحرِّز عبادى إلى الطور ، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حَدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرةً ماءً ويحصر نبى الله عيسى وأصحابه حتي يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى واحدة ثم يهبط نبى الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شِبر إلا ملأه زهمُهُم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله ، فيرسل الله طيرًا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث

شاء الله ثم يرسل الله مطرًا لا يكن منه بيت مدَرَ ولا وَبَر ، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزَّلفة ثم يقال للأرض : أنبتى ثمرتك وردِّى بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الرِّسل حتى إن اللِّقحة من الإبل لتكفى الفئام من الناس ، واللقحة من البقر لتكفى القبيلة من الناس ، واللقحة من الغنم لتكفى الفخذ من الناس ، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحًا طيبة ، فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روحَ كل مؤمن ، وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة » .

• صفة عيسى عليه السلام •

○ أخرج البخارى ومسلم [1] من حديث ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « رأيت ليلة أسرى بي موسى رجلاً آدم طوالاً جعدًا كأنه من رجال شنوءة ، ورأيت عيسى رجلاً مربوعًا ، مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس ، ورأيت مالكًا خازن النار ، والدجال ، في آياتٍ أراهن الله ، فلا تكن في مرية من لقائه » .

○ وفي رواية عند البخارى [2] : « فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر» .

○ وفي الصحيحين [3] من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « أرانى الليلة عند الكعبة ، فرأيت رجلاً آدم كأحسن ما أنت راء من أدم الرجال ، له لِمَّة كأحسن ما أنت راء من اللمم ، قد

(١) (برقم ٣٢٣٩) ومسلم (١٦٥) (ص ١٥١) وأحمد (١ / ٢٤٥ و ٢٥٩ و ٠٠٠).
(٢) (٣٤٣٨) .
(٣) البخارى (٥٩٠٢) ومسلم (١٦٩) .

رجلها [١] فهي تقطر ماء ، متكئًا على رجلين [٢] ـ أو على عواتق رجلين ـ يطوف بالبيت ، فسألت من هذا ؟ فقيل : المسيح ابن مريم ، وإذا أنا برجل جعد قطط أعور اليمنى كأنها عنبة طافية ، فسألت من هذا ؟ فقيل : المسيح الدجال» .

○ وأخرج مسلم في صحيحه [٣] من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لقد رأيتنى في الحجر وقريش تسألنى عن مسراى ، فسألتنى عن أشياء من بيت المقدس لم أُثبتها ، فكُرِبت كربة مثله قط ، قال : فرفعه الله لى أنظر إليه . ما يسألونى عن شيئ إلا أنبأهم به ، وقد رأيتنى في جماعة من الأنبياء . فإذا موسى قائم يصلى فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة . وإذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائم يصلى أقرب الناس شبهًا عروة بن مسعود الثقفى . وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلى أشبه الناس به صاحبكم (يعنى نفسه) فحانت الصلاة فأممتهم . فلما فرغت من الصلاة ، قال قائل : يا محمد ! هذا مالك صاحب النار ، فسلِّم عليه ، فالتفت إليه ، فبدأنى بالسلام» .

○ وفي الصحيحين [٤] من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ليلة أسرى بي رأيت موسى ، وإذا هو رجل ضرب رجل كأنه من رجال شنوءة ، ورأيت عيسى فإذا هو رجل ربعة أحمر ، كأنما خرج من ديماس [٥] ، وأنا أشبه ولد إبراهيم ﷺ به ، ثم أتيت بإناءين في أحدهما لبن وفي الآخر خمر ، فقال : اشرب أيها شئت ، فأخذت اللبن فشربته ، فقيل :

---

(١) أى : قد سرَّح شعره ، ودهنه .
(٢) وفي رواية : « واضعًا يديه على منكبى رَجُلين يطوف بالبيت » انظر البخارى (٣٤٣٩).
(٣) (١٧٢) وأحمد (٢ / ٥٢٨) .
(٤) البخارى (٣٣٩٤) ومسلم (١٦٨) وأحمد (٢ / ٢٨١ و ٥١٢) والترمذي (٣١٣٠) والنسائي (٨/ ٣١٢) .
(٥) فُسر الديماس في رواية للبخارى (٣٤٣٧) بأنه الحمام .

أخذت الفطرة ، أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك » .

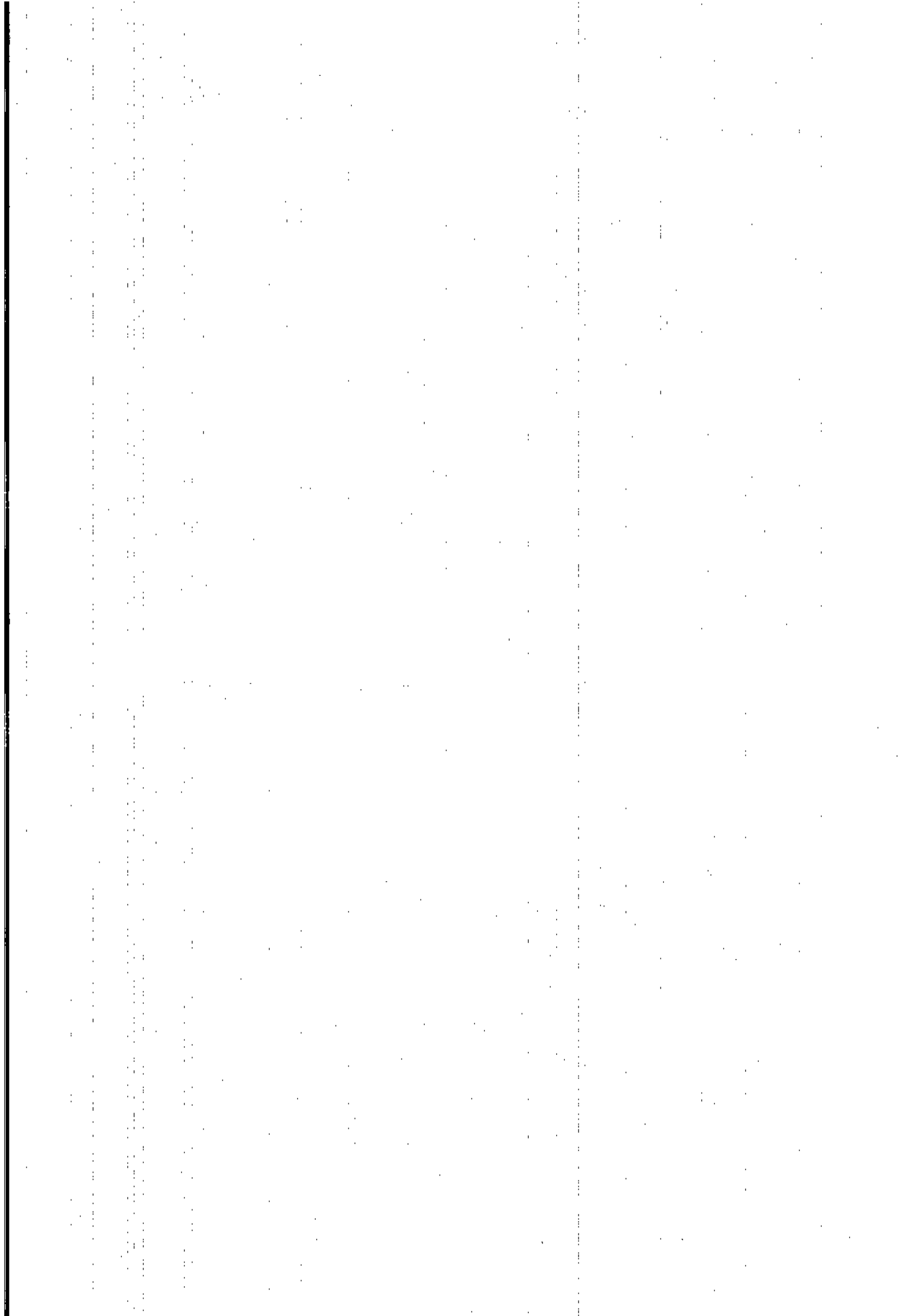
○ وأخرج أحمد (١) من حديث أبي هريرة أن النبى ﷺ قال : « **الأنبياء إخوة لعلات أمهاتكم شتى ، ودينهم واحد ، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، لأنه لم يكن بيني وبينه نبي ، وإنه نازل ، فإذا رأيتموه ، فاعرفوه رجلاً مربوعًا إلى الحمرة والبياض ، عليه ثوبان ممصران (٢) كأن رأسه يقطر ، وإن لم يصبه بلل ، فيدق الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويدعو الناس إلى الإسلام ، فيُهْلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال ، وتقع الأمنة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل ، والنِّمار مع البقر ، والذئاب مع الغنم ، ويلعب الصبيان بالحيات ، لا تضرهم ، فيمكث أربعين سنة ، ثم يتوفى ، ويصلى عليه المسلمون** » .

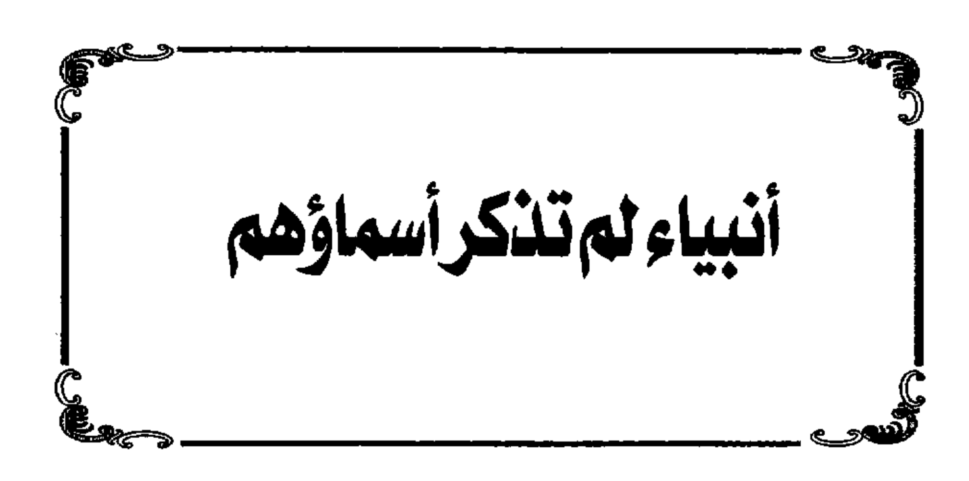
قلت : مربوع : أي : معتدل القامة .

---

(١) (٢ / ٤٠٦) (٢ / ٤٣٧) وأبو داود (٢٣٢٤) . وفي سنده انقطاع ، لكنه صحيح بالشواهد . وقد صححه الحافظ في « الفتح » و ابن كثير في « البداية » .

(٢) قال الخطابى : قال الشيخ : الممصر من الثياب الملون بالصفرة ، وليست صفرته بالمشبعة ، وفي اللسان ـ نقلاً عن أبي عبيد قال ـ: الثياب الممصرة التى فيها شيئ من صفرة ليست بالكثيرة ، وقال شمر : الممصر من الثياب ما كان مصبوغًا فغسل ، وقال أبو سعيد : التمصير في الصبغ أن يخرج المصبوغ مبقعًا لم يستحكم صبغه ، والتمصير في الثياب أن تتمشق تخرقًا من غير بلى ، وفي حديث عيسى عليه السلام : «ينزل بين ممصرتين » . الممصرة من الثياب التى فيها صفرة خفيفة ، ومنه الحديث : أتى عليٌّ طلحة رضى الله عنهما ، وعليه ثوبان ممصران .





أنبياء لم تذكر أسماؤهم

• أنبياء لم تذكر أسماؤهم •

○ قال تعالى : ﴿ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾ [النساء : ١٦٤] .

(١)

○ قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة : ٢٤٧] .

(٢)

• نبى قرصته نملة •

○ أخرج البخارى رحمه الله [(١)] من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **قرصت نملة نبيًا من الأنبياء ، فأمر بقرية النمل فأُحرقت ، فأوحى الله إليه أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح الله** » ورواه مسلم .

---

(١) (حديث : ٣٠١٩) ومسلم (٢٢٤١) (ص ١٧٥٩) ، وأحمد (٢ / ٤٠٢ ، ٠٠) وأبو داود (٥٢٦٥ ، ٥٢٦٦) والنسائي (٧ / ٢١٠ ، ٢١١) وابن ماجه (٣٢٢٥) وتمام في « فوائده » (١١١٤) (٢ / ٥١) .

قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » (٦ / ٤١٢ ، ٤١٣) : « واستدل بهذا الحديث على جواز إحراق الحيوان المؤذى بالنار من جهة أن شرع ما قبلنا شرع لنا إذا لم يأت =

(٣)

• نبي يغزو قرية فيفتحها الله عليه وتحبس له الشمس ببركة دعائه •

○ أخرج الإمام البخارى رحمه الله (١) من حديث أبي هريرة رضى الله

= في شرعنا ما يرفعه ، ولا سيما إن ورد على لسان شرعنا ما يشعر باستحسان ذلك ، لكن ورد في شرعنا النهى عن التعذيب بالنار .

قال النووى : هذا الحديث محمول على أنه كان جائزًا في شرع ذلك النبى جواز قتل النمل ، وجواز التعذيب بالنار ، فإنه لم يقع عليه العتب في أصل القتل ، ولا في الإحراق ، بل في الزيادة على النملة الواحدة ، وأما في شرعنا فلا يجوز إحراق بالنار إلا في القصاص بشرطه ، وكذا لا يجوز عندنا قتل النمل ، لحديث ابن عباس في «السنن » : « أن النبى نهى عن قتل النملة والنحلة » انتهى .

وقد قيده غيره كالخطابى النهى عن قتله من النمل بالسليماني ، وقد قال البغوى : النمل الصغير الذى يقال له الذر ، يجوز قتله ، ونقله صاحب « الاستقصاء » عن الصيمرى وبه جزم الخطابى .

وفي قوله : « إن القتل والإحراق كان جائزًا في شرع ذلك النبي » نظر ، لأنه لو كان كذلك لم يعاتب أصلاً ورأسًا إذا ثبت أن الأذى طبعه . وقال عياض : في هذا الحديث دلالة على جواز قتل كل مؤذ » .

ثم قال الحافظ رحمه الله : (تكملة) : النملة واحدة النمل ، وجمع الجمع نمال ، والنمل أعظم الحيوانات حيلة في طلب الرزق ، ومن عجيب أمره أنه إذا وجد شيئًا ولو قل أنذر الباقين ، ويحتكر في زمن الصيف للشتاء ، وإذا خاف العفن على الحب أخرجه إلى ظاهر الأرض ، وإذا حفر مكانه اتخذها تعارج لئلا يجرى عليه ماء المطر ، وليس في الحيوان ما يحمل أثقل منه غيره ، والذر في النمل كالزنبور في النحل .

قوله : « أمة من الأمم تسبح » استدل به على أن الحيوان يسبح الله تعالي حقيقة ، ويتأيد به قول من حمل قوله : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ . على الحقيقة وتعقب بأن ذلك لا يمنع الحمل على المجاز بأن يكون سببًا للتسبيح » . ا . هـ .

(١) (برقم : ٣١٢٤) ، (٥١٥٧) ومسلم (١٧٤٧) وهذا النبى فُسِّر في حديث آخر بأنه يوشع بن نون ، فقد أخرج الإمام أحمد في « مسنده » (٢ / ٣٢٥) من =

عنه قال : قال النبي ﷺ : « غزا نبى من الأنبياء ، فقال لقومه : لا يتبعنى رجلٌ ملك بضع امرأة ، وهو يريد أن يبنى بها ، ولمَّا يبْن بها ، ولا أحد بنى بيوتًا ولم يرفع سقوفها ، ولا أحدٌ اشترى غنمًا أو خلفات ، وهو ينتظر ولادها ، فغزا ، فدنا من القرية صلاة العصر أو قريبًا من ذلك ، فقال للشمس : إنك مأمورة وأنا مأمور ، اللهم احبسها علينا ، فحبست حتى فتح الله عليه ، فجمع الغنائم ، فجاءت ـ يعنى النار ـ لتأكلها فلم تطعمها ، فقال : إن فيكم غلولاً ، فليبايعنى من كلِّ قبيلة رجلٌ ، فلزقت يد رجل بيده ، فقال : فيكم الغلول ، فليبايعنى قبيلتك ، فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده ، فقال : فيكم الغلول ، فجاؤوا برأس مثل رأس بقرة من الذهب فوضعوها ، فجاءت النار فأكلتها . ثم أحلَّ الله لنا الغنائم ، رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا » .

(٤)

● نبى ضربهُ قومه فأدمَوْه

فقال : « اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون » ●

○ أخرج البخارى ومسلم (١) من حديث عبد الله بن مسعود أنه قال :

= حديث أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « إن الشمس لم تحبس على بشر إلا ليوشع ليالى سار إلى بيت المقدس » .

وأخرجه ابن عبد الواحد المقدسى في « أحاديث الأنبياء » (رقم ٣٨ بتحقيقى) وهذا لفظه . وهو حديث حسن . وراجع « المنتخب من العلل للخلال » (رقم : ١٠١) .

(١) تقدَّم في باب فضائل نوح عليه السلام . ولم أقف على اسم هذا النبى صريحًا ، لكنه من المحتمل أن يكون هو نـوح ﷺ ، ومقـولته هذه في ابتداء الأمر ، ثم لما يئس من =

«كأني أنظر إلى النبي ﷺ يحكي نبيًا من الأنبياء ضربه قومه فأدموه ، وهو يمسح الدم عن وجهه ، ويقول : اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون » .

(٥)

• نبي يُخفِّف

العقوبة على قومه بعد ما دعا عليهم •

○ أخرج الترمذي [١] وأحمد (واللفظ له) عن صهيب الرومي رضي الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ إذا صلى همس شيئًا لا أفهمه ، ولا يخبرنا به ، قال : **أفطنتم لي** ؟ قلنا : نعم ، قال : **إني ذكرت نبيًا من الأنبياء أعطي جنوداً من قومه ، فقال : من يكافئ هؤلاء ، أو من يقوم لهؤلاء** ، أو غيرها من الكلام ، (وفي بعض الروايات : شك سليمان ـ أحد الرواه)،

= قومه قال : ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح : ٢٦] .
وقد قال النووي ـ رحمه الله تعالى ـ : « هذا النبي الذي جرى له ما حكاه النبي ﷺ من المتقدمين ، وقد جرى لنبينا نحو ذلك يوم أحد » . وانظر : « الفتح » (٦/ ٦٠١، ٦٠٢).

(١) (٣٣٤٠) ، وأحمد (٦ / ١٦) و (٤ / ٣٣٣) والدارمي (٢٤٤١) (مختصراً على الدعاء الأخير) ، والنسائي في « الكبرى » (٦ / عمل اليوم والليلة ص ١٥٧)، (١٠٤٥٠) ، وابن أبي شيبة في « مصنفه » (١٠ / ٣١٩) ، والإسماعيلي في «معجمه» (١ / ٤٣٨ مختصراً) (رقم ٩٦ ترجمة) وابن حبان في « صحيحه » (١٩٧٥) والبيهقي في « السنن الكبرى » (٩ / ١٥٣) من حديث ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب مرفوعًا .
قلت : وهذا إسناد صحيح .

فأوحى إليه أن اختر لقومك إحدى ثلاث ، إما أن تسلط عليهم عدواً من غيرهم ، أو الجوع ، أو الموت ، فاستشار قومه في ذلك ، فقالوا : أنت نبى الله فكِل ذلك إليك ، وخِر لنا ، فقام إلى الصلاة ، (وكانوا إذا فزعوا فزعوا إلى الصلاة) ، فصلى ما شاء الله ، قال : ثم قال : أى رب أما عدو من غيرهم فلا، أو الجوع فلا ، ولكن الموت ، فسلط عليهم الموت ، فمات منهم سبعون ألفًا، فهَمْسى الذى ترون أنى أقول : اللهم بك أقاتل ، وبك أصاول ، ولا حول ولا قوة إلا بالله» .

○ ومن ذلك ما حسَّنه الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى (١) من حديث: على بن أبي طالب رضى الله عنه : « أن نبيًا من الأنبياء عصاه قومه ، فقيل له: نقتلهم بالجوع ؟ قال : لا ، قال : نسلِّط عليهم عدواً من غيرهم ؟ قال : لا، ولكن موت رقيق ، قال على : فسلط الله عليهم الطاعون ، فجعل يقل العدد ، ويخر في القُلوب » ، لفظ سفيان ولفظ إسرائيل نحوه ، وزاد : « وهو بقية عذاب عذِّب به من كان قبلكم » .

---

(١) وقد أخرجه الحافظ في « بذل الماعون في فضل الطاعون » (ص ٨١ ، ٨٢) وعزاه لمطيَّن في « مسنده » قال الحافظ : « هذا إسناد حسن ، أخرجه مطين في « مسنده » هكذا ، وكأنه جعل له حكم الرفع ، إذ لا مجال للرأى فيه » . ا . هـ .

قلت : وبمراجعتى للراوى عن علىٍّ تبين لى خلاف حكم الحافظ ، فإن عمارة السلولى، وهو ـ عمارة بن عبد ـ الراوى عن على ، جَهَّلَه الذهبى في « الميزان » وقال : لا يحتج به ، قاله أبو حاتم ، ونقل عن ابن عدى قوله فيه : « مستقيم الحديث ، لا يروى عنه غير أبي إسحاق » .

وقال الحافظ في « التقريب » : « مقبول » . ومعناه : إذا توبع ، وإلا فلين .

وفيه علل أخرى : عنعنه الأعمش ـ وهو مدلس ـ وأبي إسحاق وهو مختلط .

قلت : وهذا المتن قريب من الذى مضى ، فلعله هو هذا النبي والله أعلم . والحديث أخرجه المحاملى الحسين بن إسماعيل في « الأمالى » من طريق أبي إسحاق عن عمارة بن عبد عن على نحوه (١) .

(٦)

● ملكان من الملائكة يشبهان نبيين من الأنبياء ●

○ أخرج الإمام أحمد رحمه الله في « المسند » (٢) من حديث سفينة مولى رسول الله ﷺ قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : « **ألا إنه لم يكن نبى قبلى إلا حذَّر الدجال أمته ، هو أعور عينه اليسرى ، بعينه اليمنى ظفرة غليظة ، مكتوب بين عينيه كافر ، يخرج معه واديان ، أحدهما جنة ، والآخر نار، فنارهُ جنة ، وجنته نار ، معه ملكان من الملائكة ، يشبهان نبيين من الأنبياء ، لو شئت سميتهما بأسمائهما ، وأسماء آبائهما ، واحد منهما عن يمينه ، والآخر عن شماله ، وذلك فتنتهُ** . . . الحديث » .

---

(١) (رقم : ٢٠٧) رواية ابن يحيى البيِّع .

(٢) (٥ / ٢٢١) وابن أبي شيبة في « المصنف » (١٧ / ٣١٧) . وقد حسَّن إسناده شيخنا أبو عبد الله مصطفى بن العدوى حفظه الله تعالى في « الفتن » (ص ٤٨٩) وقال : «وفي إسناده سعيد بن جمهان ، وثقه بعض أهل العلم ، وقال البخارى : في حديثه عجائب ، ولعل هذا هو الذى حدا بالحافظ ابن كثير رحمه الله إلى أن يقول : إسناده لا بأس به ، ولكن في متنه نكارة وغرابة ، والله أعلم » . انتهى المراد .

(٧)

• نبي من الأنبياء كان يخط •

○ وأخرج مسلم في صحيحه [(١)] من حديث معاوية بن الحكم السلمى قال (فذكر حديث الجارية الطويل ، وفيه ، أن رسول الله ﷺ قال) : **«كان نبي من الأنبياء يخط ، فمن وافق خطه فذاك »** .

○ وأخرج أحمد في « المسند » [(٢)] من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : **« كان نبي من الأنبياء يخط فمن وافق علمه فهو عمله »** .

● ● ●

●● هذا ، وقد ورد في الباب أحاديث أخر لكن لا يصح منها شيئ البتة ، فمنها ما روى أن رجلاً سبَّ برغوثًا فقال النبي ﷺ : **« لا تسبه فإنه أيقظ نبيًا من الأنبياء للصلاة »** .

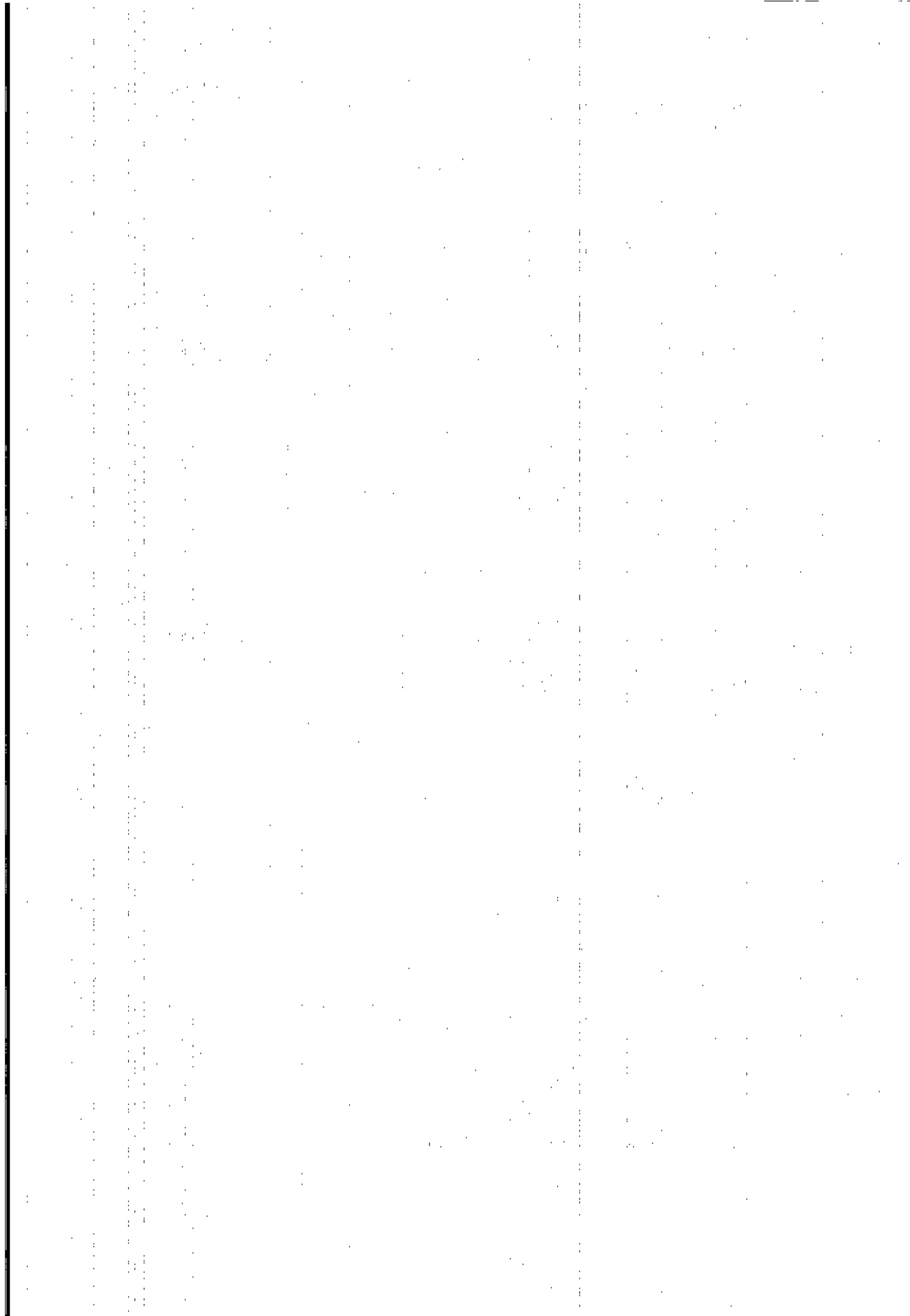
أخرجه البخاري في « الأدب المفرد » [(٣)] وهو منكر أنكره أهل العلم .

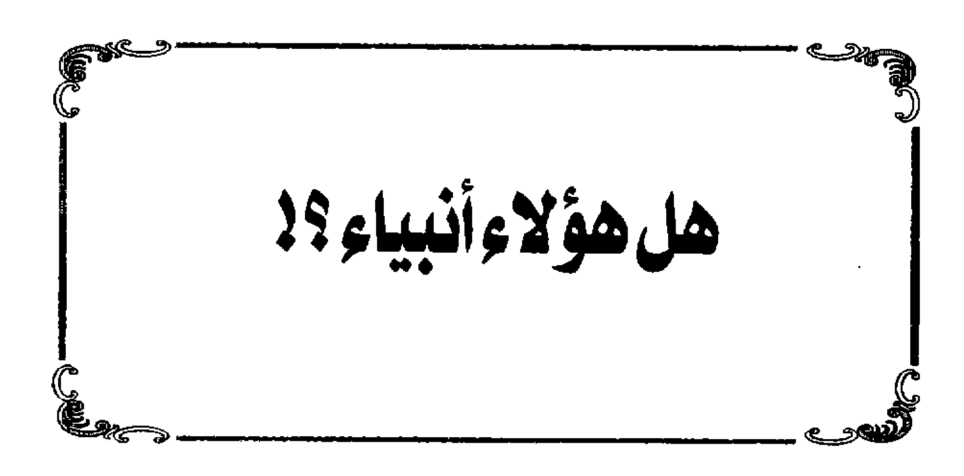
---

(١) (برقم : ٥٣٧ ، ٧٤٩) .

(٢) (٢ / ٣٩٤) بإسناد صحيح . قال الحاكم كما في « سؤالات السجزى » (رقم : ٨٦) : « هذا النبي هو إدريس ﷺ » .

(٣) (برقم : ١٢٣٧) ، وراجع « جنة المرتاب بتخريج أحاديث المغنى عن الحفظ والكتاب للموصلى » لأبي إسحاق الحوينى حفظه الله تعالي (ص ٤٩٩) .





هل هؤلاء أنبياء ؟!

● هل هؤلاء أنبياء ؟! ●

○ أولاً لِيُعْلَم أنه ليس في النساء نبيات ، فكما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل : ٤٣] . ثم الكلام عن :

١ ـ الخضر .

٢ ـ إخوة يوسف الإحدى عشر .

٣ ـ لقمان .

٤ ـ عزير .

٥ ـ تُبَّع .

٦ ـ ذي القرنين .

٧ ـ الثلاثة رسل المذكورين في سورة يس .

○ أما الخضر ، فهو مما لا أستطيع الجزم بنبوته ، بل أتوقف فيه ، وأكل فيه الأمر إلى الله سبحانه وتعالى (١) .

○ أما إخوة يوسف ، فقد صوَّب الحافظ ابن كثير رحمه الله أن إخوة يوسف ليسوا بأنبياء ، وليسوا هم المراد بالأسباط الذين أمرنا الله بالإيمان بهم .

وقال : لأن المراد بالأسباط شعوب بني إسرائيل ، وما كان يوجب فيهم من الأنبياء الذين ينزل عليهم الوحي من السماء والله أعلم .

---

(١) وقد قال بنبوته طائفة من أهل العلم رحمهم الله تعالي .
واستدلوا على ذلك بقوله : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف : ٦٥] ، وبقوله : ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴾ [الكهف : ٨٢] .

○ أما لقمان ، فهو رجل صالح ، صح ذلك عن قتادة وغير واحد من السلف أنه كان صالحًا ولم يكن نبيًا ، وقد قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ﴾ [لقمان : ١٢] ، وراجع « الفتح » (٦ / ٥٣٧) .

○ أما عزير ، فورد ذكره في قوله : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣٠] ، ولم يرد فيه شئ سوى ذلك ، وقد ورد حديث لا يثبت عن رسول الله ﷺ لفظه : (لا أدرى أكان نبيًا أم لا) وهو لا يصح ، وراجع «تخريج أحاديث الكشاف » (٣ / ٢٧٠) .

○ أما تبَّع ، فلا نستطيع الجزم بكونه نبيًا أو لا ، لعدم ورود شيء في ذلك صحيح عن رسول الله ﷺ ، وروى مرفوعًا : « **ما أدرى أكان تبع نبيًا أو غير نبى**»[1] . وقد ورد ذكر قومه في قوله : ﴿ وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾ [ق : ١٤] .

قال السعدى رحمه الله تعالى : « وتبع كل ملك ملك اليمن في الزمان السابق قبل الإسلام ، فقوم تبع كذبوا الرسول الذى أرسله الله إليهم ، ولم يخبرنا الله من هو ذلك الرسول ، وأىُّ تُبَّع من التبابعة . . . » انتهى المراد .

○ وذو القرنين ، فكذلك لم يأت في خبر صحيح القول بنبوته ، وقد استدل قوم على نبوته بقوله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾ [الكهف: ٨٤]، وبقوله : ﴿ قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ ﴾ [الكهف : ٨٦] ، وهذا غير ناهض لدعواهم ، والله أعلم .

---

(١) وراجع « تخريج أحاديث الكشاف » للزيلعى (رقم : ١١٧٩) .

قال الشيخ أحمد فريد حفظه الله تعالى [١] : « والقول فيه : أنه كان عبدًا صالحًا ملكه الله الأرض ، وأعطاه العلم والحكمة ، وألبسه الهيبة ، وإن كنا لا ندرى من هو .

وهذا الذى دلَّ عليه ظاهر القرآن ، أما غير ذلك فيحتاج إلى دليل صحيح يجب المصير إليه ، ولا دليل ، والله أعلى أعلم » . انتهى المراد .

○ أما عن الثلاثة المذكورين في سورة يس ، في قوله تعالى : ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ۝١٣ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ۝١٤ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ ثم قالوا : ﴿ وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ [يس : ١٣ ـ ١٥ ، ١٧] .

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ في « التفسير » [٢] : « تقدم عن كثير من السلف أن هذه القرية هي أنطاكية ، وأن هؤلاء الثلاثة كانوا رسلاً من عند المسيح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام ، كما نص عليه قتادة وغيره ، وهو الذى لم يذكر عن واحد من متأخرى المفسرين غيره ، وفي ذلك نظر من وجوه :

(أحدها) : أن ظاهر القصة يدل على أن هؤلاء كانوا رسل الله عز وجل لا من جهة المسيح عليه السلام ، كما قال تعالى : ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴾ ـ إلى أن ـ ﴿ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ [يس : ١٤ ـ ١٧] ، ولو كان هؤلاء

(١) في « تيسير المنان » (٣ / ١٤٣ ومابعدها بتصرف) .

(٢) (٣ / ٥٣٢ المكتبة القيمة) .

من الحواريين لقالوا عبارة تناسب أنهم من عند المسيح عليه السلام والله تعالي أعلم ، ثم لو كانوا رسل المسيح لما قالوا لهم ﴿ مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ [يس : ١٥] .

(الثانى) : أن أهل أنطاكية آمنوا برسل المسيح إليهم ، وكانوا أول مدينة آمنت بالمسيح ، ولهذا كانت النصاري إحدى المدائن الأربعة اللاتى فيهن بتاركة وهن القدس لأنها بلد المسيح . وأنطاكية ، لأنها أول بلدة آمنت بالمسيح عن آخر أهلها ، والإسكندرية لأن فيها اصطلحوا على اتخاذ البتاركة والمطارنة والأسقافة والقساوسة والشمامسة والرهابين . ثم رومية لأنها مدينة الملك قسطنطين . . . ثم قال : فإذا تقرر أن أنطاكية أول مدينة آمنت فأهل هذه القرية ذكر الله تعالى أنهم كذبوا رسله ، وأنه أهلكهم بصيحة واحدة أخمدتهم ، والله أعلم .

(الثالث) : أن قصة أنطاكية مع الحواريين أصحاب المسيح بعد نزول التوراة ، وقد ذكر أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه وغير واحد من السلف أن الله تبارك وتعالي بعد إنزاله التوراة لم يهلك أمة من الأمم عن آخرهم بعذاب يبعثه عليهم ، بل أمر المؤمنين بعد ذلك بقتال المشركين ، ذكروه عند قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأُولَىٰ ﴾ [القصص : ٤٣] .

فعلى هذا يتعين أن هذه القرية المذكورة في القرآن قرية أخرى غير أنطاكية كما أطلق ذلك غير واحد من السلف أيضًا ، أو تكون أنطاكية إن كان لفظها محفوظًا في هذه القصة مدينة أخرى غير هذه المشهورة المعروفة ، فإن هذه لم يعرف أنها أهلكت لا في الملة النصرانية ، ولا قبل ذلك ، والله سبحانه

وتعالى أعلم . ا . هـ .

○ هذا ؛ وهناك أسماء لم ترد في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ الصحيحة ، ومع ذلك أثبت نبوتهم قوم [١] ، وذلك غير موفق وغير سديد منهم ، إذ الأصل في إثبات شئ من ذلك هو كتاب الله ، والصحيح الثابت من سنة رسول الله ﷺ ، ولكن كان الشأن منهم أنهم عمدوا إلى النقل في ذلك عن أهل الكتاب ، وإلى أحاديث مفتراه مكذوبة ، لا تثبت عن خير الأنام . وهذا ما أوردوه :

○ فمن هؤلاء :

١ ـ شيْث .

٢ ـ حِزقيل .

٣ ـ شمويل .

٤ ـ دانيال .

٥ ـ أرميا .

وسواهم .

فالشاهد أننا لا نستطيع أبدًا أن نتجشم ونثبت لهؤلاء نبوة أو رسالة من الله سبحانه ، دون حجة أو بينة (مضمنة في كتاب وسنة صحيحة) .

هذا ؛ وإننى إذ أقرر ذلك لا أمنع أن يكون فيهم نبى ورسول ، لكن أنَّى

---

(١) وقد كان الأحرى لهؤلاء أن يتجنبوا ذلك ، ويلتزموا ما ورد ذكره في التنزيل ، ويتناولوه بالشرح والبيان ، وما جاء ذكره في حديث صحيح عن خير الأنام محمدٍ ﷺ فذلك خير لهم وأقوم .

لي بذلك ؟! أنعتمد على إسرائيليات قد نقلت إلينا عن أهل الكتاب ؟!! حاشا وكلا !! ولا يقوله مسلم سليم العقيدة ، أم الأصل في ذلك قرآن ربنا، وسنة نبينا الأمين ، عليه أفضل صلاة وأتم تسليم ، لا شك أن أى مسلم يسلِّم بهذا الأخير ، والله وحده المسؤل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ الأمين ، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين ، ومن اهتدى بهديهم ، واقتفى أثرهم إلى يوم الدين ، وسلَّم تسليمًا كثيراً .

كتبه

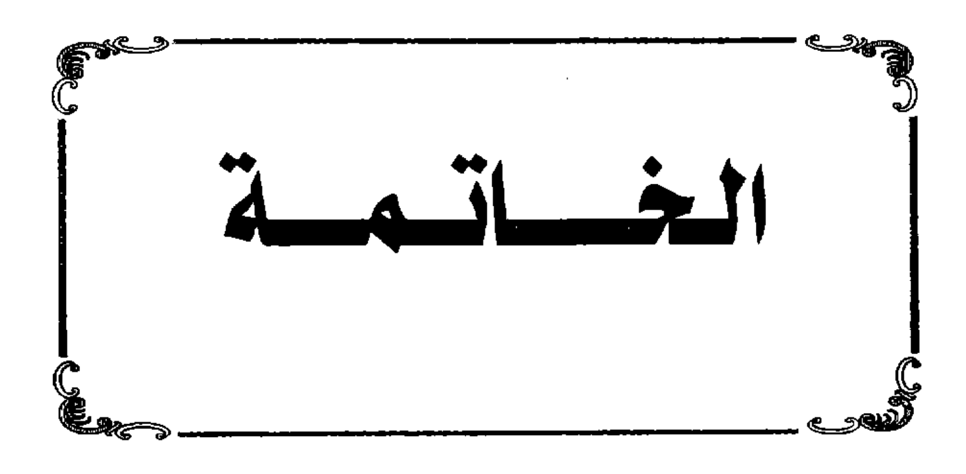
أبو عبد الله

محمد بن العفيفي بن عبد المقصود بن العفيفي

جمهورية مصر العربية ـ الدقهلية

منية سمنود ـ مسجد أهل السنة والجماعة

انتهيت من مراجعته عام ١٤٢٢من هجرة المصطفى ﷺ



الخاتمة

● الخاتمة ●

في نهاية هذا البحث ـ الذي أسأل الله أن ينفع به ، وأن يجعله ذخرًا لي يوم ألقاه ـ أختم ببيان : « كيفية الاقتداء بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام » .

ويحسن بي في هذا المقام وتلك الخاتمة أن أورد ما سطّره الشيخ صفوت الشوادفي ـ عليه رحمة الله ـ حيث قال كلامًا مفيدًا نافعًا في هذا الباب ـ أنار الله قبرهُ ، وأسكنه فسيح جناته ـ وهذا نصُّهُ (١) :

● الاقتداء بالأنبياء ●

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين !! والصلاة والسلام على رسوله الأمين ورسله أجمعين . . . وبعد :

فإن الحق سبحانه وتعالى ـ قد بعث في كل أمة رسولاً يأمرهم بعبادة الله ويبين لهم الطريق الموصل إليه ، وينهاهم عن الشرك ، ويحذرهم من الطرق المؤدية إليه ، ويقول لهم : ﴿ اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ .

وقد اصطفى الله الرسل من بين خلقه : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ ﴾ [الحج : ٧٥] .

وصنع أنبياءه على عينه : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾ [طه : ٣٩] وأوحى إليهم، وعصمهم حتى بلغوا رسالات الله ، وبينوا للناس ما نزل إليهم ، فما من خير ينفع الناس في دينهم ودنياهم إلا بينوه ودلّوا عليه ، وما من شر يضر

---

(١) كما في « مصابيح أضاءت لنا الطريق » (ص ١٦٠ وما بعدها) مقال بعنوان : «الاقتداء بالأنبياء » ط / دار الألباني .

الناس في دينهم ودنياهم إلا حذروا منه ونهوا عنه .

وقد جعل الله الأنبياء والمرسلين قدوة لعباده المؤمنين وأمرنا بذلك فقال : ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام : ٩٠] .

أي اقتدوا بهدي هؤلاء الرسل الذين هداهم الله وأقامهم على الحق قولاً وعملاً وذلك أن الإنسان ـ أي إنسان ـ لا يمكنه أن يعيش بغير قدوة ! وكل إنسان يقتدي ـ طوعًا أو كرهًا ـ بغيره إما في الخير وإما في الشر ! أو ساعة وساعة !! والقدوة الكاملة لا تكون إلا في الأنبياء والمرسلين .

كيف نقتدي بالأنبياء والمرسلين ؟؟

قد يقول قائل ويسأل سائل : كيف نقتدي بالأنبياء ما دام أن الله قد أوجب ذلك علينا ؟ وما هو الطريق الذي ندرك به القدوة الكاملة ؟؟

والجواب : إننا لا يمكننا أن نقتدي بالرسل إلا إذا وقفنا على سيرتهم وسنتهم ، وذلك لأن الاقتداء بهم يدور على أمور ثلاثة : الاعتقاد والأقوال والأفعال .

وعندما ننظر إلى عقيدة الرسل سنجد أنهم جميعًا على عقيدة «التوحيد» فهم جميعًا يقولون لأقوامهم : ﴿ اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ وهم جميعًا قد أوحى الله إليهم بقوله : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الزمر : ٦٥] .

ولذلك فإن الذين يخالفون عقيدة التوحيد التي جاءت بها الرسل يخرجهم ذلك من الإيمان إلى الكفر ، كما قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة : ٧٢] .

بل ويشهدون عليهم رسولهم يوم القيامة لأنهم لم يقتدوا به في الإيمان، وخرجوا منه إلى الشرك ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ﴾ [المائدة : ١١٦] .

○ وأما الاقتداء بالأنبياء في العبادة :

فإننا إذا تدبرنا ذلك الأمر في كتاب الله فإننا نجد أن أصول العبادات واحدة ، وإنما وقع التفاوت بينهما في الهيئة والكيفية فقط !!

قال تعالى لموسى عليه السلام : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [طه : ١٤] .

وقال عن إسماعيل عليه السلام : ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ ﴾ [مريم: ٥٥] .

وقال عن إبراهيم وإسحق ويعقوب عليهم السلام : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧٣] .

وقال سبحانه ـ عن الصوم ـ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [البقرة: ١٨٣] .

وقال لنبيه إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ﴾ [الحج : ٢٧] .

وقد ثبت أن جملة من الأنبياء قد حجوا بيت الله الحرام ، كلٌ في زمانه الذي بعث فيه .

ونحن نتحدث عن القدوة الحسنة ينتقل بنا الحديث إلى مواضع القدوة فإن الله قد جعل أنبياءه ورسله قدوة لنا في كل شئ وشأن ، فإنهم ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ قدوة للحكام والمحكومين ، وقدوة للعلماء والدعاة ، والعامة والخاصة ، والأغنياء والفقراء ، والصحيح المعافي والمريض

الذي نزل به الداء .

وهم كذلك قدوة لمن رزقه الله الذرية ، وقدوة لمن حرمه منها !! فهم قدوة للجميع وأئمة للجميع : ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام : ٩٠] .

ولأننا في هذه العجالة لا نستطيع أن ننبه على مواضع القدوة تفصيلاً ، فإننا نشير إلى أمثلة منها على أن يقوم القراء الكرام بمتابعة مواضع القدوة في كتاب الله تفصيلاً ليدركوا من وراء ذلك هاتين الفائدتين .

الأولى : العبرة : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾ [يوسف:١١١] .

الثانية : تثبيت الفؤاد : ﴿ وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ [هود : ١٢٠] .

وإني لأرجو من كل قارئ أن يتدبر معي هذه الأمثلة الرائعة تدبرًا عميقًا!!

المثال الأول : تدبر قوله تعالى عن نوح عليه السلام : ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا ﴾ [العنكبوت : ١٤] .

مع قوله تعالى : ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴾ [هود : ٤٠] !! والدعاة إلى الله هم أشد الناس حاجة إلى هذا الدرس ، فلا نيأس من دعوة غيرنا ، وإن وجدنا إعراضًا وصدودًا أو إنكارًا وجحودًا !!

المثال الثاني : قارن بين ما كان من شأن نوح مع ابنه ، وما كان من شأن إبراهيم مع أبيه !! فنوح هو قدوة الآباء الصالحين مع الأبناء العاقين ! وإبراهيم هو قدوة الأبناء البررة مع الآباء الكفرة أو الفجرة !! فتبدر هذا حق التدبر ، وتفكر فيه حق التفكر !

المثال الثالث : قارن بين دعوة موسى عليه السلام وهو محتاج إلى الطعام في سفره : ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص : ٢٤] .

ودعوة سليمان عليه السلام : ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ [ص : ٣٥] .

فظاهر السياق أن موسى يطلب الكفاف ! وسليمان يطلب الدنيا بأسرها! فبمن نقتدي ؟!!

والجواب : أن الناس يتقلبون بين الغنى والفقر ، والمؤمن في حال فقره يقتدي بموسى عليه السلام ويلجأ إلى الله كما فعل ، وفي حال غناه فإنه يقتدي بسليمان في قوله بعد أن أعطاه الله الدينا : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾ [النمل : ١٩] .

وهذه حكمة لله بالغة ، فلو كان الأنبياء كلهم فقراء لما وجد المؤمن الغني أحداً من الأنبياء يقتدي به !

المثال الرابع : عندما ما يشتد بالمؤمن المرض ، ويطول البلاء ؛ فإنه لا يذهب إلى كاهن أو عراف أو ساحر ونحوه ، وإنما يذهب إلى ربه ويجد في نبي الله أيوب قدوة وأسوة : ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ ﴾ [الأنبياء: ٨٣] .

فإذا ذهب المؤمن إلى طبيب فإن قلبه لا يلتفت إليه ، وإنما يراه سببًا ظاهرًا قد يجري الله الشفاء على يديه ، وقد لا يفعل !!!

المثال الخامس : قد يحرم المؤمن من الذرية لحكمة يعلمها الله ، وذلك لأنه سبحانه : ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾ [الشورى : ٤٩] .

فإذا أراد أن يطلب الذرية فإنه يجد في نبي الله زكريا عليه السلام أسوة

وقدوة في قوله : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ [آل عمران : ٣٨] .

وتدبر كيف أنه اشترط أن تكون الذرية طيبة ! فإن الذرية الفاسدة لا خير فيها ومثالها **ولد نوح ، والغلام الذي قتله الخضر .**

والحرمان من الذرية خيرٌ من ذرية فاسدة !! فتدبر وتفكر !

المثال السادس : قد ينزغ الشيطان بين المسلم وإخوته ، أو بينه وبين إخوانه! فيقتدي بيوسف في قوله : ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ﴾ [يوسف : ٩٢] .

وقد يسجن المسلم ظلمًا ومع هذا فهو يصبر ويرضى ويؤثر السجن على الوقوع فيما حرم الله ، ويقول كما قال يوسف عليه السلام : ﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ ﴾ [يوسف : ٣٣] .

وبعد : فإن كل موضع في كتاب الله تحدث عن نبي من أنبياء الله يكون لنا فيه أسوة وقدوة .

وعالم اليوم يموج بالفتن ، وقد ابتلي المؤمنون فيه ، وزلزلوا زلزالاً شديدًا ، ولا ملجأ من الله إلا إليه ، ولا مفر منه إلا إليه .

وليس أمامنا إلا أن نعود إلى الله عَوْدًا حميدًا . وأول الهداية : كلمة التقوى التي نحن أحق بها وأهلها وأن نقتفي أثر الأنبياء والمرسلين .

فقدوتنا ليست في شرق أو غرب !

وإنما في وحي أنزله ، ورسول أرسله !

وصلى الله وسلم وبارك على رسله أجمعين وعلى رسولنا وصحبه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

انتهى كلامه بتمامه ـ رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

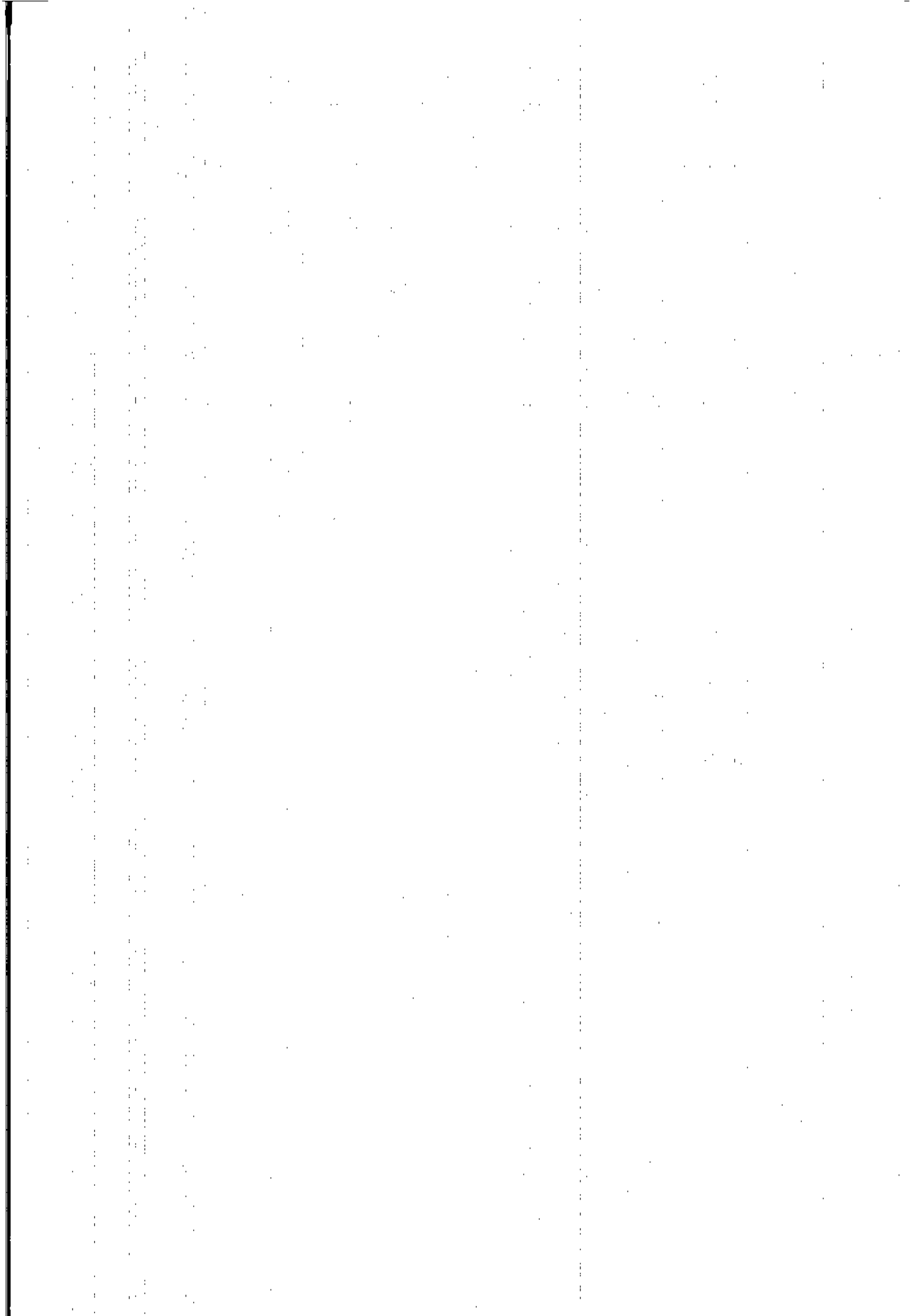
هذا ، ونسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجمعنا مع هؤلاء الصفوة الكرام في جناتٍ ونهر ، في مقعد صدقٍ عن مليك مقتدر ، وسبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك.

كتبه

أبو عبد الله

محمد بن العفيفي

مصر / دقهلية / منية سمنود



• الفهرس •

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

❑ ❑ ❑

صدر حديثًا ...

التمهيد

لما في الموطأ من المعاني والأسانيد

مرتبًا على الأبواب الفقهية للموطأ

تأليف

الإمام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله

ابن محمد بن عبد البر النمري الأندلسي

٣٦٨ : ٤٦٣ هـ

الطبعة الوحيدة الكاملة والمرتبة والمحققة على عدة نسخ خطية

تحقيق

أسامة بن إبراهيم

يصدر في ١٨ مجلد

الناشر

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر

صدر حديثاً ويطبع لأول مرة

تفسير القرآن العزيز

تأليف

الإمام القدوة الزاهد
أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي زَمَنِين
المتوفى (٣٩٩ هـ)

طبعة محققة ومضبوطة على نسختين خطيتين

* قال عنه أبو عمرو الداني: «ليس لأحد من المتقدمين مثله».

النَّاشِرُ
الفَارُوقُ الحَدِيثَةُ لِلطِّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ